

# مُخَالَفَةُ الْأَغْيَارِ

أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَالنَّارِ

تَأْلِيفُ

عماد حسن أبو العينين

تقديم

أ. د. / فَتْحِي جُمُعَة

أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

# حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ©

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

أبو العينين، عماد حسن

مخالفة الأغيار أصحاب الجحيم والنار

تأليف عماد حسن أبو العينين، تقديم د. فتحي جمعة

ط: ١ - القاهرة - مكتبة سلسبيل - ٢٠٠٧ م

٩٣ ص؛ ٢٤ × ١٧ سم

تدمك: ٣٨٩ ٢٩٠ ٩٧٧

١ - مخالفة الأغيار

أ - د. جمعة؛ فتحي (مقدم)

ب - العنوان ٢١٠ و٤

رقم الإيداع: ١٥٧٢٥ / ٢٠٠٧ م

الترقيم الدولي: ٣٨٩ ٢٩٠ ٩٧٧

الناس

دار سلسبيل للطباعة والنشر والتوزيع



## تَقْدِيمُ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ / فَتْحِي جُمُعَةَ....حَفِظَهُ اللَّهُ.

فهذه خطوة جديدة يخطوها ابننا الطموح الواعد الأستاذ عماد حسن على طريق التأليف والبحث، بعد خُطى وثابة أخريات خطاها - وفقه الله وسدد خطاه - على هذا الطريق الشاق بثقة وثبات، وإنه في هذه الخطوة لَيسير في الإطار العام لخطواته السابقة، وهو نصرَةٌ التَّصَوُّرِ الإسلامي، والحماسةُ له، والدفاعُ عنه، وإِعْلَاءُ شأنه، في طائفة طيبة من القضايا العصرية الكبيرة مثل: عمل المرأة، وحقوق الإنسان، وغير ذلك من المسائل التي عني بها الباحث المجتهد واحتشد لها وعكف عليها.

والدراسة التي بين أيدينا علامة طيبة على أن الكاتب مهموم بالقضايا المعاصرة عند المسلمين والبحث عن أسباب تخلفهم المُخْزِي وضعفهم المَهِين، ويرى - في هذه الدراسة الجادة - أن أكبر هذه الأسباب هو فَقْدان الأمة لتمييزها وخصوصيتها المرتبطة بالأسلام منبثقةً منه، ومبنيّةً عليه.

لقد أعجب ابننا بكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) واستهوته فكرته التي تقوم على إنكار الشعور بالتوقير، والإعظام لأفكارٍ تأتي من هنا أو تُستجلب من هناك؛ وذلك بمناسبة ذبوع كتاب (الياثق) الذي كتبه الطاغية جنكيز خان.

وقد خاف الشيخ الجليل على المسلمين أن يستبد الإعجاب بمثل ذلك ببعض المسلمين؛ فيصرفهم عما شرع دينهم الحنيف في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فكان كتابه الكبير دفعا لهذا الشعور واستنكارا له ونُصْرَةً لمنهاج الإسلام وإِعْزَازًا له، وإِعْلَاءً لمنزلته، ودعوةً لاتباع هذا المنهاج والاستمسك به، والإصرار عليه.

هذا الكتاب القيم الذي كتبه شيخ الإسلام، هو الذي احتذاه كاتبنا الطموح؛ فافتنى أثره، ونسج على منواله، وسلك سبيله في دراسته الجديدة الذي قبس عنوانها من عنوان الشيخ العظيم.

والذي نراه، أن ابننا قد وفق في تحديد محاور بحثه وركائز كتابه، التي يمكن أن نُجملها في أمرين:

الأول: ضرورة المخالفة؛ لتحقيق القوة الذاتية للأمة التي تُواجه الآن بحرب حاقدة ضارية ضروس من القوى الثلاث التي وجه إليها خطابه: اليهود والنصارى والمشركين.

الثاني: تتبع العناصر والمسائل الجزئية التي هي أدلة واضحة على أن مخالفة هؤلاء -فضلاً عن ضرورتها التي ذكرنا- تُعدّ جزءاً من تشريع الإسلام وركنا في توجيهاته.

نرى ذلك في تقرير ما في قلوبهم من مشاعر الغيظ والبغضاء للمسلمين في مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران ١١٨] وفي مثل قوله تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ أَولَآءُ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران ١١٩] وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة ١٠٩] إن غايتهم أن نترك ديننا القيم الحق لتتبع ملتهم ونسلك سبيلهم ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء ٨٩] ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة ١٢٠].

هذه إشارات موجزة لبعض الملامح في هذا العمل الجاد الذي نَعده واحدة من الخطى الوثابة لابننا المجتهد الأستاذ عماد حسن.

وفقه الله وعلمه وسدده وهداه..... اللهم آمين.

وكتبه

أبو محمد؛ فَتْحِي بن محمد جُمُعَة

تنويه:

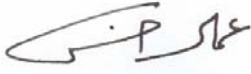
إخواني الكرام: أرجو التكرم ممن يقرأ هذا الكتاب أن يمدني بملاحظاته وتعليقاته

للإفادة والتعديل في الطباعات القادمة إن شاء الله، وذلك على العنوان التالي:

[Adrrem@yahoo.com](mailto:Adrrem@yahoo.com)

وجزاكم الله خير الجزاء

أخوكم



## مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ..

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٢]، ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء ١]، ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [البقرة ١٢٧]، ﴿ يَصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [البقرة ١٩٥]

﴿ [الأحزاب ٧٠-٧١] ﴾

أما بعد،،

فإن من أعظم ما كُتِبَ في هذا الموضوع (مخالفة أهل الملل والنحل) كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (مخالفة أصحاب الجحيم) وكأني به وقد أحس خطر التتار على الأمة الإسلامية لأنهم غلبوا المسلمين في كثير من البقاع وهابهم القاصي والداني، والمغلوب دائماً يُقلد غالبه، فأخذ المسلمون يُقلدون من غير وعي هذه الأمة، ولذا؛ تكلم شيخ الإسلام عن (الياثق) الذي هو كتابٌ عن القوانين اخترعه لهم ملكهم جنكيز خان، وقد خاف شيخ الإسلام على المسلمين أن ينظروا إلى هذا الياثق بعين الاعتبار ويتركوا شرع ربهم وهدى نبيهم فانبرى مؤلفاً هذا الكتاب الجليل، وها أنا ذا أنهج نهجه وأسير على دربه أتلُمس نور خطاه، في تأليف كتاب يعظم شريعة الإسلام في قلوب معتنقيه ومُحذراً من سلوك سبيل

المغضوب عليهم والضالين، سيما وقد انفتح العالم الإسلام على العالم الخارجي نتيجة تطور وسائل المواصلات والاتصالات وأجهزة الإعلام التي مكنت الناس من الاطلاع على معتقدات الشعوب المختلفة وأخلاقياتها وتقاليدها وسلوكها بما فيها من تناقض وتصارع أحياناً.

إن هذا الكتاب محاكاة لكتاب شيخ الإسلام، وهو من أَجَلِ الكُتُب في هذا الباب إن كان فيه غيره، ولقد رأيتُ كثيراً من العلماء يعتني به لأمر أولاً لمكانة شيخ الإسلام نفسه .

ثانياً لمكانة الكتاب نفسه في تراث الأمة الإسلامية.

ثالثاً لحاجتنا نحن المسلمين اليوم لمثل هذا الكتاب الجليل.

ولقد رأيتُه صعب المنهج، وعمر الأسلوب، حاد العبارة كعادة شيخ الإسلام في كتاباته حيث اللغة والأصول والاختلافات الفقهية بغير معزل عن كتبه وهذا ما لا يطيقه غير المتخصص.

فأردت أن أسهّل العبارة، وأبسّط الأسلوب، وأجمع المتفرق حتى يخرج الكتاب سهل التناول لكل أحد، فوضعتُ فيه كثيراً من الأوف<sup>(١)</sup> التي منيت بها الأمة، كما لم أذهل عن وصف الضماد<sup>(٢)</sup> التي تخفف جراحها، كما أنه يُعنى بمطاردة آثار الاستعمار الفكري والثقافي في نفوس المسلمين المنهزمين وأسرى لفكر الغرب.

وقد تشابهت الأيام بين عصر شيخ الإسلام وعصرنا فالكفار على اختلاف عقائدهم

(١) الأوف: من الأفة والمرض.

(٢) الضماد: في الأصل هو المشد الذي يُشد به الجرح والمراد هنا علاج ما انتشر في أمتنا الإسلامية من جاهلية أبعدتنا عن مفهوم الإسلام الصحيح وباعدت بيننا وبين دين الله الحنيف.



تجمعوا علينا من كل حذب وصوب يريدون أن يستأصلوا الأمة وأئى لهم ذلك وأتباع محمد ﷺ مازالوا يعبدون الله ويعظمون شريعته، وقد عاون أهل الكفر في طريقهم إلينا أهلُ النفاق من أمتنا المتغربون النابذون لثياب الإسلام؛ منهم من حارب الإسلام عن قصدٍ ونِيَّةٍ، ومنهم من حاربه عن جهل، فهذا أحدهم يقول "لابد من مواجهة الدعوات الإسلامية في أيامنا مواجهة شجاعة بعيداً عن اللف والدوران، وأن الإسلام كغيره من الأديان يتضمن قيماً خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضمير أما ما جاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية فقد كانت من قبيل ضرب المثل ومن باب تنظيم حياة نزلت في تجمع بدائي إلى حد كبير ومن ثمَّ فهي لا تلزم عصرنا ومجتمعنا" <sup>(١)</sup>.

فهذا أفاك أثيم لأننا "إذا قارنا الإسلام بمختلف ديانات العالم عرفنا أن عقائدها منعت معتنقيها من التقدم الحضارى عندما استمسكوا بها، ودارس التاريخ يلاحظ أن أهل أوربا والبوذيين في اليابان على سبيل المثال، لما كانوا راسخين في معتقداتهم الدينية كانوا على أسوأ ما يكون من أدوار التخلف، ولما أحرزوا لأنفسهم الرقى والتقدم في حياتهم العلمية والعقلية والمادية نبذوا الدين وراء ظهورهم وما عادوا مؤمنين بهذه المعتقدات التي كانت سبباً في تأخرهم العلمى.

أما المسلمون فعندما كانوا أقوياء في إيمانهم بمعتقداتهم صاروا أكثر أمم الأرض تقدماً وازدهاراً وقوة ومجداً وما أن دب ديبب الضعف في إيمانهم بها حتى تخلفوا في ميادين العلم وضعفوا في صراعمهم للرقى الدنيوى وتحكمت فيهم واستولت عليهم أمم أجنبية وهذا فرق عظيم بين معتقدات الإسلام ومعتقدات الديانات الأخرى في العالم.

(١) القائل هو: أحمد بهاء الدين، انظر الصحافة والأقلام المسمومة أنور الجندي ص ٢١٤، وعلى منواله نسج العلمانى المتطرف فرج فودة فى الاقتراح على الحكومة تجفيف منابع التدين فى المساجد والتعليم والإعلام، وخلق البدائل التى تحتوى طاقات الشباب وملكاتهم، من مثل النوادى والمسارح ودور السينما . . .

إن أمتنا خاضت معارك مع الاستعمار حتى أجلته عن ديارنا وكانت معارك هدم وتحطيم، واليوم وقد خلت البلاد من أرجاسهم وأنجاسهم فعلينا -معاشر المسلمين- أن نبني نهضتنا على أساس من دين الإسلام" (١).

وما هذا الكتاب إلا لبنة في إصلاح ما فسد من أحوال مجتمعنا الإسلامي، وإنّ ما نحن فيه من هزيمة نفسية لا بد حاصل بسبب المعاصي والبعد عن شريعة الإسلام، وإن النصر يتأخر؛ بسبب المعاصي والبدع ولذا؛ قال عليّ بن أبي طالب "ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة"، وكان البعض يقول "معاصي بنى أمية أضر عليهم من سيوف أعدائهم".

وقد رأينا كيف تحول النصر إلى هزيمة يوم أحد؛ بسبب مخالفة الرُّمّة لأمر النَّبِيِّ ﷺ، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران ١٥٢] والعاقِل يحذر هذه الأسباب ويحْتَنِبُهَا في خاصة نفسه وينصح الآخرين بتركها.

وقال عمر بن الخطاب "يوشك أن تنقضى عرى الإسلام عُرْوَةُ عُرْوَةٍ مِنْ لَا يَعْرِفُ أَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ".

فالإسلام عُرَى مِنْ تَرَكَ عُرْوَةَ رَضَىٰ بِهِدْمِ حَجَرٍ مِنْ صَرَحِ إِسْلَامِهِ، وَمِنْ هُنَا أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ سُنَّةَ مَعَ سُنَّةٍ تُكَوِّنُ الدِّينَ وَمُسْتَحَبًّا مَعَ مُسْتَحَبٍّ يَكْمُلُ الْإِيمَانُ، وَاقْتِرَافَ مَكْرُوهِ مَعَ مَكْرُوهِ صَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ وَثَلَمَةَ فِي الْإِيمَانِ.

إن تقليد أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأوروبا وأمريكا صخرة لا ينفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا ينبت زرعها، فتقليدهم ضعف في الإيمان، وسلوك

(١) الشيخ محب الدين الخطيب، منهج الثقافة الإسلامية.

طريق الذوبان، واقراراف الإثم والعصيان.

فالله الله معاشر المسلمين في دينكم وإسلامكم، تعرفوا على أفعال الجاهلية وأفعال أهل الكفر والضلال وصفاتهم لتتجنبوها، ولتبقى عرى الإسلام متماسكة، ولتعلموا فضل الله ورحمته عليكم.

وقبل عرض ما تيسر جمعه من المخالفات التي يجب علينا أن نتجنبها حتى لا نشبه بأصحاب الجحيم -مع العلم أنها شر في ذاتها- لا بد من عرض بعض القضايا التي تُمُتُّ بصلة قريبة إلى موضوعنا هذا، وهي تبدأ بموضوع (بداية التغريب).

وقد قسمت هذه المخالفات إلى؛ مخالفات في العقيدة، وفي العبادة وفي الأخلاق وفي العادات، وليعلم القارئ أن هناك فرقاً كبيراً بين ما نعرضه في هذا المقام وبين قضية الولاء والبراء فهذه ليست من شأن هذا الكتاب، فهذا الكتاب يُعنى بالمخالفة فحسب أما قضية الولاء والبراء فتطلب من كتاب آخر.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا إنه على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عماد حسن أبو العينية

## الفصل الأول الأغيار وأمة الإسلام نحن والآخر

### تمهيد

في هذا الفصل نعالج بعض القضايا التي قد تعرض لهذا الموضوع قبل البدء في سرد ما أمرنا الله ورسوله بمخالفة غيرنا فيه، وهذه القضايا تتناول علاقة الأمة المحمدية بغيرها من الأمم.

هل نعترلهم في هذا العالم وهم جيراننا؟!، هل نتصارع معهم؟!، هل ننصاع لهم؟!، هل يحبوننا؟!، هل يكرهوننا؟!

وبمعنى آخر ما هى حدود العلاقة بيننا وبينهم من خلال منظور الشريعة؟!

هذا ما سوف يجيب عنه هذا الفصل إن شاء الله، ويبدأ بالقصة من البداية.

### بداية التغريب

"في أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت البلاد الإسلامية بطوفان من الاستعمار الغربى وبينما المسلمون في هجود الكرى لم يستيقظوا بعدُ كل اليقظة جعل هذا السيل يمتدُّ من قُطْرٍ إلى قطر حتى شَرَّقَ العالم الإسلامى وغرَّب، وما إن انتصف القرن التاسع عشر حتى غدت معظم الأمم المسلمة عبيدًا للغرب الأوربى والتي لم تدخل منها في عبوديته لم تسلم من الخضوع لسلطانه ورهبة بأسه وسطوته.

ولما بلغ هذا الانقلاب تمامه بدأت في المسلمين آثار اليقظة والحركة، فلما فتحوا أعينهم على الحال التي قد صاروا إليها؛ فشلت ريجهم، وزال عنهم بغتة ذلك الفخار والاعتزاز الذى طالما تأصل منهم لبقائهم في عز الغلبة ومجد السيادة قرونًا متوالية، فعادوا يفكرون في أنفسهم كالسكران يُفَيِّقه توالى الضربات من عدو شديد ويبحثون عن الأسباب التي حطت بهم وغلبت الإفرنج عليهم غير أن عقولهم لم تكن تَابَتْ بَعْدُ إلى رشدّها إذ كان السُّكْرُ لا ريب قد ذهب عنهم، ولكن ميزان الفكر كان لا يزال مختلاً فيهم.

فمن جانب كان يسيطر عليهم شعور بالذلة والهوان ويؤزهم أَرَأَى على تبديل ما هم فيه من الأحوال، ومن جانب آخر يغلبهم من حب الراحة وإيثار الدعة والارتخاء ما يحملهم على توخى أقرب الطرق وأسهلها لتبديل تلك الحالة، وقد خارت فيهم من جهة ثالثة قوى الفكر والعقل وملكات الفهم والذكاء بطول تعطلها عن العمل، زِدْ على ذلك كله ما أخذ بمجامع نفوسهم من الدهشة والروعة التي تعترى بالطبع كل أمة منهزمة مستعبدة، وتغلغلت هذه العوامل في محي الإصلاح من المسلمين وأوقعهم في كثير من الضلالات العقلية والعملية، فأكثرهم ما كادوا يَفْطِنُونَ للأسباب الحقيقية في ارتقاء أوربا وانحطاطهم، وأما الذين فهموها منهم وأدركوها فأعوزهم من بُعْدِ الهمة والعزيمة ما يتشجعون به على اختيار الطريق الوعر للرقى والتقدم، وكان من وراء ذلك كله الروعة والدهشة التي تعترى الطائفتين على السواء، فلما مضوا بهذه العقلية المريضة الزائفة يريدون الإصلاح؛ لم يروا أضمن للرقى ولا أدنى للوصول إليه من أن يحاكوا في حياتهم اليومية كل مظاهر التمدن والحضارة الغربية، فيعودوا كالمرآة الصافية؛ يُرى فيها خيال الروضة والأزهار والرياحين وليس فيها من حقيقة هذه المناظر من شيء.

وهذه هي الفترة الانهزامية التي غدت الأمم الإسلامية فيها تحاكي أمم الغرب في الزى واللباس، وسائر المظاهر الاجتماعية؛ في أدب المجالس وأطوار الحياة، حتى في الحركة والمشى والتكلم والنطق، لقد حاولوا تشكيل المجتمع المسلم على الصيغة الغربية، وقبلوا الإلحاد والدهرية والمادية في نشوة التجديد، بدون حيطة أو شعور بالعواقب وعدوا من لوازم التنور الفكرى إيمان المرء بكل ما بلغه من قبل الغرب؛ من فكرة ناضجة أو فجأة والإفاضة فيه من مجال واسع ورحبوا بالخمر والقمار واليانصيب والتهتك والرقص وما إلى ذلك من ثمار الحضارة الغربية العفنة، ثم سلموا بجميع معتقدات الغرب وأعماله؛ في الأخلاق والآداب والاجتماع والاقتصاد والسياسية والقانون حتى في العقائد الإيمانية والعبادات سلموا بكل ذلك من غير فهم أو شعور، ومن غير نقد أو تجريح كأنه تنزيل من

السماء، ليس لهم قبله إلا أن يقولوا (آمناً)، وأصبح المسلمون أنفسهم يستحيون من كل ما نظر إليه أعداء الإسلام بالتحقير والتعير ولو كان هذا الشيء من الأمور الثابتة في الشرع الحنيف، وطفقوا يحاولون أن يحوا تلك السُّبة عن أنفسهم؛ " فعندما اعترض الغربيون على أحكام الجهاد في شريعتنا قال هؤلاء المنهزمون (ما لنا وللجهاد يأسادة؟ إنا نعوذ بالله من هذه الهمجية)، وعندما اعترضوا على الرق قال هؤلاء (إنما هو حرام عندنا أصلاً)<sup>(١)</sup>، وعندما أطالوا لسان القدح في تعدد الزوجات جاء المنهزمون ينسخون بضالهم وجهلهم آيات القرآن ويحرفون الكلم عن مواضعه، ثم قال أولئك الغربيون لا بد من مساواة المرأة بالرجل في جميع نواحي الحياة فوافقهم المنهزمون وقالوا وهذا هو الذى ينادى به ديننا ويدعو إليه، وطعن القوم في أحكام الزواج والطلاق في الإسلام؛ فقامت طائفة من المنهزمين تعالجها بالإصلاح والتعديل، ولما عابوا الإسلام بأنه عدو لما يسمى (الفنون الجميلة) استدرك هؤلاء قائلين (بل مازال الإسلام مذ كان يحتضن هذه الفنون ويحض عليها ويشرف على الرقص والموسيقى والتصوير والغناء ونحت التماثيل..... إلخ).

ففي سبيل دفع تهمة الجمود التي يلحقها الغربيون بالشرعية، رأينا هؤلاء المنهزمين ينحرفون إلى أقصى الطريق المناقض في بيان ما تنطوى عليه الشريعة من مرونة التطبيق؛ حتى يبلغوا بهذه المرونة حد الميوعة، وانعدام الذات والمقومات؛ تلك الميوعة التي تجعلها صالحة لأن تكون ذيلًا لأى نظام وتبعًا للأهواء، وبذلك ينتهون إلى إلغاء وظيفة الدين، لأنهم بدلاً من تقويم عوج الحياة بنصوص الشريعة؛ يحتالون على نصوص الشريعة حتى يبرروا بها عوج الحياة المعاصرة"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تنقض عرى الإسلام عروة عروة حتى إذا لم يعد بيننا من القرآن إلا رسمه ومن

(١) الشيخ الشنقيطى، أضواء البيان ٣/٣٨٦.

(٢) الشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه الله، عودة الحجاب بتصرف.

الإسلام إلا اسمه كنا لقمة سهلة سائغة لأعداء الإسلام وصدق علينا قول نبينا ﷺ <sup>(١)</sup> «لَتَتَّبَعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ قَالَ فَمَنْ».

ولكن بفضل الله وكرمه ضاقت الفجوة العلمية والتقنية بيننا وبين الغرب إلى حدٍّ ما، ولم يعد الشباب ينبهر بعلوم الغرب كأجداده؛ لأنه نشأ عليها ودرسها <sup>(٢)</sup>، بل على العكس من ذلك بدأ يبحث في أصوله ويتعرف على أسلافه، وسبب عزهم وقيادتهم للبشرية دهوراً طويلة، وفي مخيلته قول المعتصم للسحابة "أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك إن شاء الله" <sup>(٣)</sup>.

وها نحن نرى كثيراً من الشباب هذه الأيام قد عاد إلى ربه، وكثيراً من البيوت تظهت بمظاهر الإسلام وآدابه ولكن ثمة رواسب من زمن الانبهار والعبودية للغرب ألخصها في هذا الكتاب وأحذر منها لعلها تكون خطوة على طريق تغيير وجه الحياة في العالم الإسلامي، والله أسأل أن يُقر عيني برؤية آثارها قبل أن ألقاه <sup>(٤)</sup>.

(١) (صحيح): البخاري ٧٣٢٠، مسلم ٢٦٦٩.

(٢) أصبحنا دولة متمدنة نملك وسائل التكنولوجيا، والتقنيات الحديثة، ولكن ينقصنا أن نكون دولة متحضرة، تنتمي إلى ماضيها وأصولها وثقافتها، وتعود إلى دينها عوداً حميداً.

(٣) دليل على سعة الممالك الإسلامية.

(٤) لا يحس بكلامى هذا إلا من يطالع كتب المفكرين العظام أمثال أبي الأعلى المودودي، أبي الحسن الندوى، محمد إقبال، سيد قطب وهم يتألمون ويتحسرون على الإسلام وأهله الذين اقتبسوا بكل قواهم من الغرب والشرق. وحق لهم أن يتحسروا فقد كان القرن العشرين من أوله إلى آخره حسرة على المسلمين من ضياع الخلافة إلى اقتباس أنظمة الشرق الاشتراكية، وأنظمة الغرب الرأسمالية، وتبنى العلمانية. ولعل الله أن يجعل فى القرن الحادى والعشرين الميلادى فاتحة خير على المسلمين.

## من تشبهه بقومه

"إن الله تعالى جبل بنى آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشئيين المتشابهين وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، ولما كان بين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه أشد ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط فلا بد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلاً، فلا بد من نوع ما من المفاعلة.

ولأجل هذا الأصل وقع التأثير والتأثير في بنى آدم واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة وكذلك الآدمي إذا عاش نوعاً من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه، ولهذا؛ صارت الخيلاء والفخر في أهل الإبل وصارت السكينة في أهل الغنم وصار الجمالون والبغالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال وكذلك الكلابون وصار الحيوان الإنسى فيه بعض أخلاق الإنس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة فالمشابهة والمشاركة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكله في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدرج الخفى.

ولكن الله بعث عبده ورسوله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنته وهي الشرعة والمنهاج الذى شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يُبين سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمر منها؛ أن المشاركة في الهدى الظاهر تُورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمرٌ محسوس؛ فإن اللابس لثياب أهل العلم يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضياً لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع، ومنها؛ أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب



الضلال والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان وتحقيق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين، وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد، ومنها؛ أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرًا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابھتهم فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يُتفطن له <sup>(١)</sup>.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية ١٦-١٩] فأخبر سبحانه أنه أنعم على بنى إسرائيل بنعم الدين والدنيا وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيًا من بعضهم على بعض، ثم جعل محمدًا ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له، وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته و(أهواءهم) هو ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذى هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا مالاً

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

عظيمًا ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره؛ فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه.

وهذا هو دعاء المؤمنين وطلبهم من ربهم الهداية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة ٦]، قال القرطبي<sup>(١)</sup> المعنى دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك، وأدم هدايتنا، فإن الإنسان قد يهتدي إلى الطريق ثم يُقطع به (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) وهم المذكورون في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء ٦٩] (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يُضلهم (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) اليهود، (الضَّالِّينَ) النصارى وعليه جمهور المفسرين. قال ابن جرير أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب.

ثم قال والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندى أعنى (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أن يكون معنيًا به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل.

وقال ابن كثير "ولولا احتياج العبد ليل نهار إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك فإن العبد مفتقرٌ في كل ساعة وحالة إلى الله وتثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره

(١) التفسير ١/١٠٢.

وازدياده منها".

"فطريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى؛ لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه وهو اتباع الحق ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى، قال ابن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافاً<sup>(١)</sup>.

وفي البخارى<sup>(٢)</sup> أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَيَتَّبِعُهُ فَلَقِيَّ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ فَقَالَ إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ فَأَخْبِرْنِي فَقَالَ لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيصِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ قَالَ زَيْدٌ مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا وَأَتَى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ قَالَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا قَالَ زَيْدٌ وَمَا الْحَنِيفُ قَالَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَّ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَقَالَ لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيصِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ قَالَ مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا وَأَتَى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ قَالَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا قَالَ وَمَا

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

(٢) (صحيح): البخاري ٣٨٢٨.

الْحَنِيفُ قَالَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ × خَرَجَ فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ عَلَى دِينَ إِبْرَاهِيمَ.

فاستمر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى، وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية؛ لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود آن ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنينا ﷺ لما بعثه آمن بما وجد من الوحي .

وعن ابن عمر قال <sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» قال ابن كثير <sup>(٢)</sup> فيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعبادتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا.

فالتشبه بغير أهل الملة قد يكون عنواناً على الرضى عن دين المرء وخلقه؛ فيكون ذلك مدعاة لأن يُحشر معه يوم القيامة على دينه وملته؛ كما قال ﷺ <sup>(٣)</sup> «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» فانظر يا عبد الله إلى من تحب؛ أتحب رسول الله ﷺ والصحابة وخيار الناس، أم تحب الأمريكان والأوربيين واليهود والنصارى.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يريد للمسلم شخصية متميزة ينفرد عن غيره ولا يكون تابعاً لأحد، فهذه من أعلى مقامات التربية؛ تربية النفوس وبناء الشخصية وتحديد الهوية وإعداد الرجال وبناء الأمم وقيادة الركب، والتفرد والتميز حتى في صغائر الأمور التي قد يظنها البعض أنها لا تتعدى العادات والتي لا تدخل في تربية الأجيال وتنشئة الأمم.

(١) (حسن): أبو داود ٤٠٣١، صحيح الجامع ٦١٤٩.

(٢) في تفسيره للآية ١٠٤ من سورة البقرة.

(٣) (صحيح): البخارى ٣٦٨٨، مسلم ٢٦٣٩، أبو داود ٥١٣٧، الترمذى ٢٣٨٥.

إن الرسول ﷺ يتعامل مع النفوس ويخاطب الأرواح ويوقظ الحس والمشاعر؛ فهو ﷺ بمثابة الطبيب الذي يحافظ على صحة من حوله، ويحذرهم مما يؤثر على صحتهم من قريب أو بعيد، وقبل أن يقع بهم الداء ويستفحل المرض وتنتشر العدوى، فكما قيل (الوقاية خير من العلاج) فهو ﷺ رحيم بهذه الأمة يرشدها لكل مافيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة، ويحذرهما من كل شر وسوء، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير جزاء جزى به نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته.

### هل يحبوننا

الأمة الإسلامية صاحبة رسالة في الحياة تسعى لتحقيق المبادئ الإسلامية السامية في واقع الناس وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولكن أعداء الله من اليهود والنصارى كرهوا هذا الأمر وناصبوه العداوة من أول يوم حسداً من عند أنفسهم؛ قال تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال أيضاً ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال أيضاً ﴿إِنْ يَتَّقُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة: ٢]، وقال أيضاً ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقد كان اليهود قبل بعثة النبي ﷺ يتنبأون ببعثة نبي جديد، فإذا قاتلهم المشركون توعدهم بأنه سيبعث نبي نقاتلكم معه قتل عاد وإرم فلما ظهر النبي الجديد وكان من غير نسل داود ضاقت صدورهم وتحرك الحقد في قلوبهم وفاضت نفوسهم بالعداوة الشديدة للنبي ﷺ خاصة وللأمة الإسلامية عامة، قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقد ظل اليهود يحملون هذه العداوة الدينية ويتوارثونها جيلاً بعد جيل

كما ظلوا يحملون نفسية العلو والاستكبار وأن لهم رسالة خاصة من قبل الله تعالى في الأرض حتى جاء على لسان أحد أقطاب اليهودية العالمية قوله "إن علو اليهود على ما عداهم من الأمم يكمن في رسالتهم ألا وهى المراقبة التاريخية على العالم ذلك أن الشعب اليهودى هو الشعب الذى اختاره خالق الكون شعب له رسالة خاصة إليه يرجع حق تعيين الخبيث من الطيب إليه يرجع حق تعيين السبيل الذى يجب أن تتبعه الإنسانية وهذا القانون هو القانون الأزلى الذى جاءت به التوراة وليست هذه فلسفة أو فكرة دينية بل إنها حقيقة أزلية" (١).

والنصارى لما كانوا ضاللاً تبعوا اليهود فيما يقولونه؛ فهم يقودونهم إلى الحروب والمهالك، فهم الآلة التى يستعملونها في تنفيذ مخططاتهم وعصبياتهم، فما كانت الحروب الصليبية إلا نتاج هذا البغض وهذه العصبية التى قتلت ومزقت ومثلت، وما الحروب القائمة الآن في كثير من أسواق العالم الإسلامى إلا من هذا الحقد على الإسلام وأهله.

قال تعالى عنهم ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة ١٠٥] قال ابن كثير يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهتهم للمؤمنين ليقطع المودة بينهم، ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذى شرعه لنبيهم محمد ﷺ حيث يقول ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

ورغم أن الكفار لا يحبون لنا الخير، ولا يريدون لنا النصح، فقد وقع المسلمون فيما نهاهم الله عنه من طاعتهم والانقياد لهم، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) القائل هو زيف غريتبجر، انظر اليهودية العلمية للحلاق ص ١١ نقلاً عن جريدة النضير الأرجنتينية.

يُرْذُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ [آل عمران ١٤٩] فترى كثيراً من الحكام والمحكومين في البلاد الإسلامية أسلموا إلى الكفار قيادهم وعقولهم وألبابهم، وأسلموا إليهم في بعض الأحيان بلادهم وهم ألد أعداء الإسلام والمسلمين، بل قاتل أناسٌ يتسبون للإسلام إخوانهم المسلمين في دول إسلامية أخرى طاعة وامثالاً لأمر الكفار، ثم عم البلاء فظهر حُكام في كثير من البلاد الإسلامية من بعد سقوط الخلافة إلى الآن يدينون بالطاعة للكفار - عقلاً وروحاً وعقيدة - واستذلوا الرعية من المسلمين وبثوا فيهم عداوة الإسلام بالتدرج، حتى كادوا يردوهم على أعقابهم خاسرين، وما أولئك بالمسلمين.

إن المسلم الحق هو الذى يتبع منهج الله ومنهج رسوله، ويعلم أن الكفار لصوص عقيدة يريدون أن ينسلخ المسلم من إسلامه ليسهل قياده إلى الهاوية وإلى العبودية.

إن ما فيه العالم الإسلامي لا يُرضى حاكماً مسلماً فضلاً عن المحكومين، ولكن كيف الخلاص والمسلمون في ظلمات بعضها فوق بعض؟!!

يجب على الحكام بث روح الإسلام في نفوس الرعية، وبث روح التضحية من أجل المجتمع الإسلامى بدلاً من أن تُصبح المصالح الشخصية والروح المادية هى المحرك الرئيسى للفرد والمجتمع، إن المسلمين الأوائل ما سادوا العالم إلا بهذه الروح وهذه الأخلاق.

وليعلموا أن "البيت القويّ يحتاج إلى الإسمنت والحديد أكثر مما يحتاج إلى الزينة والزخرفة، وكذلك الأمة الناهضة تحتاج إلى العباقة في العلم والصناعة، أكثر مما تحتاج إلى المبرزين في الرقص والرسم والغناء والتصوير" (١).

تراها بحق في مغيب ومطلع  
بأبصارها لا تستفيق ولا تعى

فقل للعيون الرمد للشمس أعين  
وسامح عيوننا أطفأ الله نورها

(١) هكذا علمتني الحياة، د/ مصطفى السباعي.

### الأمر بالمخالفة

إن الشريعة الإسلامية تُربي المسلم تربية خاصة، وتُنشئه تَنْشِئَةً مميزة، وتجعل له التميز والتفرد والقيادة، وتريد له الريادة والتقدم، وتهيئه للأخذ بزمام الأمور وقيادة الركب فيتقدم المسلم للأخذ بزمام السفينة لينجو العالم من مهاوى الشرك والضلال، ويصلوا بر الأمن والأمان إلى شاطئ الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين دينًا؛ فهو مشعل هداية ومنبع حياة كريمة لكل من أراد أن يكون عبدًا شكورًا، ولكل من كان له قلب رشيد أو ألقى السمع وهو شهيد.

فالمسلم أراد له ربه في علاه أن يُتَّبَعَ ولا يُتَّبَع، وأن يكون قائدًا لا مقودًا، وأن يكون سائدًا لا مسودًا، وأن يكون في المقدمة لا المؤخرة، وأن يكون عزيزًا لا ذليلًا؛ لذا؛ جاءت نصوص السُّنَّة النبوية المطهرة بالنهي عن التنشئة بغير الإسلام، وأن المسلم لابد أن يتميز عن غيره في كل أحواله سواء في العقائد والتصورات أو في العبادات أو في العادات والسلوك أو في المعاملات والعلاقات أو في المظاهر والتقاليد.

ولو أذن الإسلام بالأخذ عن العدو في كل شيء ومتابعته فيما يريد التشبه به؛ لتلاشت معالم الإسلام وأحكامه ولذابت شخصية المسلم وحسبك واقع المسلمين اليوم في كثير من البلدان الإسلامية.

ولهذا جاء الأمر بالتزام الصراط المستقيم والنهي عن سلوك السبل، قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والعجب كل العجب بعد التحذير من اتباع اليهود والنصارى في كتاب ربنا وفي سُنَّة نبينا ﷺ وبعد استعراض القرآن الكريم لمواقف اليهود والنصارى العدوانية وأنهم يُكنون لنا في صدورهم الغل والحقد والحسد وأنهم يتربصون بنا الدوائر، ويريدون لنا الضلال والهلاك والبعد عن ديننا الحنيف، وكتاب ربنا العظيم وسُنَّة نبينا ﷺ، بعد ذلك كله نجد من



يتشبه باليهود والنصارى ومن يُكنُّ لهم في صدره الاحترام والتعظيم بل ويقع البعض في محبتهم وتفضيلهم على بعض المسلمين، ومنهم من يتشبه بهم في كل شئون حياته، فالصواب -في معتقده- ما قالوا والحق ما فعلوا؛ فلا يتكلم إلا بكلامهم ولا يعمل إلا بعملهم ولا يعتقد إلا فيما جاء من عندهم.

بل قد يصل الأمر إلى تقديم كلامهم وما جاء عنهم على كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ ويؤخذ منهم الحلال والحرام والشرعية والنهج والطريقة والسُنَّة حتى يصل بالبعض أن يجعل قدوته في صعلوك من صعاليتهم، ويخجل كل الخجل أن يراه أحد وهو متلبس بسُنَّة من سُنن النَّبِيِّ ﷺ، إن الأمر جدُّ خطير فلقد ألغى بعض المنتسبين للإسلام عقولهم وأصبحوا بلا عزيمة ولا إرادة وأصبح كل الذى يأتى عن هؤلاء اليهود والنصارى هو رمز القوة والحضارة والمدنية والتقدم.

فيجب على الأمة الإسلامية أن تفيق من عُقُولِهَا وأن تستيقظ من نومها بل وإن صح التعبير (أن تحيا من موتتها) فبعض المسلمين والعياذ بالله لا يحتاجون إلى الاستيقاظ بل يحتاجون إلى بعث؛ فالاستيقاظ يكون من الحياة أما البعث فيكون من الموت وبعضهم -والعياذ بالله- أموات غير أحياء؛ أموات ولكن في هيئة الأحياء !!.

لابد من تدارك الموقف قبل فوات الأوان، لابد من تضافر الجهود من العلماء وولاة الأمور ومن طلاب العلم والدعاة إلى الله ومن أصحاب الكلمة وأصحاب الأقلام؛ فالكل مسئول والكل على ثغر من ثغور الإسلام، فالله الله أن يُؤتى الإسلام من ثغر أحدنا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

### صلاح الأمة

قال الإمام مالك (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) وسلفنا الصالح هم الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وأئمة الدين العدول كالأئمة الأربعة وأهل

السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ.

ولا يمكن جمع المسلمين إلا على ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من عقيدة وأحكام ومعاملات وسلوك وهدى، وإنما تفرق المسلمون بعد ذلك؛ بسبب انحرافهم عن الهدى النبوى وإحداث بدع في العقيدة والعبادات والتشريع ومن قول على الله بغير علم. ومن هنا كان لزماً علينا أن نراجع أنفسنا بين الفينة والأخرى ونزن حركاتنا وسكناتنا بميزان الكتاب والسُّنَّة، ويا للأسف ما أبعدنا اليوم عن سُنَّةِ نبينا ﷺ وما أعظم الفرق بيننا وبين الأوائل الذين قال فيهم ابن مسعود (إن أصحاب محمد ﷺ كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعلمها علماً وأقلها تكلفاً).

ولا يمارى أحدٌ من الناس أن البون شاسع بين دين الله وأوامره، وبين ما نحن فيه اليوم من مظاهر الفساد والإفساد، ولا يمارى أحدٌ من الناس أن الفرق شاسع بين العز والتمكين الذى كان يتمتع به الأوائل، وبين الذل والمهانة التي نحن فيها اليوم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤٦]

إنَّ الذى يعتقد أنَّ اتباع رسول الله ﷺ رجعية أو أنَّ العمل بسُنَّتِهِ تَزُمَّتْ كيف ينعم بالعز والتمكين.

إنَّ الذى يشق طريق كل معصية وَيَعِزُّ بكل رذيلة، ويرفع كل وضع ويضع كل عزيز كيف ينعم بالعز والتمكين.

إنَّ الذى يدعو إلى الكفر بعين ملؤها غبطة ويرى المعارض رجعيًا ويستحق الطرد والحبس كيف تُقام له قائمة.

إنَّ الذى يعتقد أنَّ الحنا والزنا والدعارة والفجور طريق التقدم والمدنية والنهضة كيف يتفوق على الغرب ويذلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١١]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ

اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم ٤٢].

إن واقعنا المعاصر لا يبشر بالخير خاصة وأعداؤنا قد شتّوا على الأمة حرباً لا هوادة فيها استخدموا فيها كل صور الأسلحة في جميع الاتجاهات ومن أخطرها الأسلحة الفكرية التي تمهد الطريق للغزو العسكري، فهو - أي الغزو الفكري - من أعنف السهام التي وجهت لهذه الأمة في كل القطاعات في الإذاعة والتلفزيون والمجلات والجرائد والإنترنت وكذا المناهج التعليمية.

"فليس صدفة ولا عن حسن نية أن توجه طاقات شبابنا وبناتنا إلى الرسم والرقص والغناء، ويكون ذلك محور التوجيه في الصحافة والإذاعة والتلفزيون من حيث لا توجه طاقاتهم ولا عبقرياتهم إلى العلم والصناعة والاختراع، إنها خطة استعمارية تنفذ من أموال الشعب على أيدي بعض الأغرار من المراهقين والمراهقات من أمتنا!"<sup>(١)</sup>

لكن مع هذا كله حسبنا أن نبينا ﷺ وصف لنا الدواء وهو قوله «حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»<sup>(٢)</sup> إذن لا بد من مراجعة الدين ومراجعة العقيدة ومراجعة السلوك ومراجعة كل ما يقربنا إلى الله.

تساءل الليل والأفلاك ما فعلت	جحافل الحق لما جاءها الخبر؟ <sup>(٣)</sup>
هل جهزت في حياض النيل ألوية؟	هل في العراق ونجد جليل الغيرة؟
هل قام مليون مهدي لنصرتها؟	هل صامت الناس هل أودى بها الضجرة؟
هل أجهشت في بيوت الله عاكفة	كل القبائل والأحياء والأسر؟

(١) هكذا علمتني الحياة، د/ مصطفى السباعي.

(٢) من حديث ابن عمر قال: قال ﷺ «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ». أخرجه أبو داود ٣٤٦٢، صحيح الجامع ٤٢٣.

(٣) من قصيدة (دم المصلين في المحراب ينهمر والمستغيثون لا رجوع ولا أثر) للدكتور أحمد عثمان التويجري.

يا أمة الحق إن الجرح متسع      فهل ترى من نزييف الجرح نعتبر؟  
 ماذا سوى عودة لله صادقة      عسى تغير هذي الحال والصور

### العلم والثقافة

وهنا قد تظهر شبهة لبعض المقلدين للغرب؛ وهى أن الغرب متقدم في كل المجالات والصناعات والتكنولوجيا؛ ولا بد أن نُقلدهم حتى نلحق بركب الحضارة، ولا بد من مسايرة العلم والثقافة التي تتطلب منا أن نكون على خطٍ موازٍ للغرب المتقدم، وهذه الشبهة فيها شيء من التدليس في المعانى، فإن العلم شيء والثقافة شيء آخر؛ "فالعلم عالمي لا يختص به أمة، دون أمة ولا تحتكره قارة دون قارة، فيكون غيرها عالة عليها فيه؛ إنه مشاع كالهواء الذي نتنفسه، ثم إن العلم تراث إنساني ما من أمة إلا ولها فيه جهاد وجهود ويد وأيد، وكل درجة ارتقاها العلم في أى عصر من العصور على يد أمة من الأمم في بلد من البلاد؛ إنما كان بفضل درجة أخرى قبلها، كان العلم قد وصل إليها في عصر آخر قبل ذلك العصر، وعلى يد أمة أخرى من الأمم في بلد غير ذلك البلد الذى وصل العلم فيه إلى الدرجة التي تلى تلك الدرجة.

"والعلم هو مجموعة الحقائق التي توصل إليها العقل البشرى في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن، والحررة باجتيازات متكررة، فلا تختلف بتفاوت الأذواق ولا تتغير بتطور المصالح، فإن جدول الضرب مثلاً من المعارف الإنسانية العريقة في القدم، وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب في كل بلد وفي كل زمن، ولولا ما كان معروفاً قبل العرب والمسلمين من علم الحساب لما توصل العرب والمسلمون إلى إتحاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة، ولولا علم الجبر والمقابلة الذى توصل علماؤنا إليه قبل مئات السنين لما تقدمت في العصور الأخيرة العلوم الرياضية الأخرى التي توصلت بها الأعمال الهندسية إلى ما وصلت إليه الآن من التقدم، فالعلوم الرياضية والحقائق الهندسية من العلم العالمى المشاع بين البشر، والذى

اشتركت عقول البشر في صياغته وتقدمه وارتقائه منذ العصور العريقة في القدم، ولا غضاضة على أمة في أن تطلب العلم به حيث تجده وكذا الطب وعلوم الطبيعة والفلك وكل ما تمس إليه حاجة الأمم في قوتها وأسباب عزتها وتوفير حاجتها، والمسلمون على الخصوص يُوجب عليهم دينهم أن يتعلموا ما تدعو حاجتهم في مرافقهم إلى تعلمه من العلوم التي إن لم يحترفوها تولاهما عنهم الأغيار المشركون، وكان جهلهم بها من أسباب ضعفهم.

هذا النوع من المعارف الإنسانية هو العلم وهو واحد في كل أمة، وهو اليوم سبيل القوة في الحرب والسلم وهو الذي ينبغي للمسلمين أن يكون فيهم دائماً العدد الكافي من العاملين به، ليتولوا مرافق بلادهم بأنفسهم ويحققوا أسباب قوتهم الصناعية والحربية والاقتصادية بأيديهم، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بإرسال البعثات إلى البلاد التي تفوقت فيه، فعليهم أن يوالوا إرسالها إلى أن يتوافر عندهم من أبنائهم رجالاً أكفاء لسد هذه الحاجة على قدرها.

أما الثقافة فشئ آخر<sup>(١)</sup>، فالثقافة في كل أمة لها لون خاص، مستمدة من مألوفها ومن ذوقها ومن موارثها الدينية والأدبية والعلمية ومن ظروفها الجغرافية وحاجتها الاجتماعية وتصوراتها عن الكون والحياة الإنسانية، وثمَّ عوامل أخرى تتحكم في ثقافة كل أمة، ولذا؛ نرى الثقافة الفرنسية مثلاً تختلف عن الثقافة الألمانية، بل نرى الثقافة البريطانية تختلف عن الثقافة الأمريكية مع اتحادهما في اللغة والأدب والصينيون واليابانيون يشتركون في الكثير من المقومات، وكانوا بين الحربين العالميتين في حاجة إلى عنصر قوى يستعينون به لمقاومة

(١) بهم د/ زكى نجيب محمود في فهمه للثقافة في كتابه (تجديد الفكر العربى) حيث يريد دمج الثقافة العربية بالثقافة الغربية ليخرج بثقافة معاصرة، وضرب الأمثلة لذلك، ولكنه أوردتها وهو مشتمل، وما هكذا تورد الإبل!!.

الاستعمار المحيط بهم من كل جانب، ومع ذلك فإن اختلاف الثقافتين حال دون هذه الأهداف المشتركة، بل أنشب الحرب بينهما سنين طويلة قبل الحرب العالمية الثانية وفي خلالها.

ولو لم تكن الثقافة من الفوارق الجوهرية بين الأمم، لكان من المعقول أن تتعاون الصين واليابان وتتحد وجهتهما، ولتكونت منهما حيثن قوة رهيبية لعلها تكتسح الأمم، وذلك ما كان يُنذر به إمبراطور ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى، ويُسميه الخطر الأصفر.

إن تاريخ الأمة من عناصر ثقافتها، وآداب الأمة من صميم ثقافتها، وأخلاق الأمة في كل عصر من عصورها حلقة من سلسلة الأخلاق التي هي من ميراث الماضي، وقد يكون في ميراث الأمة من أخلاق ماضيها الكثير من الخير والكثير مما ينافيه، فعليها أن تُصلح بخيرها ما ينافيه من الأخلاق التي تحتاج إلى إصلاح، فإذا حاولت الأمة أن تنكر لتراثها الأخلاقي بتطعيمه بأخلاق أجنبية عنها، أضاعت نفسها وفقدت أصالتها وصارت تنافي الأصالة ويحتقرها الأصلاء من أصحاب تلك الأخلاق الأجنبية.

وسأضرب لكم مثلاً من واقع حياة الأمم وتجارب الشعوب؛ اليابان وتركيا أرادت كل واحدة من هاتين الدولتين في مطلع القرن العشرين أن تكون في مصاف الدول المتقدمة وأن تلحق بركب الحضارة، فماذا فعلت كل واحدة من هاتيك الدولتين!!.

قامت اليابان بنقل التقنيات الحديثة والصناعات والمصانع وتحديث نظم المعلومات إلى آخر ما هنالك من أسباب التقدم العلمي من أوروبا وغيرها من البلاد المتقدمة، وتركت كل ما يؤثر على عقيدتها وسلوكها، وما هو مخالف لمنهج حياتها وأساليب معاشها فتقدموا وسادوا العالم والدليل على ذلك ما نراه من تهافت الناس على المنتج الياباني وتهافت أساتذة الجامعات على شرح أساليب الإدارة والصناعة اليابانية.

وعلى العكس من ذلك قامت البائسة تركيا على يد الرجل الصنم<sup>(١)</sup> بنقل عادات الغرب من لباس وطعام وشراب ولغة وجنس ودعارة ظناً منها أن هذا هو التقدم، وأن الدين هو أفيون الشعوب، وأن الدين يؤخر البلاد والعباد وتركوا أسباب التقدم الحقيقي وهى الأخذ بكل ما هو جديد في الصناعات والتكنولوجيا ونظم المعلومات مع الثبات كل الثبات على دين محمد ﷺ، فغرقوا في الوحل والفوضى الاقتصادية فهى تعج بالأزمات الاقتصادية، وتكاد تكفر لتدخل الاتحاد الأوربي فيأبون عليها<sup>(٢)</sup>، وصدق الله إذ يقول ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة ١٢٠].

إني تذكرت والذكرى مؤرقة	مجداً تليداً بأيدينا أضعناه <sup>(٣)</sup>
أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد	تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها	وبات يملكننا شعب ملكناه
استرشد الغرب بالماضي فأرشدته	ونحنُ كان لنا ماضٍ نسيناه
إنا مشينا وراء الغرب نقبسُ من	ضياؤه فأصابتنا شظاياهُ
بالله سل خلف بحر الروم عن عرب	بالأمس كانوا هنا واليوم قد تاهوا
وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها	عن من بناه لعل الصخر ينعاه
هاذ معالمُ خرسٍ كل واحدة	منهن قامت خطيباً فاغراً فاه
الله يعلم ما قلبت سيرتهم يوماً	وأخطأ دمع العين مجراه
لا دردر إمري يطري أوائله	فخرأ ويطرق إن سألته ما هو

(١) أعنى كمال أتاتورك، الذى يُقال إنه من يهود الدونمة.

(٢) لعل د/ سيد القمنى شديد التطرف فى علمانيته يعتبر بهذا المثال فإنه يريد استبدال الثقافة الأمريكية بالثقافة الإسلامية كلية، وما الشأن شأن الثقافة بل الشأن شأن العلم فحسب.

(٣) محمود غنيم، شاعر وأديب مصرى ولد بقرية مليج، محافظة المنوفية عام ١٩٠٢م، وتوفى عام ١٩٧٢م.

يا من يرى عمراً تكسوه بردثه      والزيت أدم له والكوخ مأواه  
يهتز كسرى على كرسيه فرقاً      من خوفه وملوك الروم تخشاه  
يا ربي فأبعث لنا من مثلهم نضراً      يشيدون لنا مجدداً أضعناه

إن القول الفصل بين العلم والثقافة؛ هو أن العلم عالمي والثقافة قومية وملية، والعلم لا لون له والثقافة ذات ألون، وكذب من قال إن في الدنيا ثقافة عالمية ولا يمكن أن تكون فيها ثقافة عالمية، فعلى الأمة الإسلامية أن تتمسك بثقافتها، وأن تبعث فيها أسباب الحيوية بوصل ما بين ماضيها وآتيها خاصة أننا لا نكون مسلمين بارتداد المساجد فقط، ولا تصحيح العقيدة فقط، بل إن إسلامنا يتناول البيت والشارع والمدرسة والجامعة والتعاملات والأخلاق والعقائد والعبادات، وسنن الإسلام وأحكامه مصدر كريم من مصادر ثقافتنا فلا يكفي أن نعرف كيف نصلى بل يجب أن نعرف كيف نكون أفراداً مسلمين في مجتمع إسلامي وأن نعرف كيف نكون رعايا مسلمين لدولة إسلامية، أما المعارف التي لها لون خاص لأقوام غير أقوامنا ولها لون ملي للمل غير ملتنا، فذلك ما يُسمى ثقافة، ونحن في غنى عنها بثقافتنا التي يجب أن نستمدّها من مألوفنا ومن ذوقنا ومن موارثنا الدينية والأدبية وضروراتنا الجغرافية وحاجاتنا الاجتماعية، ولهذه الثقافة مثلٌ في تاريخنا وتراجم أسلافنا، فيجب أن نعرفها بمعرفتهم، وأن ندرسها بدراسة تراجمهم، وأن نحيا بالتخلق بأخلاق أهلها واتخاذهم قدوة لنا وأسوة<sup>(١)</sup>.

### الموت الحضاري

وقد يظن ظان أنني أدعو إلى انعزال المسلمين عن غيرهم من الأمم والشعوب، وهذا مالم أردّه؛ فإن المسلمين لن يعيشوا بمعزل عن العالم بل لا بد لكل أمة من الاحتكاك بغيرها

(١) منهج الثقافة الإسلامية للشيخ محب الدين الخطيب بتصريف شديد.



من الأمم فتأخذ وتعطى، ورفض الانفتاح على الحضارات الأخرى موقف ضار لأمتنا حضارياً - خاصة في هذه الأيام - فضلاً عن أنه غير ممكن في ظل ثورة الاتصال التي تزداد فعاليتها يوماً بعد يوم.

والتواصل الحضارى يجب أن يبرأ من التبعية والذوبان، فهناك حضارة الصين وحضارة الهند والحضارة الغربية وكلها متاخمة للمسلمين فليس ثمَّ انعزال وانغلاق على النفس وإلا سيكون الموت الحضارى.

ولكن غاية ما في الأمر هو أننى أود أن أنبه على أن احتكاك الحضارات المتميزة ينشأ عنه قضية الموروث والوافد، فأيهما نقدم وأيهما نؤخر، فقد انقسم الناس من موقف الانفتاح على الحضارة الغربية إلى ثلاثة أقسام

الأول يشكك في جدوى أى انفتاح على الحضارات الأخرى أو يستلهم منها ما هو مفيد ومجد للأمة الإسلامية، كما يوجب الاحتفاظ بالموروث الذى يجعل من الاجتهاد جريمة يعاقب عليها باسم الشرع<sup>(١)</sup>.

الثانى يشكك في قدرة الإسلام في مسابقة ركب الحضارة فضلاً عن اللحق به وهذا التيار يعظم الحضارات الوافدة ويحاكيها في كل شيء<sup>(٢)</sup> فكان أن دعا إلى أن نفكر كما يفكر الأوروبيون ونحيا كما يحيا الأوروبيون، نُصيب كما يُصيبون، بل ونُخطئ كما يُخطئون إلى

(١) تجلّى هذا الموقف لبعض الجماعات ذات التفكير الأولى البدائى، والتي غالباً ما يكون حرصها على الإسلام والمسلمين بلا علم، فيحول بينها وبين الفقه فى الدين.

(٢) وعلى رأس هذه الطائفة كثيرٌ من خُشارة الكتّاب والمفكرين والأدباء المنهزمين - غير المصبوغين بصبغة الإسلام -، أمثال: طه حسين، أحمد لطفى السيد، سلامة موسى، إسماعيل مظهر، حسن حنفي، عبد المعطى حجازى، جابر عصفور، محمد أركون، عزيز العظمة، محمد بنيس، بلند الحيدري، أدونيس، وما كان هذا ليكون لو أنهم تربوا على الإسلام واصطبغوا به.

آخر مقولات تيار التغريب<sup>(١)</sup>.

الثالث وهو موقف الوسط الذى ندعو إليه وهو استلهاهم ما كان نافعا من الحضارات الأخرى دون التأثير على الشخصية الإسلامية، فهناك فرق بين التمايز الحضارى والتبعية الحضارية<sup>(٢)</sup>، ونضرب أمثلة لموقفنا هذا من حياة النبي ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٣)</sup> «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ».

أي جماع المرضع أو الحامل، وكانت العرب يحترزون عنها ويزعمون أنها تضر الولد وهو من المشهورات الذائعة بينهم حتى ذكر ﷺ أن فارس و الروم يصنعون ذلك ويجامعون المرضع والحامل فلا يضر أولادهم فلو كان الجماع أو الإرضاع حال الحمل مضرا لضر أولاد فارس والروم لأنهم يفعلونه مع كثرة الأطباء فيهم.

فالنبي ﷺ ينظر بعين الخبير إلى أحوال الأمم ويأخذ العبرة والخبرة من أحوال غيره، فليس ثم مانع من النظر إلى أحوال الغرب ولا سيما المستقرة منها والتي تعود على المسلمين بالخير ونقلها إلى بلادهم، والاستفادة بها في حياتهم!!.

(١) راجع ما دعا إليه طه حسين فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر)، وجدير بالذكر نقل ما كتبه عنه الأستاذ أنور الجندى : فى كتابه شهادة العصر والتاريخ ص ١٢ حيث قال: "لقد كان طه حسين هو قمة أطروحة التغريب وأقوى معاقلها، ولذلك كان توجيهه ضربة قوية إليه هي من الأعمال المحررة للفكر الإسلامى من التبعية".

(٢) وهو موقف كثير من علمائنا وأدبائنا الأطهار أمثال الرافعي والطنطاوي ونجيب الكيلاني وأحمد با كثير وعمر الأميري ومحمد بن حسين وحلمي القاعود وعدنان النحوي ووليد قصاب وحسن الهويميل وعبد الرحمن العشماوي وعبد المعطي الدلاتي وغيرهم من القدوات الإسلامية الكبيرة.

(٣) (صحيح): مسلم ١٤٤٢، أبو داود ٣٨٨٢، الترمذى ٢٠٧٦، النسائى ٣٣٢٦، ابن ماجه ٢٠١١.

وقد أثبت العلماء من هذا الحديث أن للنبي ﷺ اجتهادًا خاصًا به، إن كان صوابًا أقره الله عليه، وإن كان خلاف ذلك نزل الوحي بتصحيح الأوضاع، والتوجيه إلى ما هو أحسن من السياسات والقرارات، ونظرة العلماء هذه تدعم موقفنا.

وَعَنْ أُسْرِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ<sup>(١)</sup> (لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ كِتَابًا قَالُوا إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا قَالَ فَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقَشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ).

فالنبي ﷺ لم يَأْبَ هذا الخاتم بل قبله لأنه ليس هناك تأثير على دين الله بل هو من الأمور التنظيمية التي دعا إليها الدين، فلا غضاضة من الاستفادة من فارس أو الروم ما دام دين الله في مأمن وحياة المسلمين تسير إلى أحسن!!.

ويمكن أن ننظر إلى هذه القضية أيضًا من خلال الأحكام الشرعية، فقد قسم العلماء الأحكام الشرعية إلى خمسة أحكام؛ الواجب، والمندوب، والمحرم، والمكروه، والمباح، فالأربعة الأولى لا سبيل لنا عليها وهي من الأصول التي لا تقبل الأخذ والعطاء، أم المباح فهو الذي يبدع فيه الإنسان ويجتهد في الدنيا ليصل إلى أرقى مستوى فيه، وهذا عين ما قاله النبي ﷺ للصحابة في تأبير النخل، أنتم أعلم بأمور دنياكم، فإن كلامه كان من قبيل المباح والخبرة التي أمرنا بالاجتهاد فيها.

فتيار الوسط التجديدي هذا يسعى إلى الاحتفاظ بالدين كمنهج حياة والسعى للرقى بالحياة الدنيا في منظومة متوافقة الأطراف، ونقل ما تدعو إليه حاجة المسلمين من الغرب ليرتقوا حضاريًا ويرتفعوا إلى مصاف الدول المتقدمة، وبتعبير آخر الحفاظ على الأصالة النقية، وجلب المعاصرة النافعة للمسلمين.

(١) (صحيح): البخاري ٦٥، مسلم ٢٠٩٢، أبو داود ٤٢١٤، الترمذي ٢٧١٨، النسائي ٥٢٠١.

وليس معنى كلامى هذا -من وجه آخر- أننى أدافع عن موروث الحضارة الإسلامية كاملاً، فهناك موروث الزهد والتواكل الذى قد يصل إلى حد العزوف عن الدنيا وهناك موروث الصوفية الذى قد يصل إلى تعذيب الجسد تقريباً إلى الله، فهذا موروث مرفوض لأنه باختصار مخالف لمنهج النَّبِيِّ ﷺ وخير الهدى؛ هدى محمد ﷺ وعلى هذا المنهج لا نقبل كل الوافد أيضاً فيجب أن نُمسك بمصفاة الإسلام التي تسمح لما هو خير أن ينفذ إلى واقعنا وحياتنا وتمنع كل شر أن يتغلغل إلى مجتمعنا فتسمح للعلوم الطبيعية من فيزياء وكيمياء ورياضة وفلك وتقدم علمى وتقنى.. إلخ بالنفاذ ما لم تخالف شريعة الإسلام، وتمنع العلوم الإنسانية من فلسفة وقانون واجتماع من التغلغل في مجتمعنا.

وعلى سبيل المثال في القضايا التي لا نقبلها من الوافد قضية حقوق الإنسان بالمعنى والمفهوم الغربى<sup>(١)</sup>، وقضية المساواة بين الرجل والمرأة، وقضية الحريات المطلقة، وقضية رفض تعدد الزوجات.

ومن الأشياء التي نقبلها من الحضارة الوافدة؛ التقنيات الحديثة في وسائل المواصلات والاتصال، والحاسبات، والمخترعات... إلخ.

فبهذا الانتقاء ندعو إلى وسطية إسلامية واعية، ليست بالمعنى المظلوم الذى شاع بين الناس من انعدام الوضوح وافتقاد المواقف المحددة واللعب على مختلف الحبال، وإمساك العصا من منتصفها... إلخ، وإنما نعنى المفهوم الإسلامى للأمة الوسط والموقف الوسط الذى هو عدل بين ظلمين وحق بين باطلين واعتدال بين تطرفين ليس بالمعنى الأرسطى الذى يجعل الفضيلة وسطاً بين رذيلتين متصوراً وجود مسافة عن يمين الفضيلة وعن يسارها متساوية تفصل بينها وبينهما، وإنما بمعنى اشتغال الموقف الوسط على محاسن القطبين

(١) راجع كتابنا (حقوق الإنسان فى الإسلام) طبعة دار العلياء - القاهرة.

النقيضين التي يمكن جمعها والتأليف بينها.

التأليف بين النقل والعقل، والمادة والروح، والدنيا والآخرة، والفردية والاجتماعية.

### كلمة أخيرة

إن غاية ما أدعو إليه هو التحذير من تقليد الغرب فيما نهى عنه ديننا وحذرنا منه، وتشتد خطورة التقليد عندما يكون في أمر هم أولى به منا، ونحن أحوج إلى غيره منهم، فتقليدهم في الفن والغناء والرقص والنحت والتصوير واللعب بالكرة.... إلخ هم أولى به منا لأنه قد تم لهم البناء، وتقليدهم في الصناعات والتكنولوجيا والتقنيات الحديثة نحن أحوج إليه منهم لأننا أمة حديثة الوعي تريد أن تلحق بركب الحضارة المادية واستجلاب بعض أسباب القوة<sup>(١)</sup>.

إن الانصراف إلى الفن شغل الذين تمّ لهم البناء، أما الذين لم يبدأوا بالبناء بعد، أو بدأوا متأخرين، فمن أكبر الجرائم صرفهم عن الاهتمام في تقوية البناء، إلى الاهتمام بالرسم والغناء، وعن الاختراع إلى رقص الإيقاع، وعن صنع الحياة إلى رسم الحياة؛ فإنه لم تهزم أمة أخرى بالفن، ولكنما هزمتها بالقوة، ومن التضييل أن يعتبر الفن من وسائل القوة.

وعلى سبيل المثال إسرائيل لا تُعدُّ لغزونا فرقاً من الراقصات والمغنيات والرسّامين، ولكنها تُعدُّ فرقاً من الفدائيين، وأساطيل في الجو والبحر، وقذائف للهلاك والتدمير، فهل يفهم هذا "المنحلون" و "البغاوات" و "المتآمرون" و "الكسالى" و "الوجوديون" و

(١) قلت: (بعض أسباب القوة) حتى لا يتوهم أن السبب الرئيس لعجز الأمة هو تأخرها التقني والعسكري وتفرقها فحسب، والحقيقة أنه سبب هام بلا شك ولكنه ليس السبب الأساسي، لأن سنة الله اقتضت أن النصر الحقيقي التام لا يتحقق لأمتنا إلا بالعودة الصادقة إليه والاستقامة على أوامره حتى لو تقدمت مادياً وعسكرياً واتحدت، ولكنني أركز على هذه الجزئية فحسب.

"المستغربون" و "المفتونون"؟.

ألا فليعلموا إنه إذا كان الفن يصقل المواهب وينمّي الشعور بالجمال، فإن الأمة المحاطة بالأعداء، في حاجة إلى ما يفتل السواعد، ويلهب الإيمان، ويقوي الأخلاق، ويفتح العقول، ويدفع عن الأمة خطر الإبادة أو الاحتلال.

ولقد رأيت في التاريخ القديم والحديث أمثلة لأمم متعادية تسعى كل واحدة منها لاستجلاب أسباب القوة سعيًا حثيثًا كما كان بين الفرس والروم قديمًا، وكما يحدث الآن بين كوريا الجنوبية والشمالية، وكما بين الهند وباكستان في هذا العصر.

ولم أر في التاريخ أبدًا مثل ما يحدث بيننا وبين إسرائيل؛ إحداهما تسعى لامتلاك القوة بكل ما تملك من طاقات وقدرات والأخرى تسعى للسلام المزعوم، خلافًا لقول ربنا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال ٦٠].

سلوا التاريخ هل أفل نجمنا إلا يوم سطعت نجوم المغنيين وقويت دولة الراقصات في سماء حضارتنا؟

أيها العقلاء أنا أخاطب فيكم العقل والفهم، هل من الحكمة أن يعمل أعداؤنا بما في قرآننا وتعرض نحن عن قول ربنا!!

أي عاقل مخلص يود أن يكون لنا نجوم في التمثيل والتلفزيون، ومجلّون في الرسم والغناء، قبل أن يكون لنا أبطال في الحروب، وعلماء في المختبرات، ومخترعون في الصناعات، وأقوياء في الإيمان والأخلاق؟

أليس من دواعي الأسى، أن تكون لإسرائيل صواريخها، ومعاملها النووية، ويكون لنا تلفزيون، وفرق للرقص والتمثيل، وليس لنا صواريخ، ولا مفاعلات ذرية؟

أيها العقلاء هل يشفي المريض المدنف باقة من الزهر، أم حقنة من البنسلين؟ وهل يكفي الجائع لحن مطرب، أم رغيف مشبع؟ وهل يسعد الفقير أن تزين له جدرانه

بالرسوم، أم أن تهییء له ما یحتاجه من أثاث؟ وهل یخاف العدو إذا كنت تحسن الرقص، أم إذا كنت تحسن صناعة الموت؟

أیها الحکام أیها الزعماء خذوا من أمتنا مائة مصور، وأعطوها طیاراً واحداً، وخذوا منها ألف مغنٍ وأعطوها مخترعاً واحداً، وخذوا منها كل العابثین واللاهین وأعطوها مُجدداً واحداً.

هاتوا لنا جمیع الرسامین، والممثلین والمغنین والراقصات والراقصین، ثم احشدوهم جمیعاً وانظروا هل یردون عنا خطر قبيلة ذریة، أو صاروخاً موجهاً؟.

نحن فی حاجة إلى مخترعین ومخترعات، أشد من حاجتنا إلى فنانین وفنانات، ومع ذلك فكل الجوائز وكل الفرص وكل الأنوار تسلط على هؤلاء، ویحرم منها أولئك، وما رأیت يوماً جائزة خصصت لشاب مکتشف أو مخترع، وأرى كل یوم عشرات الجوائز للشباب المتفوقین بالرسم والتصویر والموسیقی والغناء، فهل هذا دلیل على جدنا فی الانضمام إلى ركب الحضارة، والخلاص من أعدائنا المتربصین؟ أم نحن قوم غافلون، أو مخدوعون، أو مضللون؟

أیها العابثون المراهقون، أیها الفنانون والمغنون والراقصون والراقصات، ستکونون أول من ینهزم فی معارك البطولات، وستکونون أول من یفرّ منها إذا لم تحبوا قلوبکم بالإیمان، وتفتحوا عقولکم بالعلم، وتسموا بنفوسکم بالأخلاق، قبل أن تنموا أذواقکم بالفن، وترضوا شهواتکم بالرقص والغناء.

## الفصل الثاني مخالفتهم في العقيدة

### تمهيد

الأنبياء عقيدتهم واحدة؛ لذا؛ قال ﷺ <sup>(١)</sup> «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّتْ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» ولكن الأمم السابقة غيرت وحرقت وبدلت وعصت الله ورسله، ومن ثم حذرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ من مشابهتهم في هذه الأمور؛ لأنها تنتمي إلى العقيدة، والداني منها على خطر عظيم، والاختلاف فيها غير سائغ بخلاف العبادات والمعاملات.

وقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في البعد عنها أو الاقتراب منها، ويبقى الدور على الخلف الذين أتوا منها بعض الشيء، وتردوا في حمايتها، وفسروها على وفق هواهم، وتأولوها لمصالحهم ومآربهم.

فأسأل الله أن ينجينا جميعاً منها، من هذه الأشياء

### عصيان أوامر الله

إن استقبال أوامر الله ورسوله ﷺ بالعصيان من سمات أهل الكتاب؛ اليهود والنصارى، وهى صفات لا تليق بالعبودية، فضلاً عن أنها عصيان للخالق رب العزة والجلال، فمن ثم حذرنا رسولنا ﷺ من التخلق بهذا الخلق.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ <sup>(٢)</sup> لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) (صحيح): البخارى ٣٤٤٢، مسلم ٢٣٦٥، أبو داود ٤٦٧٥.

(٢) (صحيح): مسلم ١٢٥.



قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٨٤﴾ قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ فَقَالُوا أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ كَلَّفَنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا يُطِيقُهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلِكَ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ نَعَمْ ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ نَعَمْ.

أى أن الإنسان لا يُحاسب إلا على ما كسبته يده أما حديث النفس فمعفي عنه كما قال ﷺ (١) «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»

فانظر إلى قول النبي ﷺ يحذرهم، أتريدون أن تكونوا مثل بنى إسرائيل يقولوا سمعنا وعصينا!!

"وهم لم يقولوا سمعنا وعصينا جملة واحدة إنما قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك، لقد قالوا بأفواههم سمعنا، وقالوا بأعمالهم عصينا، والواقع العمل هو الذى يمنح القول

(١) (صحيح): البخاري ٥٢٦٩، مسلم ١٢٧، أبو داود ٢٢٠٩، الترمذي ١١٨٣، النسائي ٣٤٣٣، ابن ماجه ٢٠٤٠.

الشفوى دلالتة، وهذه الدلالة أقوى من القول المنطوق، وهذا التصوير الحى للواقع يومئ إلى مبدأ كلى من مبادئ الإسلام؛ إنه لا قيمة لقول بلا عمل، إن العمل هو المعتبر أو هى الوحدة بين الكلمة المنطوقة والحركة الواقعة" (١).

وهذا خطاب من الرسول ﷺ للمؤمنين أن من آمن بالقرآن لزمه العمل بما فيه؛ من أوامر واجتناب ما فيه من نواه، والواقع العملي اليوم في حياة كثير من المسلمين ولسان حالهم (سمعنا وعصينا)؛ فكم من مسلم لا يصلى الفجر، وإن كان على سفر لم ينم ليلة الليل، وكم من مسلم لا يؤدي زكاته؛ حتى غدا المجتمع المسلم يُعجُّ بالفقراء، وكم من مسلم يتحاكم إلى غير شرع الله، بل كم من بلد إسلامي نحى شريعة الله وعطلها، وتحاكم إلى شريعة أوربا وأمريكا؛ فلا يستطيع من له أدنى معرفة بالإسلام إلا أن يصف هذا الحال بقوله (سمعنا وعصينا)!!

### الافتراء على الله

إن الله هو الغنى، الغنى المطلق الذى لا يضاهيه فيه مخلوق، ولكن اليهود بوقاحتهم المعهودة حسبوا أنفسهم أغنياء عن الله، ولا حاجة بهم إلى جزائه، ولا إلى الأضعاف المضاعفة التي أعدها لمن يبذل في سبيله، وهو ما يسميه تفضلاً منه ومئة إقراضاً له سبحانه، قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [الحديد ١١]، فقالوا في وقاحة وافتراء على الله ما بال الله يطلب إلينا أن نقرضه من مالنا ويعطينا عليه الأضعاف المضاعفة، وهو ينهانا عن الربا والأضعاف المضاعفة، وهو تلاعب بالألفاظ؛ ينم عن الوقاحة وسوء الأدب في حق الله، ثم قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران ١٨١]

(١) سيد قطب، الظلال بتصرف.

يا كاذبًا فيما تقول قد زُلزِلت      الأرضُ ممّا قُلتَه زلزالها<sup>(١)</sup>  
لَو نَادَتِ الْأَكْوَانُ مِنْ ذَا الْعَلَا      رَبًّا لَسَادَتِ رِبَهَا بِهَا لَهَا  
هَـذِي الْمَقَالَةُ افْتِرَاءٌ بِلَا امْتِرَا      تَبِتَ يَدَايَا رِبِنَا مِنْ قَالِهَا  
لَا دِينَ يَرُدُّعُهُ وَلَا عِلْمَ لَهُ      إِلَّا رَوِيْعِي شَاتِهَا وَإِبَالِهَا

"وهذه المقالة سوء تصور من اليهود للحقيقة الإلهية، وهو شائع في كتبهم المحرفة، ولكن هذه تبلغ مبلغًا عظيمًا من سوء التصور ومن سوء الأدب معًا، ومن ثم يستحقون النار وبئس المصير.

فإنه لم يرتكب شعب في الدنيا جرائم شنيعة مثل اليهود، ولم يقتصر إجرامهم على البشرية، وإنما تجاوز ذلك إلى الله فقالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [البقرة: ١٨١]، لذا؛ قرعهم الله تعالى في القرآن الكريم وهددهم وأنذرهم بعذاب النار على أفعالهم.

والسلف والخلف منهم راضون بتلك الجرائم، لذا؛ صحت نسبة الجريمة إلى المتأخرين منهم وإضافتها إليهم، مع أن القول السابق حدث من أسلافهم، وكان بينهم نحو سبع مئة سنة، وهذا يدل على أن الرضا بالمعصية معصية، قال ﷺ<sup>(٢)</sup> «إِذَا عُمِلَتْ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ أَنْكَرَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا».

وقد أكد اليهود نسبة الفقر إلى الله على سبيل المبالغة والإغراق في الكفر، ووصفوا أنفسهم بالغنى بجملة اسمية دون تأكيد؛ للدلالة على أن الغنى وصف لازم لهم لا يحتاج لمؤكد<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو بكر العيدروس ٨٥١ - ٩١٤هـ

(٢) (حسن): أبو داود ٤٣٤٥، صحيح سنن أبي داود ٣٦٥١.

(٣) سيد قطب الظلال بتصرف.

قال القرطبي " لما أنزل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قال قوم من اليهود<sup>(١)</sup> إن الله فقير ونحن أغنياء يقترض منا، وإنما قالوا هذا تمويهًا على ضعفائهم، لا أنهم يعتقدون هذا، لأنهم أهل كتاب ولكنهم كفروا بهذا القول لأنهم أرادوا تشكيك الضعفاء منهم ومن المؤمنين وتكذيب النبي ﷺ أى أنه فقير على قول نبينا محمد ﷺ لأنه اقترض منا<sup>(٢)</sup> .

وهذا بخلاف سماع المؤمنين لهذه الآية، ووقعها على أسماعهم، فعن أنس بن مالك قال<sup>(٣)</sup> كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أَوْ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ» .

ولكن مع أسف شديد نرى من يتشبه باليهود من بنى جلدتنا هذه الأيام ويفترى على الله دون رادع من سلطان أو دولة، فهذا أحدهم يقول في رواية مليئة بالتطاول السافر على المقدسات الدينية؛ يسب فيها الله عز وجل، ويسخر علنا من القرآن العظيم، ويرمى سيد الخلق ﷺ بالفسق والزنا، مع الدعوات المتكررة للفسق والفجور وتهيج الغرائز الجنسية،

(١) منهم حيي بن أخطب في قول الحسن، وقال عكرمة وغيره: فنحاض بن عازوراء

(٢) التفسير ٤/ ١٨٧ .

(٣) (صحيح): البخاري ١٤٦١، مسلم ٩٩٨، أبو داود ١٦٨٩، الترمذي ٢٩٩٧، النسائي ٣٦٠٢ .

يقول<sup>(١)</sup> " لا بد أن ربك فنان فاشل إذن.. "

ويقول " أقام الله مملكته الوهمية في فراغ السموات.... "

ويقول " إن رب هذه الأرض كان يزحف وهو يتسلل من عصور الرمل والشمس ببطيء السلحفاة ".

بهذه الألفاظ الكفرية يسخر الكاتب من الذات الإلهية، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً وليس اللوم عليه وحده ولكن اللوم الأكبر على الدولة التي لا تحمى جناب الإسلام، ولا تقيم لشرعه قائمة، فإن لله وإنا إليه راجعون.<sup>(٢)</sup>

### إيذاء الأنبياء

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، نداء من الله تعالى إلى المؤمنين، يحذرهم فيه من سلوك طريق اليهود في إيذائهم نبيهم موسى ، حيث عابوه وظنوا به ظناً سيئاً قال القرطبي " حذر الله المؤمنين من التعرض للإيذاء، ونهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في أذيتهم بنبيهم موسى " <sup>(٣)</sup>.

(١) القائل هو المفترى حيدر حيدر السورى، فى رويته البتراء (وليمة لأعشاب البحر)، سلسلة آفاق الكتابة - العدد ٣٥ - الهيئة العامة لقصور الثقافة، والتي تقع فى ثمانية فصول، عناوينها بالترتيب: الخريف - الشتاء - الربيع - الأهوار - الحب - نشيد الموت - ظهور اللويثان - الموت.

(٢) لقد احتفظت حضارتنا بتراث أوغل فى الفحش بل الكفر مثل: أشعار أبى نواس وكتاب الأغاني للأصفهاني، وإخوان الصفا والفرق المختلفة التي زاغت عن الإسلام، ولكن الفرق أن المجرى الرئيسي لنهر الإسلام كان يومها سليماً، ولم يكن يضره كثيراً أن يبول كلب أو خنزير فيه، لكن عندما يكون الماء راكداً، وليس لدينا سواه، ونحن تائهون فى البيداء وفى الهجير فكيف نسمح للكلاب أن تبول فى مائنا الأخير ١١٩٩

(٣) التفسير ١٤/١٦٠.

ورغم أن إيذاء اليهود لموسى كان بسبب خاص إلا أن النهى جاء للمؤمنين عام في كل ما يُطلق عليه إيذاء.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ <sup>(١)</sup> «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاءَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ أَذْرُ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي يَا حَجَرُ حَتَّى نَظَرْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا».

فلم يحدد القرآن نوع إيذاء موسى ليحذر المؤمنون من كل ما يؤذى النبي ﷺ كأنه يقول أيها المؤمنون بالله ورسوله، لا تؤذوا الرسول ﷺ بالقول أو الفعل، مما يكرهه، ولا يجبه، ولا تكونوا مثل الذين آذوا موسى؛ كتعيبه كذباً وزوراً، أو تعجيزه بطلب رؤية الله جهراً ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، أو تركه يُقاتل وحده ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤]، أو مطالبته بأنواع الطعام ﴿لَنْ نُصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

ومن مظاهر إيذاء النبي ﷺ؛ أن تأتي سنته بالفعل أو الترك، أو الأمر أو النهى، فلا يأخذ بها المسلمون، ويُعرضون عنها، أو يُمرروها على عقولهم أولاً، فإن وافقت العقل أخذوها، وإن لم توافق لم يأخذوها، حتى غدت كثير من السنن في طي الضياع أو الإهمال، فإذا قام عالم من أهل السُّنة يُقيم سُنَّة من هذه السنن، تجد المحاربة، والتبديع، بل والتكفير في بعض الأحيان؛ فأَيُّ إيذاء للنبي ﷺ أعظم من هذا.

وأي إيذاء للنبي ﷺ أعظم من الاستخفاف بمن يقيمون سنته، أو يُدافعون ويُنافحون عنها، إنه والله هو الإيذاء الأعظم، والذنب الأكبر، كيف لا وهو القائل «عليكم بسنتي»

(١) (صحيح): البخاري ٢٧٨، مسلم ٣٣٩، الترمذي ٣٢٢١.

وهو القائل أيضاً «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» نسأل الله العفو والمغفرة.

ومن صور إيذاء النبي ﷺ أن تظن به ظناً سيئاً، فبعض المؤذين لرسولنا ﷺ في تفسيرهم لهذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب ٣٧] في قصة زواجه من زينب بنت جحش، زوجة زيد بن حارثة؛ الذي كان يدعى زيدا (ابن محمد)، قالوا بجهتاً وزوراً إن النبي ﷺ دخل عليها ونظر إلى ساقها، فأعجب بها، وتمناها لنفسه، وأحبها، وأخفي ذلك في نفسه<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يليق بإنسان مسلم فكيف بالنبي ﷺ، ولكن الأمر كما يقول القرطبي "إن الله أطلعه من علم الغيب أنه سيتزوج زينب بعد أن يطلقها زيد، فجاء زيد يوماً يشتكى إليه ترفع زينب عليه، فقال له النبي ﷺ اصبر، ولم يأمره بتطليقها، فكان النبي ﷺ يخفي في نفسه ما سيكون من التطليق، ويخشى كلام الناس أن يقولوا تزوج بامرأة ابنه، وكان هذا عيباً عندهم فأبطله الله".

النَّاسِ مِمَّنْ ذَلَّتْ لَهُ الْعُظَمَاءُ<sup>(٢)</sup>  
فَاعْتَرَاهُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ حَيَاءٌ  
أَوْقَعَتْ بَيْنَ ذَيْنِكَ الشَّحْنَاءُ  
أَمْسَكَ وَالْأَمْرُ مِنْهُ ابْتِلَاءُ  
عَتَبَ مِنْهُ وَهَكَذَا الْأَصْفِيَاءُ  
لِعَتَابِ حَبِيبِهِ إِبْدَاءُ

لَمْ يَكُنْ يَخْشَى النَّاسَ بَلْ كَانَ أَخْشَى  
كَانَ يُوحَى تَزْوِيجُهُ بِنْتَ جَحْشٍ  
وَأَبَى الْأَمْرَ بِالطَّلَاقِ إِلَى أَنْ  
فَاسْتَشَارَ زَيْدًا فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ  
رَجَعَ الْمُصْطَفَى عَلَى نَفْسِهِ بِالِ  
فَعَتَابِ الْإِلَهِ جَلَّ ثَنَاهُ

(١) من أخطر مزاعم طه حسين أن النبي ﷺ أحب زينب وهي زوجة لزيد، وقد احتطب هذه الروايات من رديئ المفسرين.

(٢) حمدون بن الحاج السلمي ١١٧٤ - ١٢٣٢هـ

أَفْصَحَتْ بِالَّذِي جَلَوْتُهُ أَثَارٌ      صِرَاحٌ وَغَيْرَ ذَاكَ جَفَاءُ  
قَدْ تَعَالَى النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ      رَبُّهُ أَنْ تُرَى لَهُ فَحْشَاءُ

ومن صور إيذاء النبي ﷺ هذه الأيام أن تصدر روايات ودواوين شعرية وأدب ماجن يهزأ من نبينا ﷺ كما فعل أحد الهالكين في رواية تباع لشباب العالم الإسلامي، سرد فيها ما تشتعل من قحته الرؤوس وتذوب من قبحة النفوس، فقد سخر المعتدي الظالم بالأنبياء وقدر سيرتهم العطرة، فوصف عيسى بأنه معتوه ضعيف العقل لا يغار على امرأته!!، وأن نبينا وحبينا محمداً ﷺ زير نساء ومدمن خمر!!<sup>(١)</sup>

والعجيب أن تسكت حكومة بلد الأزهر التي من شأنها حماية جناب التوحيد، بل الأدهى من ذلك أن تفتح له الأبواب والصحف والتلفزيون كأن هذه البلاد ليس فيها مسلمون!!<sup>(٢)</sup>

فهذه صيحة نذير أرجوا من الله العلي القدير أن تجد صدى لدى العقلاء من أمتنا وإلا سنندم جميعاً يوم أن نجد أماننا ما لا نُحمد عقباه!!.

(١) القائل هو نجيب محفوظ في روايته الموسومة (أولاد حارتنا)، يقول الناقد الإسلامي الكبير حسن الهويل: إن نجيب محفوظ لا يحمل همّاً عربياً ولا قومياً ولا إسلامياً في كل رواياته وأنه لم يخدم الأدب العربي ولا الإسلامي ولا يهمه ذلك، وهو في الحقيقة يخدم المؤسسات الماسونية المناهضة والمحاربة للإسلام، وعندما لم تجد هذه المؤسسات أي ملاحظات إسلامية عليه ولا على أدبه قامت بمنحه جائزة نوبل.

(٢) مشكلتنا هي أن معظم من يتصدرون الساحات الثقافية ليسوا مثقفين حقيقيين، بل هم البدائل الفارغة المضمون التي وضعتهم السلطة مكان المثقفين الحقيقيين، نعم، مثقفون غير مثقفين، وهذا ليس غريباً في عالمنا العربي، فثمة جيوش لا تحارب أبداً، وثمة أجهزة أمن لا تفعل إلا ترويع الأمنين، وأجهزة إعلام لا هم لها إلا حجب الحقائق ونشر الأكاذيب، وأجهزة تعليم تجهل، فما الغرابة إذن أن يكون جل مثقفينا الرسميين غير مثقفين؟ هذا واقعنا، وعلينا أن نعترف به لا أن نستسلم له، والاعتراف بالحق دائماً فضيلة، لكنه أحياناً يكون فضيحة!!.



## السحر

لقد حرص الإسلام في كل تشريعاته على سلامة العقيدة في قلب المسلم؛ ليكون دائماً وأبداً متصلاً بالله، معتمداً عليه، مقرأً له بالربوبية، مستعيناً به على شدائد هذه الحياة، لا يتوجه لغيره في دعاء، ولا يقر لسواه بأى تأثير أو تحكم في قانون من قوانين الطبيعة التي خلقها الله تعالى، وسيرها بعلمه وقدرته وإرادته.

فإن زعم إنسان أنه يعلم الغيب، باتصاله بالكواكب، وتعظيمه لها، أو اتصاله بالجن والشياطين، ويستطيع بذلك أن يؤثر في قوانين هذه الحياة، ويحكم مسيرتها الطبيعية بما يخرجها عما رسم لها، يكون بذلك قد خالف شرعة الله التي أوضحها في كتابه، وتجاوز الحدود التي وضعت له، وخرج عن قانون الحنيفية السمحة، فلا جرم أن يحكم عليه بالكفر لتعظيمه غير الله، واستعانه بغير الخالق، وإثباته التأثير في خلق الله لغير البارئ، والمسلم يعلم -بما علمه الله- أن الساحر قد يستطيع إيصال الضر والبلاء والأذى بالناس، وقد يصل بذلك إلى التفريق بين المرء وزوجه، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذن الله تعالى.

قال علماء اللغة<sup>(١)</sup> السحر هو عمل تُقَرَّبُ فيه إلى الشيطان، وهو صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه؛ أى صرفه.

والسحر من الكبائر ومن الموبقات، جمع موبقة وهى الخصلة المهلكة، وهو من عادات أهل الكتاب لأنهم لا يبالون بالشرك، قال ﷺ<sup>(٢)</sup> «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ

(١) اللسان مادة (سحر).

(٢) (صحيح): البخاري ٢٧٦٧، مسلم ٨٩، أبو داود ٢٨٧٤، النسائي ٣٦٧١.

اللَّهُ وَمَا هُنَّ قَالَ الشَّرِّكَ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ.....» وقال تعالى عنهم ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فأخبر تعالى أن من يتعاطى السحر كافر.

وأخبر النبي ﷺ أن حكمه القتل، فعن جندب قال<sup>(١)</sup> «حَدَّثَ السَّاحِرُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ».

قال القرطبي " هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضاً وهم اليهود، وقال السدي عارضت اليهود محمداً ﷺ بالتوراة، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة، وأخذوا بكتاب آصف، وبسحر هاروت وماروت، وقال تعالى أَيْضاً ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١] " <sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير "أي؛ نبذت طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد ﷺ وراء ظهورهم، أي؛ تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه، ولهذا أرادوا كيداً برسول الله ﷺ، وسحروه في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، تحت راعوفة ببئر أرون، وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له لبيد بن الأعصم، لعنه الله وقبحه، فأطلع الله على ذلك رسوله ﷺ وشفاه منه وأنقذه".

ويا للأسف كثير من الجاهل والظلمة وضعفاء الإيمان في أيامنا هذه يذهبون إلى السحرة لعمل سحر؛ يعتقدون به على أشخاص، أو ينتقمون منهم، فكم من بيوت خربوها، وكم

(١) (ضعيف): الترمذي ١٤٦٠، ضعيف الجامع ٢٦٩٩، واتفق السلف على وجوب قتل الساحر وكذا قول أبي حنيفة ومالك وأحمد، ويرى الشافعي أنه يقتل إن كان كافراً.

(٢) (٢) التفسير ٣٠/٢.

من أُسرٍ دمروها، وكم من بلية جلبوها، فليتيق الله عبداً استعان بساحر، وليعلم أنه أقدم على كبيرة، وولج من باب الكفر، وليتيق الله من يلجأون إلى الساحر لفك سحر؛ فالواجب اللجوء إلى الله والاستشفاء بكلامه؛ كالمعوذات وغيرها، هدايا الله إلى ما يحبه ويرضاه.

### التطير

التطير مصدر تطير، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكن مصدر أيضاً لهذا الفعل؛ مثل تحير خيرة، ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، ومعناها الاستدلال من طيران الطائر، أو من رؤية شيء، أو سماع صوت على ما سيحصل للإنسان، وقد كان العرب يزجرون الطير من أماكنها، فإن طارت يميناً استبشرت، وإن طارت شمالاً تشاءمت. والتشاؤم نوع من التطير إذا كان رد الفعل مكروهاً، ويقابله التفاؤل، والفأل إذا كان رد الفعل مقبولاً.

"وحين تنحرف الفطرة عن الإيمان بالله فإنها لا ترى أثر نعمته وَجَلَّ في تصريف هذا الوجود، ولا ترى قدره الذي تنشأ به الأشياء والأحداث، وعندئذ تفقد إدراكها وحساسيتها بالنواميس الكونية الثابتة النافذة؛ فتفسر الحوادث تفسيرات منفصلة منعزلة، لاصلة بينها، ولا قاعدة، ولا ترابط، وتهيم مع الخرافة في دروب ملتوية متفرقة، ولا تلتقي عند قاعدة، ولا تجتمع وفق نظام.

فأبطل الإسلام هذا التفكير الخرافي، وأحل محله التفكير العلمي الصحيح، وأرجع الأمور إلى سنن الله الثابتة في الوجود، ولكن ما زال أناسٌ في عصرنا الحالى يتشاءمون ويتطرون بأشياء وأشخاص وموجودات؛ وهذا مخالف لقواعد الإسلام، ومشابه لقواعد الجاهلية وأهل الشرك والخرافة والجهالة" <sup>(١)</sup>.

(١) سيد قطب، الظلال بتصرف.

فعن معاوية بن الحكم السلمي قال <sup>(١)</sup> قلت يا رسول الله إنا حديثٌ عهدٌ بجاهلية فجاء الله بالإسلام وإن رجالاً منا يتطيرون، قال «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّهُمْ»....».

قال النووي "معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة، ولا عتب عليكم في ذلك، فإنه غير مكتسب لكم فلا تكليف به، ولكن لا تمتنعوا بسببه عن التصرف في أموركم، فهذا هو الذي تقدرون عليه وهو مكتسب لكم فيقع به التكليف، فنهاهم ﷺ عن العمل بالتطير والامتناع عن تصرفاتهم بسببها".

قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف ١٣١] قال القرطبي "كانت العرب تتيمن بالسانح؛ وهو الذي يأتي من ناحية اليمين وتتشاءم بالبارح؛ وهو الذي يأتي من ناحية الشمال، وكانوا يتطيرون أيضاً بصوت الغراب، ويقولون (من لى بالسانح بعد البارح)، فجاء الإسلام بالنهي عن التطير والتشاؤم بما يسمع من صوت طائر كان، وعلى أى حال كان، فقال ﷺ <sup>(٢)</sup> «أَقْرِؤُوا الطَّيْرَ عَلَى مَكِنَاتِهَا» وذلك أن كثيراً من أهل الجاهلية كان إذا أراد الحاجة أتى الطير في وكرها فنفرها؛ فإذا أخذت ذات اليمين مضى لحاجته؛ وهذا هو السانح عندهم، وإن أخذت ذات الشمال رجع؛ وهذا هو البارح عندهم، فنهى النبي ﷺ عن هذا بقوله «أَقْرِؤُوا الطَّيْرَ عَلَى مَكِنَاتِهَا» <sup>(٣)</sup>.

وقال عكرمة "كنت عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير، خير

(١) (صحيح): مسلم ٥٣٧، أبو داود ٩٣٠، النسائي ١٢١٧.

(٢) (صحيح): أبو داود ٢٨٣٥، الترمذي ١٥١٦، النسائي ٤٢١٥، ابن ماجه ٣١٦٢، صحيح الجامع ١١٧٧.

(٣) التفسير ١٦٩/٧.

فقال ابن عباس (ما عند هذا خير ولا شر).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال <sup>(١)</sup> «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ قَالَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». وفي خبر آخر قال <sup>(٢)</sup> «فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

والتطير والتشاؤم من أخلاق الكفار، وهو خلق ذميم لأنه يحصل به سوء ظن بالله، وهروب من قضائه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة فاحشة، وسوء اعتقاد، ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر فقد أشرك، قال ﷺ <sup>(٣)</sup> «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ....» وهذا بخلاف الفأل فإنه ﷺ كان يحب الفأل، فعن أبي هريرة قال <sup>(٤)</sup> (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ) والفأل الحسن هي الكلمة الصالحة يسمعها ويكره الطيرة؛ لأن مصدر الفأل عن نطق وبيان فكأنه خبر جاء عن غيب، بخلاف الطيرة لاستنادها إلى حركة طائر أو نطقه، ولا بيان فيها، بل هو تكلف من متعاطيه.

وقال ﷺ <sup>(٥)</sup> «لَا عَدَوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ».

وقال ﷺ <sup>(٦)</sup> «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ».

(١) (صحيح): صحيح الجامع ٦٢٦٤.

(٢) (ضعيف): أبو داود ٣٩١٩، ضعيف الجامع ١٩٩.

(٣) (صحيح): أبو داود ٣٩١٠، الترمذي ١٦١٤، ابن ماجه ٣٥٣٨، صحيح الجامع ٣٩٦٠.

(٤) (صحيح): ابن ماجه ٣٥٣٦، صحيح الجامع ٤٩٨٥.

(٥) (صحيح): البخاري ٥٧٥٦، مسلم ٢٢٢٤، أبو داود ٣٩١٦، الترمذي ١٦١٥، ابن ماجه ٣٥٣٧.

(٦) (صحيح): البخاري ٥٠٩٤، مسلم ٢٢٢٥، أبو داود ٣٩٢٢، الترمذي ٢٨٢٤، النسائي ٣٥٦٩، ابن ماجه ١٩٩٥.

وقد علق ابن القيم على ذلك بقوله "الفأل ليس فيه شرك، بل فيه تقرير لطبيعة الإنسان في حب الخير وكرهية الشر، كما يحب الصوت الحسن والرائحة الطيبة والأخبار السارة عن الخصب والصحة والانتصار، مع اعتقاد أن هذه الأمور لا تؤثر أبداً إلا بإذن الله، كما في التشاؤم بالدار، والتشاؤم قد يؤدي إلى الشرك بالله، وترك التوكل على الله.

أما الفأل فيقضى إلى الأمل والطاعة وتوحيد الله، وقال بعضهم في الفرق بين التطير والفأل إن الفأل فيه إبانة عن شيء حاصل في النفس وهو الارتياح الذي ظهر بسماع الاسم الحسن مثلاً، أما التطير ففيه استدلال على شيء غير حاصل".

وقد ظهر في المجتمع الإسلامي من يتطيرون ويتشاءمون من رؤية القطط السوداء، أو اليوم الثالث عشر من كل شهر، أو يوم الأربعاء من كل أسبوع.... إلخ، وهذا من عادات أهل الشرك، أما المسلم فيتوكل على الله، ويعتقد أنه لا حول ولا قوة إلا به، وأنه هو النافع الضار.

### التنجيم

كان العرب يتطيرون بالنجوم وبمواقعها، فيقودهم هذا إلى السحر والضلال، والاستعانة بغير الله، والخوف من مخلوقاته فيما هو من خصائص الله تعالى، ومن ثم نهاهم النبي ﷺ عن التنجيم فقال ﷺ <sup>(١)</sup> «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ زَادَ مَا زَادَ». قال المناوي "قوله (زاد ما زاد) يعني كلما زاد اقتباس علم النجوم؛ وذلك لأنه يحكم على الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فعلم تأثير النجوم باطل محرم، وكذا العمل بمقتضاه؛ كالتقرب إليها بتقريب القرايين" <sup>(٢)</sup>.

(١) (صحيح): أبو داود ٣٩٠٥، ابن ماجه ٣٧٢٦، صحيح الجامع ٦٠٧٤.

(٢) فيض القدير.

وعن ميمون بن مهران قال " لا تطلبوا أهل القدر، ولا تسبوا أصحاب محمد، ولا تعلموا النجوم" <sup>(١)</sup>.

قلت المحذور من علم النجوم هو ما عليه الكهان والمشعوذون من علم التأثير، الذى يزعمون أنهم يعلمون به الكوائن والحوادث التى لم تقع، وستقع في مستقبل الزمان، وأما علم التسيير الذى يُدرك عن طريق المشاهدة والحس، وتعلم ما يحتاج إليه للاهتداء، ولمعرفة الجهات وغير ذلك مما هو مفيد ونافع، فلا حرج في تعلمه.

أما الذى يدعى علم الغيب بنظره في النجوم أو أى وسيلة أخرى، فهذا يضاد الله تعالى في صفة من صفاته؛ قال تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل ٦٥]، وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال <sup>(٢)</sup> صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ»

وعن أبي قال قال ﷺ <sup>(٣)</sup> «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلَاثًا حَيْفَ الْأَئِمَّةِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبًا بِالْقَدْرِ».

قال المناوى " (إيمانًا بالنجوم) أى تصديقاً باعتقاد أن لها تأثيراً في العالم، وجاء بها نكرة ليفيد الشيوع، فيدل على التحذير من التصديق بأى شيء كان من ذلك، جزئياً أو كلياً مما

(١) سير أعلام النبلاء ٧٣/٥.

(٢) (صحيح): البخاري ٨٤٦، مسلم ٧١، أبو داود ٢٩٠٦، النسائي ١٥٢٥.

(٣) (صحيح): صحيح الجامع ٢١٤.

كان من أحد مسمى علم النجوم، وهو علم التأثير لا التسيير فإنه غير ضار" (١).

قال الغزالي "وتكمن خطورة الإيمان بالنجوم أنها أجرام سماوية، يعظم وقعها في القلوب؛ فيبقى القلب ملتفتاً إليها، وقد يصل به الحال أن يرى الخير والشر منها، ويُحمى ذكر الله من قلبه، إذ الضعيف يُقصر نظره على الوسائط، والعالم الراسخ مطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، وأن أفعالها وتأثيرها بأقداره ومشيئته لا بقدرها، فلا يتزلزل ولا يضطرب بحال، وإن شاهد منها عجائب الأحوال" (٢).

ولا يخفي على أحد ما انتشر في العالم الإسلامي على صفحات الجرائد والمجلات من اهتمام بالخط والابراج، إن لم تكن جريدة كاملة، فلا أقل من صفحة في جريدة، وهذا مخالف لعقيدة المسلم، فإن اعتقد تأثيرها فقد أشرك، وإن قرأها للتسلية فهو عاصٍ آثم، عليه أن يتوب لأنه لا يجوز التسلي بقراءة الشرك، بالإضافة إلى أنه قد يلقي الشيطان في نفسه من الاعتقاد بها فتكون وسيلة للشرك.

وكثير من المنجمين والكهان والعُراف يستغل السُدُج لأخذ أموالهم ويستعملون وسائل كثيرة؛ من التخطيط في الرمل أو ضرب الودع أو قراءة الكف والفنجان أو النظر في كرة الزجاج أو المرايا وغير ذلك، وإذا صدقوا مرة كذبوا تسعاً وتسعين مرة، ولكن المغفلين لا يذكرون إلا المرة التي صدق فيها هؤلاء الأفاكون، فيذهبون إليهم لمعرفة المستقبل والسعادة والشقاوة في زواج أو تجارة والبحث عن المفقودات ونحو ذلك.

فهؤلاء إن لم يتوبوا إلى الله، ويعلموا أنهم على فعل من أفعال الجاهلية التي حذرنا ربنا ونبينا منها؛ فويل لهم مما يفعلون!!

(١) فيض القدير.

(٢) إحياء علوم الدين بتصرف.



## التمائم

التميمة هي الخرزة التي كان العرب يعلقونها على أولادهم؛ يمنعون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام، ونهى عنها، ودعا رسول الله ﷺ على من علق تميمة بعدم التمام، خلافاً لقصده من تعليقها؛ فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال <sup>(١)</sup> «مَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا تَمَّمَ اللَّهُ لَهُ» وعنه أيضاً قال قال ﷺ <sup>(٢)</sup> «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

وَعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَتْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ تَحْنَحُ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةً أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ قَالَتْ وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَحْنَحُ قَالَتْ وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِيَنِي مِنَ الْحُمْرَةِ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَيَّ جَنْبِي فَرَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ مَا هَذَا الْخَيْطُ قَالَتْ قُلْتُ خَيْطُ أَرْقِي لِي فِيهِ قَالَتْ فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشَّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ <sup>(٣)</sup> «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَّهَ شِرْكٌ».

وعن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ <sup>(٤)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ عَلَى عِضْدِ رَجُلٍ حَلَقَةً أَرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرِ <sup>(٥)</sup> فَقَالَ «وَيَحْكَمَا هَذِهِ قَالَ مِنَ الْوَاهِنَةِ قَالَ أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» والواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها وقيل مرض يأخذ في العضد، وقد علق الرجل حلقة من نحاس، ظنًا منه أنها تعصمه

(١) (ضعيف): ضعيف الجامع ٥٧٠٣.

(٢) (صحيح): صحيح الجامع ٦٣٩٤.

(٣) (صحيح): صحيح الجامع ١٦٣٢.

(٤) (ضعيف): ابن ماجه ٣٥٣١، السلسلة الضعيفة ١٠١/٣.

(٥) أي: نحاس.

من الألم، فنهاه الرسول ﷺ عنها وعدها من باب التمايم.

وعن عيسى بن حمزة قال دخلت على عبد الله بن حكيم وبه حمرة فقلت ألا تعلق تيممة فقال نعوذ بالله من ذلك قال رسول الله ﷺ «مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>

ولا يخفي على أحد ما حدث في المسلمين من تعليق التمايم على السيارات، والبيوت، وفي أيد الصبيان، والشباب؛ مشابهة لعادات الجاهلية، وظناً منهم أنها تجلب النفع، وتدفع الضرر..... ألا فليتنق الله عباد الله.

### الكسوف

كان أهل الجاهلية إذا كسفت الشمس، أو انخسف القمر، يقولون إنه قد ولد اليوم عظيم من عظماء الأرض، أو قد مات اليوم عظيم، فجاء النبي ﷺ بهذا الدين ليزيل عن الأعين غشاوة الجاهلية، ويزيح عن القلوب أدران الخرافة، ويخبر الأمة بصحيح العقيدة، فيقول إنهما من آيات الله، يجب إحداث عبادة عن رؤيتهما، وهى الصلاة، أعظم فرائض الإسلام، فعن النعمان بن بشير قال<sup>(٢)</sup> خرج النبي ﷺ يوماً مستعجلاً إلى المسجد، وقد انكسفت الشمس فصلى حتى انجلت، ثم قال «إِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْخَسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَإِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا خَلِيقَتَانِ مِنْ خَلْقِهِ يُحْدِثُ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ فَأَيُّهُمَا انْخَسَفَ فَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ أَوْ يُحْدِثِ اللَّهُ أَمْرًا».

وعن أبي مسعود قال<sup>(٣)</sup> قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ

(١) (حسن): أحمد ١٨٣٠٤، الترمذي ٢٠٧٢، صحيح سنن الترمذي ٤٠٣/٤.

(٢) (صحيح): النسائي ١٤٩٠، ابن ماجه ١٢٦٢، صحيح الجامع ٢٠٢٥.

(٣) (صحيح): البخاري ١٠٤١، مسلم ٩١١، النسائي ١٤٦٢، ابن ماجه ١٢٦١.

النَّاسِ وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا».

والإنسان يعجب من ذلك الذى يفسر ظاهرة الكسوف، أو الخسوف بأن القمر يكون بين الشمس والأرض، أو أن الأرض تحجب شعاع الشمس عن القمر -وهذا صحيح-، ولكن العجب منه وهو يخلط هذا الحق، وهذا التفسير العلمى بالباطل؛ وهو ألا نخاف ولا نفزع، وأنها ظواهر طبيعية سرعان ما تنجلي، أو علينا أن نتبعها من خلال تصويرها، أو تتبعها بالطائرات، إلى آخر هذه الترهات، ويضرب بكلام النَّبِيِّ ﷺ عرض الحائط، وهو ألا نفزع إلى الصلاة والدعاء والابتغال.

إن التفسير العلمى يجب ألا يحجب الإنسان عن ربه، وألا يجعله يتكبر، بل يجب أن يكون هذا سبباً رئيساً في الخضوع والخشوع لله، أما أن نتحول إلى علمانيين؛ نؤمن بالظواهر المادية فقط دون اتعاظ واعتبار، فهذا ما لا نقبله ولا نقبل من يأتى به ونرده عليه.

### الحلف بالآباء

الآباء والأجداد ذكرهم في قلوبنا لا ينقطع، فهم أصولنا وهم ماضينا، وإنسان بغير ماض ليس له حاضر، ولا مستقبل، فهم خير ما نعتز به، ولقد ألمح القرآن إلى هذه الحقيقة فقال للمسلمين بعد الفراغ من مناسك الحج ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، لأن كفار قريش كانوا يشيدون بمآثر آبائهم، وكرمهم وشجاعتهم في هذا الموقف، فحب الآباء مغروز في الفطر، ومسيطر على الأفئدة، ورغم ذلك كله أمرنا ﷺ ألا نخلف بالآباء، فعن عمر قال <sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ «أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَخْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ فَكَأَنَّهُ قُرَيْشٌ تَخْلِفُ بِآبَائِهَا فَقَالَ لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ».

(١) (صحيح): البخاري ٣٨٣٦، مسلم ١٦٤٦، أبو داود ٣٢٤٩، الترمذي ١٥٣٣، النسائي ٣٧٦٦، ابن ماجه ٢٠٩٤.

وقال ابن عبد البر " لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع " .

قال العلماء " السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشئ يقتضى تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده " <sup>(١)</sup> .

وقال الماوردى " لا يجوز لأحد أن يحلف أحداً بغير الله لا بطلاق ولا عتاق ولا نذر " .

فعن سعد بن عبيدة <sup>(٢)</sup> أن ابن عمر سمع رجلاً يقول والكعبة فقال لا تحلف بغير الله فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ وَاشْرَكَ» .

وعن بريدة قال <sup>(٣)</sup> قال رسول الله ﷺ «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا» .

فلا يجوز الحلف بالأمانة، ولا بالكعبة، ولا بالشرف، ولا ببركة فلان، ولا بحياة فلان، ولا بجاه النبي، ولا بجاه الولي، ومن وقع في شيء من هذا؛ فكفارته أن يقول لا إله إلا الله، فعن أبي هريرة قال <sup>(٤)</sup> قال رسول الله ﷺ «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

وكثير من الناس في أيامنا هذه يحلف بغير الله، فيشرك معه غيره، وهو لا يدري، كما

قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف ١٠٦]

ورحم الله شيخ السنة؛ الشيخ صفوت نور الدين <sup>(٥)</sup> حيث قال " إن من يحلف على

(١) الفتح ١١/٥٤٠

(٢) (صحيح): صحيح الجامع ٦٢٠٤ .

(٣) (صحيح): أبو داود ٣٢٥٣، الصحيحة ٩٤ .

(٤) (صحيح): البخاري ٤٨٦٠، مسلم ١٦٤٧، الترمذي ١٥٤٥، النسائي ٣٧٧٥، ابن ماجه ٢٠٩٦ .

(٥) الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر: رحمة واسعة، وقد سمعت هذا منه شفاهة بتصرف

امراته بالطلاق جاهلٌ ويخشى عليه الفتنة، فهو لا يعظم الله، ولا امرأته أيضاً تعظم الله؛ لأنه لو علم أنها تعظمه لحلف بالله فأطاعت، فلما علم أنه لو حلف بالله لن تطعه؛ حلف بالطلاق، فالطلاق عندها أعظم من الله، فهما في الجهل والوزر سواء".

### الذبح لغير الله

من أقرب القرب إلى الله ﷻ الذبح وإراقة الدم، ولكن بشروطها، وهى أن تكون لله خالصة له، وتوزع على الفقراء والمساكين دون التقيد بأسباب مخالفة للشرع<sup>(١)</sup> أو بزمان أو مكان فإذا تقيدت بزمان أو مكان ليس له مزية في الشرع فهى فعل من أفعال الجاهلية وشرك بالله<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ [النحل ٥٦]، قال القرطبي "ذكر الله تعالى نوعاً من جهالة المشركين، وأنهم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضر وينفع -وهى الأصنام- شيئاً من أموالهم، يتقربون به إليه؛ فإذا هم يحرمون على أنفسهم بعض الأنعام، لا يركبونها، أو لا يذوقون لحومها، أو يبيحونها للذكور دون الإناث، باسم الألهة المدعاة، التي لا يعلمون عنها شيئاً، إنما هى أوهام موروثة من الجاهلية الأولى، والله هو الذى رزقهم هذه النعمة التي يجعلون لما لا يعلمون نصيباً منها، فليست هى من رزق الآلهة المدعاة لهم ليردوها عليها، إنما هو من رزق الله الذى يدعوهم إلى توحيده"<sup>(٣)</sup>.

(١) من الأسباب المخالفة للشرع أن يذبح للجنى الذى يعتقد أنه يسكن البيت.

(٢) والتقيد بالزمان كما فى تخصيص العشر الأواخر بالاعتكاف فيها والتقيد بالمكان كما فى تخصيص

مقام إبراهيم بالصلاة فيه.

(٣) التفسير ٧٧/١٠.

وما يزال أناس بعد أن جاءت عقيدة التوحيد وتقررت، يجعلون نصيباً من رزق الله لهم موقوفاً على ما يشبه آلهة الجاهلية؛ ما يزال بعضهم يطلق عجلً يسميه (عجل السيد البدوي)، يأكل من حيث يشاء، لا يمنعه أحد، ولا ينتفع به أحد، حتى يُذبح على السيد البدوي لا على اسم الله، وما زال بعضهم ينذرون للأولياء ذبائح يخرجونها من ذمتهم، لا لله، ولا باسم الله، ولكن باسم ذلك الولي، على ما كان أهل الجاهلية يجعلونه لما لا يعلمون نصيباً مما رزقهم الله، وهو حرام نذره على هذا الوجه، حرام لحمه، ولو سمي اسم الله عليه؛ لأنه أهل لغير الله به.

ويشبه الذبح للأولياء الذبح للمقبورين، وهذا أيضاً نهى الشرع عنه، تجنباً لما كانت تفعله الجاهلية، وبعداً عن التفاخر والمباهاة، فعن أنسٍ قال<sup>(١)</sup> قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ».

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ "كَأَنَّهُمْ يَعْقِرُونَ عِنْدَ الْقَبْرِ بَقْرَةً أَوْ شَاءَ".

وقال ابن الأثير "هذا نفي للعادة الجاهلية، وتحذير منها، حيث كانوا في الجاهلية يعقرون الإبل أي ينحرونها على قبور الموتى، ويقولون صاحب القبر كان يعقرها للأضياف في حياته، فيكافأ بصنيعه بعد موته".

وقال الخطابي "كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد، يقولون نجزيه على فعله؛ لأنه كان يعقرها في حياته فيطعمها الأضياف، فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطيور، فيكون مُطعمًا بعد مماته كما كان مُطعمًا في حياته".

وقال المجد ابن تيمية "كره الإمام أحمد أكل لحمه قال قال أصحابنا وفي معناه ما يفعله كثير من التصديق عند القبر بنحو خبز".

(١) (صحيح) أبو داود ٣٢٢٢، صحيح الجامع ٧٥٣٥.

قال الشاعر

عقرتُ على قبر النجاشي ناقتي      بأبيض عضيب أخلصته صياقله  
على قبر من لو أننى مت قبله      لهانث عليه عند قبري رواحله  
ومنهم من كان يذهب في ذلك إلى أنه إذا عقرت راحلته عند قبره حشر في القيامة راكباً،  
ومن لم يعقر عنه حشر راجلاً، وكان هذا على مذهب من يرى البعث بعد الموت.

### الأمر بالمعروف

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد المقومات الأساسية لصلاح الأمة، وحمايتها من  
غوائل الشر، وعوامل التقويض والفساد، وهو سبب خيريتها وفضلها، قال تعالى ﴿كُتِّمُ  
خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١١٠] فالخيرية في هذه الأمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر، وليست خيرية ذاتية، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم  
المدح، ولحقهم اسم الذم.

ولقد ذم الله بني إسرائيل على لسان أنبيائهم ولعنهم؛ لعدم إقامة شعيرة الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر، فقال تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة ٧٨-٧٩]

وقد يظن بعض الناس أنه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا إذا استقام من عوج،  
وهذا خلاف ما نطقت به الآية السابقة، فكلُّ كان على منكر، ولكنَّ الله لعنهم لكونهم لا  
ينهى بعضهم بعضاً، حتى قال علماء الإسلام إذا كانت الخمر دائرة بينهم يجب عليهم أن  
يتناهوا عن شربها، وقال عمر بن عبد العزيز "لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن

المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة" (١).

وعن عبد الله بن مسعود قال (٢) قال ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ثُمَّ قَالَ كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا أَوْ لِيُضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ﴾

وقد كان أهل الكتاب ولاسيما أحبارهم، يأمرون أتباعهم بالبر والتقوى، ويخالفونهم في ذلك، قال تعالى منكرًا عليهم ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] قال ابن عباس كان الأحبار يأمرون مقلديهم وأتباعهم باتباع التوراة، وكانوا يخالفونهم في جحدهم صفة محمد ﷺ، فابن عباس أشار إلى مخالفة خاصة وهي جحدهم صفة محمد ﷺ والله ذكر (البر) أى كل أفعال الخير.

لَا تَنَه عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ      عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ (٣)  
وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَافًا عَنْ غِيهَا      فَإِنْ انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

(١) ابن كثير فى البداية والنهاية ٢١٧/٩.

(٢) (ضعيف): أبو داود ٤٣٣٦، الترمذى ٢٠٤٧، ابن ماجه ٤٠٠٦، ضعيف الجامع ١٨٢٢.

(٣) أبو الأسود الدؤلى اق. هـ - ٥٦٩



فَهَنَّاكَ يَقْبَلُ إِن وَعِظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

وكثير من شيوخ زماننا يأمرون الناس بالبر ولا يأتونه، وينهونهم عن المنكر ويأتونه، وهى أيضاً صفة من صفات المنافقين التي ذمها الله في كتابه، قال تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة ٦٧] ثم قال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة ٧١] فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين فدل على أنه أخص أوصاف المؤمنين.

قال ابن عطية "الإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه، وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه، ويهجر هذا المنكر، ولا يخالطه" (١).

الأمرياء عمرو بالمعروف مفترضٌ والقاتمون به لله أنصارٌ (٢)  
والتاركون له عجزاً لهم عذرٌ واللائمون له ياء عمرو أشرارٌ

وقال الحكيم لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان ١٧] فعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسبب إصابة ومكروهاً للإنسان، فأمره بالصبر، قال ﷺ (٣) «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ

(١) كما في القرطبي ١٦٤/٦.

(٢) عبد الله بن شبرمة الضبي ٥٨ - ٥١٤٤.

(٣) (صحيح): مسلم ٤٩، أبو داود ١١٤٠، الترمذي ٢١٧٢، النسائي ٥٠٠٨، ابن ماجه ٤٠٠٦.

بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»

والناس إذا اجتمعوا على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمهم الله بعذاب من عنده قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال ٢٥] قال ابن عباس أمر الله المؤمنين ألا يُقرؤا المنكرين بين أظهرهم فيعمهم العذاب.

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قَالَ <sup>(١)</sup> «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة ١٠٥] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ».

وعن النعمان بن بشير قال قال ﷺ <sup>(٢)</sup> «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا» قال العلماء الفتنة إذا عُمِلت هلك الكل؛ وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تُغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هُجران تلك البلدة والهرب منها، كما في قصة أصحاب السبت، وقصة الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا.

### اتخاذ القبور مساجد

من الأمور المحزنة في العالم الإسلامي رفع القبور والقباب والمشاهد، فكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكى لها الإسلام.

(١) (صحيح): أبو داود ٤٣٣٨، الترمذی ٢١٧٣، ابن ماجه ٤٠٠٥، صحيح الجامع ١٩٧٣.

(٢) (صحيح): البخاري ٢٤٩٣، الترمذی ٢١٧٣.

واعتقاد الجهالة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الخفيف؛ لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً.

فيا علماء الدين ويا شيوخ الإسلام أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أخزى عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يُصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً؟!!

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْنَادِيَتَ حَيًّا      وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ أَنَّ نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَت      وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رِمَادٍ

ولقد حذر النبي ﷺ أمته أن يصنعوا بقبوره مثل ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم؛ من اتخاذ تلك القبور مساجد؛ إما بالسجود إليها، أو تعظيمها بالطواف حولها، إلى آخر هذه المظاهر، ويدخل من باب أولى قبور الأولياء والصالحين في هذا النهي، فعن أبي هريرة قال<sup>(٢)</sup> قال ﷺ «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»

وعن جندب قال<sup>(٣)</sup> سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا

(١) عمرو الزبيدي ١٠٠ ق. هـ - ٥٢١.

(٢) (صحيح): البخاري ٤٣٧، مسلم ٥٣٠، أبو داود ٣٢٢٧، النسائي ٢٠٤٧.

(٣) (صحيح): مسلم ٥٣٢.

وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَا وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ وَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»

فقد وصف رسول الله ﷺ الذين كانوا قبلنا بأنهم كانوا يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وعدى هذا الوصف بالأمر بحرف الفاء دلالة على أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا.

وذلك يقتضى أن أعمالهم دلالة وعلامة على أن الله ينهانا عنها، أو أنها علة مقتضية للنهى، وعلى التقديرين؛ يُعلم أن مخالفتهم أمر مطلوب للشارع في الجملة، والنهى عن هذا العمل بلعنة اليهود والنصارى مستفيض عنه ﷺ.

فعن عائشة قالت<sup>(١)</sup> لما نزل برسول الله ﷺ فطفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه، وقال وهو كذلك «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا».

وعن عائشة<sup>(٢)</sup> أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، يقال لها مارية، وذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها، فقال رسول الله ﷺ «إِنْ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ فَأُولَئِكَ شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فهذا التحذير منه ﷺ، والنهى عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المساجد على قبور الصالحين صريح، ودليل على الحذر عن جنس أعمالهم، حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن

(١) (صحيح): البخاري ٤٣٦، مسلم ٥٣١، النسائي ٧٠٢.

(٢) (صحيح): البخاري ٤٢٧، مسلم ٥٢٨، النسائي ٧٠٤.

تكون من هذا الجنس.

وقد أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر، قال ابن حجر الهيتمي "تجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور؛ إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة".

ثم من المعلوم ما قد ابتلى به كثير من هذه الأمة؛ من بناء المساجد على القبور، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرّم، ملعون فاعله بالمستفيض من السنة.

ومن عجب بعد ذلك أن ترى بعض علماء الأمة يذهبون إلى المقامات ليقيموا الاحتفالات، ونحن نُحسن الظن بهم، ونعلم أن مرادهم الخير، ولكن كم من مريد للخير لم يبلغه، ثم إن العامة لا تعلم ما يعلمونه من أن النافع الضار هو الله، ولكن بفعلهم هذا يلبسون على العامة دينهم، إلى جانب أن فعلهم هذا مخالف للشرع الحنيف.

وكثير من أتباع المشايخ والأولياء يريدون لشيخهم الرفعة بعد مماته فيقيمون على قبره مسجداً، أو يدفنونه في مسجد لتعظيم شأنه، وهذا مخالف للسنة كما وصف ﷺ بأن من يفعل ذلك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة، ناهيك عما يحدث عند هذه القبور من توسل واستغاثة بهؤلاء الأموات فقائلهم يقول

وَزَرَقِبُورَ أَوْلَاكَ الصَّالِحِينَ فَهَمَّ  
وَفِي زِيَارَتِهِمْ نَجَحَ الْمُطَالِبُ مِنْ  
لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ أَبْدَالُ مِنَ الرِّسْلِ<sup>(١)</sup>  
مَحُو الذَّنُوبِ وَسُتْرُ الْحُوبِ وَالزَّلَلِ

والله يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمثَلِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف ١٩٤]، ويقول أيضاً ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ

(١) البرعى؛ عبد الرحيم بن أحمد اليماني ٩ - ٥٨٠٣.

الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ [الأحقاف ٥]، ﴿وَإِنْ يُمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس ١٠٧]، وسولنا ﷺ يقول (١) «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ».

وشاعرنا يقول

يَا طَالِبًا مِنْ دَفِينٍ فِي الثَّرَى مَدَدًا	لَيْسَ الشَّرَابُ بِمُرُو ظَامِنًا أَبَدًا
كَيْفَ اتَّجَهْتَ إِلَى مَنْ مَاتَ تَسْأَلُهُ	سَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تَنْتَهِي عَدَدًا
إِنَّا وَإِيَّاهُ أَمْوَاتٌ وَيَا عَجَبًا	لَمِيتٌ يَبْتَغِي مِنْ مِيتٍ مَدَدًا
ارْجِعْ إِلَى اللَّهِ وَاسْأَلْهُ مَا شِئْتَ	فَهُوَ الَّذِي أَعْطَى الْوَرَى وَهَدَى
مُحَمَّدٌ وَهُوَ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْزِلَةً	لَا يَمْتَلِكُ لِلْوَرَى ضَرًّا وَلَا رَشَدًا

وليعلم أن تحريم ذلك - أى اتخاذ القبور مساجد - قد ذكره غير واحد من علماء المذاهب المتبوعة؛ كأصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

(١) (صحيح): البخاري ٤٤٩٧، مسلم ٩٢.

## الفصل الثالث مخالفتهم في العبادات

### تمهيد

قال ﷺ <sup>(١)</sup> «لَوْ أَنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» لأنه ﷺ جاء من العبادات بما ينفع كل زمان ومكان؛ فشريعتنا الإسلامية أزالَت الأصار والأغلال التي كانت في السابقين، ومن ثمَّ كان حرص النَّبِيِّ ﷺ على المخالفة التامة بينه وبين الأمم السابقة في مفردات العبادات المختلفة، حتى قالت اليهود (ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه!!)، كيف لا وهو صاحب الشريعة الخاتمة المهيمنة على جميع الشرائع، ومن هذه الاختلافات

### قضاء الحاجة

علمنا رسول ﷺ كل شيء حتى قضاء الحاجة؛ فأمرنا ﷺ أن نرتاد لبولنا أماكن رخوة غير صلبة؛ حتى لا يتطاير علينا رزاز الماء النجس، وكذا أمرنا أن نبول من قعود؛ فعن جابر قال <sup>(٢)</sup> «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبُولَ قَائِمًا» ورآه الصحابة وهو يبول جالسًا، وكان من عادة أهل الجاهلية أن يبولوا من قيام، وأن ذلك يوافق شهادتهم ورجولتهم، أما الجلوس فلا يوافق إلا النساء، فعن عبد الرحمن بن حسنة قال <sup>(٣)</sup> خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده الدرة فوضعها ثم جلس إليها، فقال بعضهم انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمعه النَّبِيُّ ﷺ فقال «أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا لَقِيَ صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَوْلُ قَطَعُوا مَا أَصَابَهُ الْبَوْلُ مِنْهُمْ فَنَهَاَهُمْ فَعَذَّبَ فِي قَبْرِه»

(١) (صحيح): أحمد ١٤٧٣٦.

(٢) (ضعيف جداً): ابن ماجه ٣٠٩، ضعيف الجامع ٦٠٠٦.

(٣) (صحيح): أبو داود ٢٢، النسائي ٣٠، ابن ماجه ٣٤٦، صحيح الجامع ٢٥٥٨.

قال السندی " قال الصحابة ذلك تعجباً لما هو مخالف عاداتهم في الجاهلية، وكانوا قريب العهد بها " .

وقال النووي "إنهم كرهوا ذلك، وزعموا أن شهامة الرجل لا تقتضى التستر على هذا الحال، وكان شأن العرب البول قائماً " .

فصاحب بنى إسرائيل المذكور في الحديث كان ينهاهم عن أن يتنزهوا من البول على طريقتهم وشرعهم؛ وهو قرضه بالمقاريض؛ فكان ذلك النهى سبباً في عذابه في القبر، وعلى هذا حذرنا نبينا ﷺ من التهاون في آداب قضاء الحاجة والتشبه بأهل الجاهلية في البول واقفاً، أو التشبه ببنى إسرائيل في ترك التنزه عن البول، فقال ﷺ <sup>(١)</sup> «إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ الْبَوْلِ فَتَنَزَّهُوا مِنْهُ»، وقال ﷺ وقد مر على قبرين <sup>(٢)</sup> «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»

والتهاون في الطهارة تهاون في الصلاة؛ التي هي أفضل الأعمال البدنية، وأول ما يُخاطب به العبد في الدنيا بعد الإيمان.

قال الحكيم الترمذی " إنما كان عامة عذاب القبر من البول؛ لأن البول من معدن إبليس من جوف آدمى فإنه مقره ومقعده، فإذا لم يتنزه منه دخل القبر بنجاسة العدو فعذب فيه " .

والبول من قيام مكروه عند أكثر أهل العلم.

ومن رحمة الله بهذه الأمة أنهم إذا أصاب أحدهم نجاسة غسلها بالماء، ولم يضيق عليهم كبنى إسرائيل حيث ضيقوا على أنفسهم فقال الله ممتناً على هذه الأمة ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) (صحيح): صحيح الجامع ٢١٠٢.

(٢) (صحيح): البخاري ٢١٨، مسلم ٢٩٢، أبوداود ٢٠، الترمذي ٧٠، النسائي ٣١، ابن ماجه ٣٤٧.



وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف ١٥٧] "والضمير في إصرهم عائد -والله أعلم- على بنى إسرائيل، فالله خفف عنا الأصار والأغلل التي كانت في السابقين، ومع هذا تجد كثيراً من المسلمين يتهاونون في آداب قضاء الحاجة" <sup>(١)</sup>.

وعدم الاستتار من البول يشمل من يقوم من حاجته بسرعة قبل أن ينقطع بوله، أو يتعمد البول على هيئة أو في مكان يرتد عليه بوله، أو أن يترك الاستنجاء أو يهمل فيه، وقد بلغ من التشبه بالكفار في عصرنا أن صارت المراحيض فيها أماكن لقضاء الحاجة مثبتة في الجدران، ومكشوفة يأتي إليها الشخص فيبول أمام الداخل والخارج دون حياء، ثم يرفع لباسه ويلبسه على النجاسة فيكون قد جمع بين أمرين محرّمين قبيحين؛ الأول أنه لم يحفظ عورته من نظر الناس، والثاني أنه لم يستنزّه ولم يستبرئ من بوله.

### الآذان

الآذان لغة الإعلام، وشرعاً الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة.

"والآذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة؛ لأنه بدأ بالأكبرية وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفي الشريك، ثم بإثبات الرسالة المحمدية، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة؛ لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ﷺ، ثم دعا إلى الفلاح؛ وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى الميعاد، ثم أعاد ما أعاد تأكيداً" <sup>(٢)</sup>.

والآذان من شعائر الإسلام الظاهرة، وهو نداء الحق لأمة الإسلام بالقبول على ربها، ولقد كان النبي ﷺ مهتماً جداً كيف يجمع الناس إلى الصلاة، فاستشار أصحابه، فمنهم من أشار ببوق اليهود، ومنهم من أشار بناقوس النصارى، ومنهم من أشار بنار المجوس، ولكن

(١) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

(٢) نقله ابن حجر في الفتح عن القرطبي صاحب المفهم.

النَّبِيِّ ﷺ كان يكره هذا ويرفض ذلك؛ ليكون للمسلمين شعاراً خاصاً بهم، يتميزون عن غيرهم، ولا يضاهونهم في شعيرة عظيمة كهذه، فهداهم الله إلى الأذان بألفاظه العذبة، وكلماته القوية، ومعانيه البديعة، فكان بلال أول من أذن بصوته العذب الندي، فعن عبد الله بن عمر قال <sup>(١)</sup> «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَشَارَ النَّاسَ لِمَا يُهْمُّهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَذَكَرُوا الْبُوقَ فَكَرِهَهُ مِنْ أَجْلِ الْيَهُودِ ثُمَّ ذَكَرُوا النَّاقُوسَ فَكَرِهَهُ مِنْ أَجْلِ النَّصَارَى فَأَرَى النَّدَاءَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَطَرَقَ الْأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلًا فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَلَالٍ بِهِ فَأَذَّنَ».

فعند ذلك استهزأ اليهود بالمسلمين فأنزل الله ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة ٥٨].

فانظر إلى النَّبِيِّ ﷺ وقد كره البوق من أجل اليهود أي من أجل أنه علامة مميزة لهم، وكيف كره الناقوس أيضاً لأنه علامة مميزة للنصارى، فكيف نشبه بهم وقد ضلوا عن سواء السبيل، وهدانا الله إلى صراطه المستقيم.

ومن العجيب أن يحيد بعض المؤذنين عن السُّنَّةِ في الأذان فتراهم يؤذنون في صلاة الجمعة أذنين، ويحتجون بفعل عثمان ؛ وهو لم يفعل ذلك إلا لعله؛ وهى اتساع المدينة، ولا يستطيع آذان واحد أن يبلغها، فلما زالت العلة بوجود مكبرات الصوت والإذاعة فيجب أن نعود إلى الأصل؛ وهو آذان النَّبِيِّ ﷺ الذى أمر به بلالاً، فالعلة تدور مع المعلول وجوداً وعدمًا كما هو معلوم في أصول الفقه.

ومن المخالفات أيضاً الاكتفاء بآذان واحد في صلاة الفجر فهذا مالم يأمر به النَّبِيُّ ﷺ ؛

(١) (صحيح): البخارى ٦٠٤، مسلم ٣٧٧، أبو داود ٤٩٨، الترمذى ١٩٠، النسائى ٦٢٦، ابن ماجه ٧٠٧، أحمد ٦٣٢١.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ <sup>(١)</sup> كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُؤَدَّنَانِ يَلَالُ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ يَلَالَا يُؤَدِّنُ لَيْلٍ فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَدِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ» قَالَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَنْزَلَ هَذَا وَيَرْفَى هَذَا.

ومن مظاهر الجاهلية في هذا الباب مما في بيوت المسلمين، وجود منبهات الوقت (الساعة) التي تدق صوت الناقوس، وكذا بعض ألعاب الأطفال التي تصدر أصوات النواقيس والأبواق، وكذا تعليق الأجراس خلف الأبواب لِتُعَلِّمَ بالداخل في البيوت، والاحتفال في الأعراس بإشعال النيران أو الشموع، فهذا كله يُكره للمسلم استعماله، وتشتد الكراهية إن كان شيء منها في المساجد، أو ما يتخذ في الأعياد.

ومما في المصالح العامة ما يوجد في المصانع والمستشفيات من الأجراس لإعلام العاملين ببدء العمل أو بمواعيد الطعام أو الانصراف أو الورديات... الخ، وكذا ما يوجد في المدارس للفصل بين أوقات الحصص فكل هذه النواقيس لابد وأن تُستبدل بغيرها لتوافق شريعة الإسلام.

ومما في غيرها من مظاهر استعمال هذه الأشياء، ما يحدث من أصحاب المهن كبيع الخبز والنداء عليه بالأجراس، وكذا بيع اسطوانات الغاز، وكذا تعليق بعض الأجراس في الحيوانات كالخيل والحمير، وكذا ما يحدث في محطات القطار من تسريح القطارات عن طريق دق النواقيس، وكذا ما تعلنه الإذاعات عن ضبط الوقت عن طريق صوت الساعة الكبيرة (بيج بن) بلندن، كل هذه المظاهر وغيرها لا بد أن تتغير، ولا سيما ووسائل استبدالها سهلة وموفرة، ولا بد للقائمين على أمر البلاد وولاية الأمور الاهتمام بمظاهر الإسلام، وضبطها على أحسن ما يكون.

(١) (صحيح): البخاري ٦١٧، مسلم ١٠٩٢، الترمذي ٢٠٣، النسائي ٦٣٠.

## القبلة

كان النَّبِيُّ ﷺ يتجه ناحية بيت المقدس في الصلاة وهو بمكة وفي بداية حياة المدينة، وكان ﷺ يحب أن يتوجه إلى الكعبة؛ لأنها قبله أبيه إبراهيم وقد جاء بإحياء ملته، وتجديد دعوته، ولأنها أقدم القبلتين، فكان وهو في مكة يستطيع ذلك؛ بحيث يتوجه إلى بيت المقدس وفي نفس الوقت هو متجه إلى الكعبة، أما عندما هاجر إلى المدينة فلم يستطع ذلك، وكان يُقلب وجهه في السماء طلباً من الله أن يلبي له رغبته فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠].

"قال غير واحد من السلف معناه لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولوا قد وافقونا في قبلتنا، فيوشك أن يوافقونا في ديننا؛ فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة، إذ (الحجة) اسم لكل ما يحتج به من حق وباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ - وهم قريش - فإنهم يقولون عادوا إلى قبلتنا فيوشك أن يعودوا إلى ديننا.

فبين الله سبحانه أن من حكمة نسخ القبلة وتغييرها مخالفة الكافرين في قبلتهم ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل، ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكافر إذا أتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود من الحجة في القبلة" (١).

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم.

## الصلاة

## الصلاة وقت النهي

الصلاة من أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين، ولذا؛ شُرِعَ للمسلم التنفل والتطوع بها قدر الإمكان لما فيها من الخير والأجر وغفران الذنب، فعن عثمان قال <sup>(١)</sup> «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» ومع هذا لا يستطيع المسلم أن يتنفل في كل الأوقات، بل هناك أوقات منهي التطوع فيها؛ لما في ذلك من مشابهة الكافرين، وهذه الأوقات ثلاثة؛ وقت طلوع الشمس حتى ترتفع، ووقت تعامدها حتى تميل، ووقت الغروب والاصفرار، فعن عمر بن عبسة السلمي <sup>(٢)</sup> قال قلت يارسول الله أى الليل أسمع؟ قال «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَصَلِّ مَا شِئْتَ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الصُّبْحَ ثُمَّ أَقْصِرْ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَتَرْتَفِعَ قَيْسَ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَيُصَلِّيَ لَهَا الْكُفَّارُ ثُمَّ صَلِّ مَا شِئْتَ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ حَتَّى يَعْدِلَ الرُّمْحُ ظِلَّهُ ثُمَّ أَقْصِرْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ تُسَجَّرُ وتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا فَإِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلِّ مَا شِئْتَ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ أَقْصِرْ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَيُصَلِّيَ لَهَا الْكُفَّارُ»، قال النووي " قيل المراد بقرنى الشيطان حزبه وأتباعه، وقيل غلبة أتباعه وانتشار فساد، وقيل القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى، ومعناه يدنى رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات؛ ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة حينئذ، ويكون له ولشيئته تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم، فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشياطين " .

(١) (صحيح): البخاري ١٦٠، مسلم ٢٢٦، أبو داود ١٠٦، النسائي ٨٤، ابن ماجه ٢٨٥.

(٢) (صحيح): أبو داود ١٢٧٧، الترمذي ٣٥٧٩، صحيح سنن أبي داود ٢٥/٢.

فانظر كيف نهى النبي ﷺ عن الصلاة في هذه الأوقات الثلاثة، وعلل ذلك بعلل لا تدرك بالعقل، إنما يجب علينا الإيمان بها، ومع كون المسلم إذا صلى في هذه الأوقات لا يسجد للشمس ولا للقمر ولا للشيطان، إنما يسجد لله رب العالمين، ومع ذلك حذرنا ﷺ من مشابهة الكفار ولو بطريق غير مقصود.

والمقصود بالمنع في هذه الأوقات هو صلاة التطوع غير السببية، وقد حكى النووي الإجماع على الكراهة، قال "واتفقوا على جواز الفرائض المؤداة فيها، واختلفوا في النوافل التي لها سبب؛ كصلاة تحية المسجد وصلاة الجنازة، وقضاء الفوائت، ومذهب الشافعي وطائفة جواز ذلك بلا كراهة".

#### الاشتغال

أمرنا تبارك وتعالى بأخذ زيتتنا عند الصلاة، وأن نستر عورتنا فيها فقال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف ٣١] ولكن هذا التشريع الإسلامي لم ينزل لفرد بعينه، أو لمجموعة بعينها، إنما نزل رحمة للعالمين، فقد يكون هناك من لا يستطيع أن يجد إلا ثوباً واحداً، فأمره النبي ﷺ أن لا يشتمل به اشتغال اليهود، فعن ابن عمر قال <sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ «إِذَا كَانَ لِأَحَدِكُمْ ثَوْبَانِ فَلْيُصَلِّ فِيهِمَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَلْيَتَّزِرْ بِهِ وَلَا يَشْتَمِلْ اِشْتِمَالَ الْيَهُودِ»

ولكى يدرك معنى هذا الحديث فليعلم أن بعض الصحابة كانوا فقراء جداً، وكان أحدهم لا يملك إلا ثوباً واحداً؛ وهو عبارة عن قطعة (قماش) يلف بها بدنه فقط، فأمره النبي ﷺ أن يستر بها عورته؛ وهو ما بين السرة إلى الركبة، أما اشتغال اليهود وهو إسبالها عليه من أعلى دون أن يشدها على حقويه، فهذا منهي عنه لاحتمال ظهور العورة.

(١) (صحيح): أبو داود ٦٣٥، صحيح الجامع ٧٦٨.

## الصلاة في النعال

يظن بعض الناس أن الصلاة في النعال للضرورة فقط، أو في حال الحروب، والحق أن الصلاة في النعال من المستحبات؛ والعلة في ذلك مخالفة اليهود الذين من شرعهم الصحيح غير المبدل خلع النعال حال العبادة، وقد عَلِمْنَا ذلك من قوله تعالى لموسى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]، فكان من شرع موسى خلع النعال والتزمه اليهود، فأمر النبي ﷺ بمخالفتهم؛ وقد اختلف نظر الصحابة والتابعين في ذلك هل هو مستحب أو مباح.

وكذا اختلف العلماء من بعدهم، فأقوى ما رأيته لمن يقول بالإباحة قول القشيري وابن بطلال وابن دقيق العيد وملخصه أن لبس النعال في الصلاة من المباحات؛ لأن ذلك لا يدخل في المعنى المطلوب من الصلاة، وهو وإن كان من ملابس الزينة إلا أن ملامسته الأرض التي يكثر فيه الخبث قد تقصر به عن هذه الرتبة، وإذا تعارضت رعاية التحسين وإزالة الخبث قُدمت الثانية؛ لأنها دفع المفسد والأخرى من جلب المصالح.

قلت هذا النظر مبنى على آية الأعراف ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣٢]، حيث يعتبرون أن النعال ليست من الزينة، وأنها بلامستها الأرض وملاقاتها النجاسة تخرج من هذه الرتبة، وهذا إلزام مالم تلزمه الآية؛ فالآية دليل على ستر العورة، كما قال أهل التفسير وحديث النبي ﷺ <sup>(١)</sup> «خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نَعَالِهِمْ وَلَا خِفَافِهِمْ» فأقل أحواله الاستحباب، وإن لامس النعل شيء من النجاسة فتمسح قبل أن يصلي؛ لحديث أبي سعيد الخدري <sup>(٢)</sup> «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ

(١) (صحيح): أبو داود ٦٥٢، صحيح الجامع ٣٢١٠.

(٢) (صحيح): أبو داود ٦٥٠، صحيح الجامع ٤٦١.

رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذْرًا أَوْ أَدَّى فَلَيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا» ولكن لما كانت مساجدنا اليوم مفروشة بالبسط الوثيرة؛ فنحن نخلع الأحذية لهذه العلة، وهذا من المصالح المرسلة التي أباحتها الشريعة بضوابط مذكورة في كتب الأصول، ويعضد هذا الفهم ما رواه أبو هريرة <sup>(١)</sup> قال قال ﷺ «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَلَا يُؤْذِ بِهِمَا أَحَدًا لِيَجْعَلَهُمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَوْ لِيُصَلِّ فِيهِمَا»

فأمر بعدم الإيذاء، فوضعهما بين رجلى المصلى كوضعهما في أماكن مخصصة لذلك والله أعلم.

#### الوقوف خلف إمام جالس

عن جابر قال <sup>(٢)</sup> اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعدٌ، وأبو بكر يكبر يُسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعودًا، فلما سلّم قال «إِنْ كِدْتُمْ أَنْ تَفْعَلُوا فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ فَلَا تَفْعَلُوا انْتُمُوهَا بِأَيْمَتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا».

والعلماء في هذا الحديث على رأيين

الأول عدم النسخ قالوا إن قيام المأموم مع قعود الإمام فيه شبهة تعظيم الإمام، وهذا موطن لتعظيم الله وحده فلا يجوز، ولا يخفي دوام هذه العلة فينبغي أن يدوم هذا الحكم.

الثاني أنه منسوخ وعليه جمهور العلماء، وقد استدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته ﷺ قاعدًا - وأبو بكر مقتديًا به قائمًا والناس بأبي بكر - على نسخ قوله ﷺ في الحديث المتقدم، قالوا ثم إنه ﷺ أمهم قاعدًا وهم قيام في مرض

(١) (صحيح): أبو داود ٦٥٥، صحيح الجامع ٦٤٣.

(٢) (صحيح): مسلم ٩٢٧، أبو داود ٦٠٦، النسائي ١١٩٩، ابن ماجه ١٢٤٠.



الموت فدل على نسخ ما تقدم والله أعلم.

وقد تنوعت مسالك الناس في الجواب عن هذا الاستدلال على وجوه كثيرة، ملخص ذلك؛ أن من الناس من زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم، وإنما استمر أبو بكر قائماً لأجل التبليغ عنه ﷺ.

ومن الناس من قال بل كان أبو بكر هو الإمام في نفس الأمر كما صرح به بعض الرواة، وكان أبو بكر لشدة أدبه مع الرسول ﷺ لا يبادره، بل يقتدى به فكأنه ﷺ صار إمام الإمام؛ فلهذا لم يجلسوا لاقتدائهم بأبي بكر وهو قائم لم يجلس لأجل أنه إمام، ولأنه يبلغهم عن النبي ﷺ الحركات والسكنات والانتقالات.

ومن الناس من قال فرق بين أن يبتدأ الصلاة خلف الإمام في حال القيام فيستمر فيها قائماً، وأن يطرأ جلوس الإمام في أثنائها، كما في هذه الحال، وبين أن يبتدئ الصلاة خلف إمام جالس فيجب الجلوس للحديث المتقدم.

ومن الناس من قال هذا الصنيع والحديث المتقدم دليل على جواز القيام والجلوس، وإن كلاً منهما سائغ؛ جائز الجلوس لما تقدم والقيام للفعل المتأخر. وأياً كان الأمر؛ فإن نسخ الحكم فالعلة باقية وهى نفس التشبه بفارس والروم.

## الصيام

## السحور

إن السحور من خصائص هذه الأمة؛ لتمييز عن غيرها من أهل الكتاب، وإن كان الله قد فرض علينا الصيام كما فرضه على أهل الكتاب من قبلنا بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٨٣] قال القرطبي "التشبيه يرجع إلى وقت الصوم وقدر الصوم، فإن الله تعالى كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان فغيروا وزاد أحبارهم عليهم، ونقلوه إلى الربيع.

وقال مجاهد كتب الله ﷺ صوم شهر رمضان على كل أمة، ثم حرفوا وبدلوا" (١).

وقد عد النبي ﷺ الفارق الأساسي الذي يفصل بين صيامنا وصيامهم أكلة السحر فقال ﷺ (٢) «فَصَلُّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةَ السَّحَرِ» وهذا السحور سُنة مستحب، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على استحبابه، وعلى الرغم من تهاون كثير من المسلمين فيه؛ فقد وصفه النبي ﷺ بالبركة فقال ﷺ (٣) «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَهَ».

وقال ﷺ (٤) «عَلَيْكُمْ بِغَدَاءِ السُّحُورِ فَإِنَّهُ هُوَ الْغَدَاءُ الْمُبَارَكُ» وقال أيضاً (٥) «إِنَّهَا بَرَكَهٌ أَعْطَاكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا فَلَا تَدْعُوهُ» وقال أيضاً (٦) «السُّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَهٌ فَلَا تَدْعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ».

والبركة في هذه الأحاديث ظاهرة جلية؛ فإن السحور يقوى على الصيام وينشط له، وتحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام لخفة المشقة فيه على المتسحر، وكذا لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف؛ وقت تنزل الرحمات وقبول الدعوات وربما توضأ صاحبه وصلى، أو أدام الاستيقاظ للذكر والدعاء والصلاة، أو التأهب لها حتى يطلع الفجر، وكذا اتباع السنة ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع.

ولقد كان الصحابة يحافظون على التمييز والفصل بينهم وبين أهل الكتاب؛ منهم عمرو بن العاص الذي كان يأمر بطعام السحور ولا يأكل منه إلا القليل، فيقول مولاه؛ أبو قيس

(١) التفسير ١٨٤/٢ بتصرف، تفسير ابن جرير ١٢٩/٢.

(٢) (صحيح): مسلم ٢٥٤٥، أبو داود ٢٣٤٣، الترمذي ٧٠٩، النسائي ٢١٦٥.

(٣) (صحيح): البخاري ١٩٢٣، مسلم ١٠٩٥، الترمذي ٧٠٨، النسائي ٢١٤٦، ابن ماجه ١٦٩٢.

(٤) (صحيح): النسائي ٢١٦٤، صحيح الجامع ٤٠٨١.

(٥) (صحيح): النسائي ٢١٦٢، صحيح الجامع ١٦٣٦.

(٦) (حسن): صحيح الجامع ٣٦٨٣.

تأمرنا بالسحور ولا تصيب منه كثيراً! فيقول إني لا آمركم به أنى أشتهيه ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول<sup>(١)</sup> «فَصَلُّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةَ السَّحَرِ» فانظر إلى فهم الصحابة لكلام النَّبِيِّ ﷺ والالتزام بأمره، والحفاظة على الفصل والتمييز.

### صيام عاشوراء

كان النَّبِيُّ ﷺ يوافق أهل الجاهلية في أفعال الخير والبر قبل أن يُهاجر إلى المدينة؛ ومن هذه الأفعال صوم يوم عاشوراء، وقد كانت قريش تصومه، فعن عائشة<sup>(٢)</sup> قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان قال «فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ».

فبقدمه ﷺ المدينة خالف المشركين، ووافق أهل الكتاب فيما لم يُنه عنه؛ لأنهم أقرب الفريقين للحق، فوجد اليهود تصوم عاشوراء أيضاً، فوافقهم في ذلك وليس اقتداءً بهم، فعن ابن عباس قال<sup>(٣)</sup> قدم النَّبِيُّ ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال «مَا هَذَا؟» قالوا يوم صالح نجي الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ».

فكان يوم عاشوراء على هذا الأمر المتأكد الصيام، ثم فرض رمضان فبقى صيام عاشوراء سنة مستحب، قال النووي "اتفق العلماء على أن صوم يوم عاشوراء سنة وليس بواجب"، وقال القاضي عياض "حصل الإجماع على أنه ليس فرضاً إنما مستحب، والعلماء مجمعون على استحبابه وتعيينه؛ وهو اليوم العاشر من المحرم وهذا قول جماهير

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٤٥، أبو داود ٢٣٤٣، الترمذي ٧٠٩، النسائي ٢١٦٥.

(٢) (صحيح): البخاري ٢٠٠٢، مسلم ١١٢٥، أبو داود ٢٤٤٢، الترمذي ٧٥٣.

(٣) (صحيح): البخاري ٢٠٠٤، مسلم ١١٣٠، أبو داود ٢٤٤٤، ابن ماجه ١٧٣٤.

العلماء من السلف والخلف"، فعن أبي هريرة قال<sup>(١)</sup> قال ﷺ «عاشوراء يوم العاشر» وفي أواخر أيام النبي ﷺ كان يصوم هذا اليوم فأشكل على الصحابة ذلك؛ لأن اليهود تعظم هذا اليوم، وقد تأكد عندهم منهج المخالفة؛ فسألوا فأمر بصيام التاسع والعاشر مخالفةً لهم، فعن ابن عباس قال<sup>(٢)</sup> لما صام رسول الله ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم يعظمه اليهود والنصارى فقال «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ صُمْنَا يَوْمَ التَّاسِعِ»، قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

وعلى هذا قال الشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق وآخرون يستحب صوم التاسع والعاشر جميعاً لأن النبي ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع.

وقال آخرون وهو الراجح عندي يُستحب صيام التاسع والعاشر والحادي عشر لزيادة في حديث عن أحمد وهي ضعيفة ولا بأس بها في فضائل الأعمال وهي بلفظ<sup>(٣)</sup> «صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا».

ويوم عاشوراء من أيام الله، فضله عظيم وأجره جزيل، احتسب النبي ﷺ على ربه أن يكفر سنة قبله، فعن أبي قتادة قال<sup>(٤)</sup> قال ﷺ «صِيَامُ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»

(١) (صحيح): صحيح الجامع ٣٩٦٨.

(٢) (صحيح): مسلم ١١٣٤، أبو داود ٢٤٤٥.

(٣) (ضعيف): ضعيف الجامع ٣٥٠٦.

(٤) (صحيح): الترمذي ٧٥٢، صحيح سنن الترمذي ١٢٦/٣.

## الحج

## الطواف

قال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف ٣١]، "قال ابن عباس كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة وتقول من يعيرني تطوفاً؟ تجعله على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله<sup>(١)</sup>

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال<sup>(٢)</sup> كانت العرب تطوف بالبيت عُرَاةً إلا الحمس، والحمس قریش وما ولدت، كانوا يطوفون بالبيت عُرَاةً إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء، وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة، وكان الناس كلهم يقفون بعرفات، ويقولون نحن أهل الحرم فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا، فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوباً ولا يسارّ يستأجره به؛ كان بين أحد أمرين إما أن يطوف بالبيت عرياناً، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه عنه فلم يمسه أحد؛ وكان ذلك الثوب يسمى اللقى، قال قائل من العرب

كفي حزناً كرى عليه كأنه لقي بين أيدي الطائفين حريمُ

فكانوا على تلك الجهالة والبدعة والضلالة حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ فأَنْزَلَ اللهُ تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وأذن مؤذن رسول الله ﷺ ألا لا يطوف بالبيت عريان.

(١) (صحيح): مسلم ٧٤٦٧، النسائي ٢٩٥٦.

(٢) (صحيح): مسلم ١٢١٩.

## العمرة

قال تعالى ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، "عن ابن عباس قال والله ما أعمر رسول الله ﷺ عائشة في ذى الحجة إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك فإن هذا الحى من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون إذا عفا الوبر وبرأ الدبر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر" (١).

فقد كانوا يُحَرِّمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة، فما أعمر رسول الله ﷺ عائشة إلا لينقض ذلك من قولهم.

ففي هذا دليلٌ على أن رسول الله ﷺ إنما فسخ الحج في العمرة ليريهم أن العمرة في أشهر الحج لا بأس بها.

"وعن ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفرًا، ويقولون إذا برأ الدُّبر وعفا الوبر وانسلخ صفر -أو قال دخل صفر- فقد حلت العمرة لمن اعتمر فقدم النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج، فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يارسول الله أيُّ الحل؟ قال الحلُّ كله" (٢).

(برأ الدُّبر) الجرح يكون في ظهر البعير، (عفا الوبر) أى كثر وبر الإبل، والضمير في كانوا يعود إلى أهل الجاهلية.

## الإفاضة

يوم عرفة يوم مشهود، أكمل الله فيه الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

(١) ابن أبي حاتم فى التفسير ٢/٢٦١.

(٢) (صحيح): البخاري ١٥٦٤، مسلم ١٢٤٠، النسائي ٢٨١٢.

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿[المائدة: ٣] وهو يوم يجتمع فيه المسلمون من كل مكان؛ من مشارق الأرض ومغاربها، ليتقربوا إلى الله بما فرض عليهم، وفيه أخذ الله الميثاق على ذرية آدم ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وفي هذا اليوم يباهي الله بهم ملائكته، فعن عائشة قالت إن النبي ﷺ قال <sup>(١)</sup> «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ»

فَلله ذاك الموقفُ الأعظمُ الذي	كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم <sup>(٢)</sup>
ويـدنو بـه الجبارُ	يباهي بهم أملاكه فهو أكرمُ
يقولُ عبادي قد أتوني محبةً	وإني بهم برُّ أجود وأرحمُ
فأشـهدكم أني غفرتُ ذنوبهم	وأعطيـتهم ما أملـوا وأنعمُ
فبشراكم يا أهل ذاك الموقف الذي	به يغفر الله الذنوب ويرحمُ
فكم من عتيق فيه كمل عتقه	وأخـر يسـعى وربك أرحمُ

فلله درُّ أقوام فارقوا ديارهم، وعانقوا افتقارهم، وآثروا غبارهم، وطهروا أسرارهم، يدعون عند البيت سميعاً قريباً، ويقفون بين يديه بالذل جميعاً، ويسعون في مرضيه سعيّاً سريعاً، وقد ودعوا مطلوب شهواتهم توديعاً فأفادهم مولاهم أن رجعهم كيوم أخرجهم أطفالاً.

فـارقوا أوطـانهم إذ قـصدوا	نـحو بابي يـطلبون الزلفى
فـلهم مـني ما أـملوا	سـافراً يـنمي وينشـي خلفـا

مع هذا الفضل العظيم ليوم عرفة، والوقوف به، إلا أن أهل الجاهلية كانوا لا يقفون فيه

(١) (صحيح): مسلم ٣٢٧٥، النسائي ٣٠٠٣، ابن ماجه ٣٠١٤.

(٢) ابن القيم ٦٩١ - ٥٧٥١.

بل يقفون بالمزدلفة فنهاهم الله عن ذلك بقوله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

"فعن عائشة قالت كانت قريش ومن كان على دينها وهم الخمس؛ يقفون بالمزدلفة يقولون نحن قطين الله، وكان من سواهم يقفون بعرفة فأنزل الله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾" (١) وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم، واختاره ابن جرير وحكى عليه الإجماع.

ولكن النبي ﷺ كان يخالف دين قريش، ويقف بعرفة، "فعن جبير بن مطعم قال أضللت بعيراً لى فذهبت أطلبه يوم عرفة فإذا النبي واقف، قلت إن هذا من الخمس ما شأنه ها هن" (٢).

قال ابن حجر "الخمس قريش ومن يأخذ مأخذها من القبائل؛ كالأوس والخزرج وخزاعة وثقيف، والأحمس في كلام العرب الشديد، وسموا بذلك لما شددوا على أنفسهم، وكانوا إذا أهلوا بحج أو عمرة لا يأكلون لحماً ولا يضربون وبراً ولا شعراً، وإذا قدموا مكة وضعوا ثيابهم التي كانت عليهم" (٣).

### النسيء

النسيء هو التأخير، قال أهل اللغة نسأت الإبل عن الحوض إذا أخرتها، ومنه أنسأ الله فلاناً أي أجله ونسأ في أجله، ونسأت المرأة إذا حبلت لتأخر حيضها.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطُّوا

(١) (صحيح): البخاري ٤٥٢٠، مسلم ١٢١٩، أبو داود ١٩١٠، الترمذي ٨٨٤، النسائي ٣٠١٢.

(٢) (صحيح): البخاري ١٦٦٤، مسلم ١٢٢٠، النسائي ٣٠١٣.

(٣) (الفتح ٦٠٣/٣).



عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿التوبة ٣٧﴾

قال القرطبي "كانوا يجرمون القتال في المحرم، فإذا احتاجوا إلى ذلك حرموا صفرًا بدله وقاتلوا في المحرم، وسبب ذلك؛ أن العرب كانوا أصحاب حروب وغارات، فكان يشق عليهم أن يكتثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها، وقالوا لئن توالى علينا ثلاثة أشهر لا تُصيب فيها شيئًا لنهلكن، فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم من بنى كنانة ثم من بنى فقيم منهم رجل يقال له القلمس، فيقول أنا الذى لا يُرد لى قضاءً، فيقولون أنسنّا شهرًا أى؛ آخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، فيحل لهم المحرم، فكانوا كذلك شهرًا فشهرًا حتى استدار التحريم على السنة كلها، فجاء الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله فيه، وهذا معنى قوله ﷺ <sup>(١)</sup> «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» <sup>(٢)</sup>.

وقد سمعنا في هذه الأيام من (المجددينات) <sup>(٣)</sup> من يقول إن الحج تارة يأتى في الصيف، وتارة يأتى في الشتاء معلقًا الأمر على عيب السنة القمرية، وأن هذا يشق علينا، فلو جعلنا الأمر معلقًا على السنة الشمسية ونجعله في الربيع لكان أخف بالمسلمين ورحمة بهم، وهذا جهل كجهل العرب أو أشد؛ لأن الشارع بنى العبادات الزمنية على رعاية السنة القمرية.

### العودة من الحج

قال تعالى ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة ١٨٩]

(١) (صحيح): البخاري ٣١٩٧، مسلم ١٦٧٩، ابن ماجه ٢٣٣.

(٢) التفسير ٨/٨٨.

(٣) هكذا سماهم الأديب كامل كيلانى، وحين سأله سائل عن معنى هذه التسمية أجاب بجواب أعجب وأبدع فقال: هذا جمع مخنث سالم!! فأقسم له سأله أن اللغة العربية فى أشد الحاجة إلى هذا الجمع فى هذا الزمان.

"قال ابن عباس كان في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجلٌ منهم بالحج فإن كان من أهل المدر -يعنى من أهل البيوت- نُقِبَ في ظهر بيته؛ فمنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سُلماً فيصعد منه وينحدر عليه، وإن كان من أهل الوبر -يعنى أهل الخيام- يدخل من خلف الخيام خيمته، إلا من كان من الحُمس، فرد الله تعالى عليهم ذلك، وبين أن البر في امتثال أمره" (١).

قال البخارى كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله (الآية). وقال الأعمش عن أبى سفيان عن جابر كانت قريش تدعى الحُمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بيت إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر من الأنصار فقالوا يارسول الله إن قطبة بن عامر رجل تاجر وإنه خرج معك من الباب، فقال له «ما حملك على ما صنعت؟» قال رأيته فعلته ففعلت كما فعلت فقال «إنى أحمس» قال له فإن دينى دينك فأنزل الله (الآية) رواه ابن أبى حاتم ورواه العوفي عن ابن عباس بنحوه وكذا روى عن مجاهد والزهرى وقتادة وإبراهيم النخعى والسدى والربيع بن أنس.

"وعن البراء قال كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها، قال فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه ف قيل له في ذلك فنزلت الآية ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾" (٢).

#### الذكر بعد المناسك

الذكر منشور الولاية؛ الذي من أعطاه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم؛

(١) القرطبى، فى التفسير ٢/٢٣٠.

(٢) (صحيح): البخارى ١٨٠٣، مسلم ٣٠٢٦.

الذي متى فارقتها صارت الأجسام لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي تعطلت عنه صارت بوراً. وهو منزل القوم الذي منه يتزودون، وفيه يتجرون، وإليه دائماً يترددون، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يُطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تدأويننا بذكركم      ونترك الذكر أحياناً فننتكس<sup>(١)</sup>  
وإن عزمنا على تذكر غيركم      لم نستطع واعترانا العي والخرس

قال ذو النون ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته.

إليك وإلا لا تشدُّ الركائبُ      ومنك وإلا فال مؤمل خائبُ  
وفيكَ وإلا فالغرامُ مضيعُ      وعنك وإلا فالحدثُ كاذبُ

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب ٤٢] ولكنَّ العرب كانت لا تذكر الله بعد الفراغ من الحج، إنما كانت تذكر الآباء ويفخرون بفعالهم فنهاهم الله عن ذلك بقوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة ٢٠٠]، قال القرطبي "كانت عادة العرب إذا قضيت حجها تقف عند الجمرة؛ فتتفاخر بالآباء وتذكر أيام أسلافها؛ من بسالة وكرم وغير ذلك، حتى أن الواحد منهم ليقول اللهم إن أباي كان عظيم القبة عظيم الجفنة كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، فلا

(١) عمر اليافي ١١٧٣ - ٥١٢٣٣.

يذكر غير أبيه، فنزلت الآية ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ <sup>(١)</sup>.

و عن ابن عباس قال "كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم كان أبى يطعم ويحمل الحملات ويحمل الديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ﴿فَازْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ يعنى ذكر آبائهم في الجاهلية أو أشد ذكراً" <sup>(٢)</sup>.

### السعى بين الصفا والمروة

عن عروة قال "قرأت على عائشة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ [البقرة ١٥٨] قلت ما أبالى أن لا أطوف بينهما فقالت؛ بسما قلت إنما كان ناس من أهل الجاهلية لا يطوفون بينهما، فلما كان الإسلام نزل القرآن ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة ١٥٨] فطاف رسول الله ﷺ وطفنا معه فكانت سنة" <sup>(٣)</sup>.

وقال السدى "إن الأنصار تخرجوا أن يمشوا بذلك الموضع في الإسلام فأخبروا أن لا حرج عليهم" <sup>(٤)</sup>.

وعن عاصم بن سليمان قال "سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة فقال كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما؛ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ

(١) التفسير ٢/٢٨٥.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٨٧٠.

(٣) (صحيح): البخاري ٤٨٦١، مسلم ١٢٧٧، الترمذي ٣٩٦٥، النسائي ٢٩٦٧.

(٤) شرح سنن النسائي ٥/٢٦٣.

مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴿١﴾".

وقالت عائشة "إنما كان من أهلّ لمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة؛ فأنزل الله ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ فطاف رسول الله ﷺ والمسلمون" (٢).  
قال الزهري "فذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأعجبه ذلك وقال إن هذا علم، ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يقولون إنما كان من لا يطوف بين الصفا والمروة من العرب يقولون إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية، وقال آخرون من الأنصار إنما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر به بين الصفا والمروة؛ فأنزل الله الآيات.

قال أبو بكر فأراها نزلت في هؤلاء وهؤلاء" (٣).

فانظر إلى الأنصار كيف كان مستقراً في أذهانهم بغض الجاهلية وأهلها، وكيف حافظوا على التميز، بحيث لا يقلدون غيرهم في شيء من شعائر دينهم، حتى أخبر الله رسوله أن السعى بين الصفا والمروة من علامات دينه، وإظهار الأمر قديم -أمر هاجر - وليس من شعائر الجاهلية الذين وضعوا الأصنام على الصفا والمروة.

فإن كان الكفار يعبدون الأصنام فأنتم تعبدون الله الواحد الأحد، وأنتم تميزون عن غيركم لأنكم خير أمة أخرجت للناس.

(١) (صحيح): البخاري ٤٤٩٦

(٢) (صحيح): مسلم ١٢٧٧

(٣) المصدر السابق.

## الْأَطْعِمَةُ

قال تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣]

قال القرطبي " (الْمُنْخَنِقَةُ) هِيَ الَّتِي تَمُوتُ خَنْقًا؛ وَهُوَ حَبْسُ النَّفْسِ سِوَاءِ فِعْلِ بِهَا ذَلِكَ أَدْمَى أَوْ اتَّفَقَ لَهَا ذَلِكَ فِي حَبْلِ أَوْ بَيْنَ عَوْدَيْنِ أَوْ نُحُوهِ. وذكر قتادة أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها فإذا ماتت أكلوها، وذكر نحوه ابن عباس <sup>(١)</sup>.

(الْمَوْقُوذَةُ) قال قتادة كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصى حتى إذا ماتت أكلوها. (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) النصب حجارة تعبد من دون الله، قال مجاهد هي حجارة كانت حوالى مكة يذبحون عليها.

قال ابن جريج كانت العرب تذبح بمكة وتنضج بالدم ما أقبل من البيت، ويشرحون اللحم ويضعونه على الحجارة، فلما جاء الإسلام قال المسلمون للنبي ﷺ نحن أحق أن نعظم هذا البيت بهذه الأفعال، فكأنه ﷺ لم يكره ذلك فأنزل الله تعالى ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا ﴾ [الحج: ٣٧] ونزلت ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣].

وكل هذه الذبائح يفعلها أهل أوربا، إلى جانب الصعق الكهربائي؛ بحجة عدم تعذيب البهيمة، وقد أثبت العلم الحديث أنه لا يوجد أفضل من الذبح على الطريقة الإسلامية حيث يكون الدم منبتًا خصبًا لنمو الجراثيم الفتاكة بالإنسان، فإذا خرج هذا الدم من

(١) التفسير ٣٣/٦.

البهيمة بالذبح فقد برئت من هذه الجرائم، فيأكلها المسلم هنيئاً مريئاً.

وقد بلغت هيمنة الشيطان على غيرنا من أهل الملل والنحل على أكل ما يسمى باسم المقائق السوداء أو السجق الأسود، وهو عبارة عن أمعاء الخنزير المحشوة بدمه ودهونه وكأنهم لم يكتفوا بمصيبة واحدة وهي لحم الخنزير فأضافوا إليه دمه ودهنه، وكل واحدة منها تدمر جسد الآدمي تدميراً كاملاً بما تحمله من سموم ومسببات للأمراض.

وقال تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٣]

قال سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ " الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، وَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِإِلَهَتِهِمْ؛ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ " (١).

قال القرطبي " (الْوَصِيلَةُ) مِنَ الْغَنَمِ إِذَا وَلَدَتْ أَنْثَى بَعْدَ أَنْثَى سَيِّوَهَا، وَأَمَّا (الْحَامُ) الْفَحْلُ إِذَا رُكِبَ وَلَدَ وَلَدَهُ " (٢).

وروى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (٣) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحْيٍ الْخُزَاعِيَّ يَجْرُقُ قَصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ».

فعمره هذا هو ابن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم، وكان أول من غيّر دين إبراهيم الخليل، فأدخل الأصنام إلى الحجاز، ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب لها، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها.

(١) (صحيح): البخاري ٣٥٢١، مسلم ٢٨٥٦.

(٢) التفسير ٢١٦/٦.

(٣) (صحيح): البخاري ٣٥٢١، مسلم ٢٨٥٦.

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى؛ مشركو العرب ﴿يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بقولهم إن الله أمر بتحريمها، ويزعمون أنهم يفعلون ذلك لرضا ربهم وطاعته، وطاعة الله إنما تُعلم من قوله، ولم يكن عندهم من الله بذلك قول؛ فكان ذلك مما يفترونه على الله.

وقال تعالى ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ [الحج ٢٨]

قال القرطبي "أذن الله ﷻ من الأكل من الهدايا لأجل أن العرب كانت لا ترى أن تأكل من نُسكها؛ فأمر الله نبيه ﷺ بمخالفتهم، فلا جرم كذلك شرع وبلغ، وكذلك فعل حين أهدى وأحرم ﷺ" (١).

وقال تعالى ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَافُهَا﴾ [الحج ٣٧]

قال ابن عباس "كان أهل الجاهلية يضرحون البيت بدماء البدن، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية" (٢).

### الذبح

عن رافع بن خديج قال (٣) كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلت يا رسول الله إنا لنكون في المغازى فلا يكون مدي فقال «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ فَكُلُوهُ مَا لَمْ يَكُنْ سِنٌ وَلَا ظُفْرٌ وَسَأُحَدِّثْكُمْ عَنْ ذَلِكَ أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمَدَى الْحَبَشَةِ»

قال السندی (٤) مدى الحبشة أى وهم كفار فلا يجوز التشبه بهم فيما هو شعارهم. كما نهى النبي ﷺ عن شريطة الشيطان فقال (١) «لَا تَأْكُلُ الشَّرِيطَةَ فَإِنَّهَا ذَبِيحَةٌ

(١) التفسير ٣٢/١٢.

(٢) القرطبي، فى تفسيره على الآية.

(٣) (صحيح): البخاري ٢٤٨٨، مسلم ١٩٦٨، أبو داود ٢٨٢١، الترمذي ١٤٩١، النسائي ٤٤١٦، ابن ماجه ٣١٧٨.

(٤) شرح سنن ابن ماجه ٥٥٦/٣.



الشَّيْطَانِ» قال الزمخشري "هي الشاة التي شُرطت أي أثر في حلقتها أثر يسير، كشرط الحجام من غير قطع الأوداج، وتترك حتى تموت، وكانوا في الجاهلية يفعلون ذلك، وأضافها إلى الشيطان لأنه الحامل على ذلك، وهذا التفسير صرح به ابن عباس راوي الخبر كما في علل الترمذي".

وقال الترمذي "إنما يسمى ذلك شريطة لأنه من أفعال الجاهلية المؤدي إلى إزهاق الروح من غير حل".

وعن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ (٢) فقال ﷺ «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ قَالُوا لَا قَالَ هَلْ كَانَ فِيهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ قَالُوا لَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ».

#### العقيقة

العقيقة ذبيحة تُذبح عن المولود يوم سابعه، فإن كان ذكراً ذُبِحَ عنه شاتان وإن كانت أنثى ذُبِحَت شاة واحدة، وهي سُنَّة مستحبة عند جمهور العلماء لقول النبي ﷺ (٣) «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْ وَلَدِهِ فَلْيَنْسُكْ عَنْهُ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ» فقله «مَنْ أَحَبَّ» يقتضى عدم الوجوب لتفويضه إلى الاختيار فيكون قرينة صارفة للأوامر من الوجوب إلى الندب والاستحباب، والذين قالوا بوجوبها تمسكوا بحديث عامر الضبي قال (٤) قال ﷺ «مَعَ الْغُلَامِ عَقِيْقَةٌ فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى» فقله

(١) (ضعيف): أبو داود ٢٨٢٦، أحمد ٢٦١٣، ضعيف الجامع ٦٠٦٨

(٢) (صحيح): أبو داود ٣٣١٣، مشكاة المصابيح ٣٤٣٧.

(٣) (صحيح): أبو داود ٢٨٤٢، النسائي ٤٢١٢، صحيح سنن النسائي ١٦٢/٧.

(٤) (صحيح): البخاري ٥٤٧١، أبو داود ٢٨٣٩، الترمذي ١٥١٥، النسائي ٤٢١٤، ابن ماجه ٣١٦٤.

«فَأَهْرَيْقُوا عَنْهُ دَمًا» يفيد الوجوب، ولكنه كما قلنا صُرف إلى الاستحباب بقوله «مَنْ أَحَبَّ» وكانت العرب في الجاهلية إذا ولد لهم خضبوا بطن المولود ورأسه بالدم، فكره لهم النَّبِيُّ ﷺ هذا الفعل في الإسلام وخالفهم في وصفه، أما أصل العقيقة والذبح عن المولود فتركه لما فيه من الخير والبركة والفرح والسرور، فعن عائشة قالت "كانوا في الجاهلية إذا عقوا عن الصبي خضبوا بطنه بدم العقيقة فإذا حلقوا رأس المولود وضعوها على رأسه، فقال النَّبِيُّ ﷺ «اجْعَلُوا مَكَانَ الدِّمِّ خُلُوقًا»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي بريدة قال "كنا في الجاهلية إذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ولطح رأسه بدمها، فلما جاء الله بالإسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطحه بزعفران"<sup>(٢)</sup>.

ويُستحب في هذا اليوم أن يُسمَّى المولود، ويُحلق شعره ويُتصدق بوزنه فضة، وأن يُؤذن في أذنه، وأن يُحنك بوضع تمر ممضوغ في فمه لهذه الأحاديث

عن أبي رافع<sup>(٣)</sup> أن النَّبِيَّ ﷺ قال لفاطمة لما ولدت حسن بن علي «احْلِقِي رَأْسَهُ وَتَصَدَّقِي بِوِزْنِ شَعْرِهِ مِنْ فِضَّةٍ» وعنه أيضًا<sup>(٤)</sup> «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ».

فانظر كيف غير الإسلام ملامح هذه الشعيرة التي كانت تُقام في الجاهلية، وصبغها بالصبغة الإسلامية؛ ليكون المسلم أبعد ما يكون عن طريق أصحاب الجحيم، كما أنه ﷺ خالف اليهود أيضًا حيث كانوا يذجون عن الغلام شاة ولا يذجون عن البنت، فعن أبي

(١) (صحيح): ابن حبان، الصحيحة ٥/٥٨٠.

(٢) (صحيح): أبو داود ٢٨٤٣، صحيح سنن أبي داود ١٠٧/٣.

(٣) (صحيح): أحمد ٢٦٦٤٢، الترمذي ١٥١٩، صحيح الجامع ٧٩٦٠.

(٤) (صحيح): أبو داود ٥١٠٥، الترمذي ١٥١٤، صحيح سنن أبي داود ٣٢٨/٤.

هريرة قال<sup>(١)</sup> قال رسول ﷺ «إن اليهود تعق عن الغلام كبشاً ولا تعق عن الجارية فعقوا عن الغلام كبشين وعن الجارية كبشاً».

والعجب من بعض المسلمين الذين يريدون أن تعود الجاهلية إلى ديار المسلمين بإقامتهم لما يسمى (السبوع)، ويأتون فيه بكل بدعة، ولا سيما الشموع التي هي شعيرة النصراني، وينفقون من المال أكثر مما ينفقونه لو أقاموا سنة رسول الله ﷺ؛ وذبحوا عن الغلام شاتين والجارية شاة، ولكنهم أتوا من جهة النساء؛ وكثير من شرائع الإسلام تضيع بسبب النساء؛ وصدق ﷺ حيث قال<sup>(٢)</sup> «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» فليتق الله رجال الإسلام، وليقيموا شعائره؛ لتعود الأمة إلى سابق عهدها من العزة والقوة والكرامة.

#### الفرع والعتيرة

قال أهل اللغة فرع كل شيء أعلاه، والجمع فروع، وهو أول نتاج الإبل والغنم، وكان أهل الجاهلية يذبحونه لأهتهم؛ يتبرعون بذلك إذا كان للإنسان مئة بعير نحر منها بعيراً كل عام فأطعم الناس ولا يذوقه هو ولا أهله، وقيل إنه كان إذا تمت له إبله مئة قدم بكرة فنحره لصنمه.

والعتيرة هي شاة كانوا يذبحونها في شهر رجب لأهتهم، وقيل إن العرب كانت إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به ليدبحن من غنمه في رجب كذا وكذا وهي العتائر.

قال أبو عبيدة وقد كان المسلمون يفعلونه في صدر الإسلام.

قلت مقصوده أن المسلمين كانوا يذبحون لله أول التناج، أو إذا بلغت الإبل حداً يُرضى

(١) (ضعيف): ضعيف الجامع ١٨١٤.

(٢) (صحيح): البخاري ٥٠٩٦، مسلم ٢٧٤٠، الترمذي ٢٧٨، ابن ماجه ٢٩٩٨.

صاحبها على عاداتها مع الآلهة، وقد كانوا حديثى عهد بالإسلام، فما كان للآلهة المزعومة فهو لله أولى في ظل الإسلام، ولكنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يكن يرضى بهذا أيضاً، ولما كانت هذه العادة متأصلة فيهم ولا سيما وهى من أفعال الخير والبر أقرهم النَّبِيُّ ﷺ ولكن بتغيير في بعض صفاتها؛ حيث أقر العتيرة ولكن ليس في رجب فحسب بل في كل شهور العام، وأقر الفرع وليس أول النتائج فحسب بل أى ماشية وإن كانت كبيرة السن، فعن نبيشة قال إن رجلاً نادى رسول الله ﷺ وقال إنا كنا نعتز عتيرة في الجاهلية في رجب فما تأمرنا؟ قال<sup>(١)</sup> «اذْبَحُوا لِلَّهِ فِي أَيِّ شَهْرٍ كَانَ»، قال إنا نفرع في الجاهلية قال «فِي كُلِّ سَائِمَةٍ فَرَعٌ تَغْذُوهُ مَاشِيَتَكَ حَتَّى إِذَا اسْتَحْمَلَ ذَبَحْتَهُ فَتَصَدَّقْتَ بِلَحْمِهِ».

ثم بعد ذلك لم يرض النَّبِيُّ ﷺ إلا المخالفة التامة لأهل الجاهلية فمحا آثار هذه الشعيرة واكتفى بشعيرة الإسلام من الأضاحى والولائم؛ فقال النَّبِيُّ ﷺ<sup>(٢)</sup> «لَا فَرَعٌ وَلَا عَتِيرَةٌ» وهذا يقتضى أن يُقال (في الإسلام) أى لا فرع ولا عتيرة في الإسلام، وبذا يكون قد نُسخ الفرع والعتيرة من الشريعة كما قال جمهور العلماء، خلافاً للشافعى الذى تأول هذا الحديث وقال لا فرع ولا عتيرة واجبة إنما هى سُنَّةٌ، جمعاً بين هذا الحديث وحديث نبيشة، وهذا رأى مرجوح ولا سيما وقد جاءت الرواية الأخرى «لَا عَتِيرَةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا فَرَعٌ»<sup>(٣)</sup>.

#### آنية الذهب والفضة

إن الذهب والفضة من متاع أهل الجنة، قال تعالى حاكياً عن نعيمهم فيها ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ

(١) (صحيح): أبو داود ٢٨٣٠، النسائى ٤٢٢٨، ابن ماجه ٣١٦٧، صحيح الجامع ٨٤٨.

(٢) (صحيح): البخاري ٥٤٧٣، مسلم ١٩٧٦، أبو داود ٢٨٣١، الترمذي ١٥١٢، النسائى ٤٢٢٢، ابن ماجه ٣١٦٨.

(٣) (صحيح): أحمد ٧٠٩٥.

بَصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَلَتَلْذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ [الزخرف ٧١]  
 ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان ١٥]، أما أن  
 يشرب ويأكل فيها المسلم في الدنيا فهذا محرم، لعل منها مشابهة أهل الكفر الذين  
 يستحلون ذلك، فأمرنا ألا نشبه بهم، وإن كان كثير من العلماء يرفض أن يكون التحريم  
 لعله المشابهة بالأعاجم والكفار أصلاً، قلت فلا أقل من أن يكون التشبه بهم داخل كفرع  
 مع العلة الأصلية.

فكثير من الأحكام الشرعية تنطوي على علل كثيرة؛ منها ما يكون ظاهر ومنها ما يكون  
 باطن، ومنها ما هو ظني العلة؛ فلا يعلم العلل على وجه الحقيقة إلا الله.

فعن حذيفة قال <sup>(١)</sup> نهى رسول الله ﷺ عن الشراب في آنية الذهب والفضة وقال  
 «...إِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ» وفيه «وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا».

والحديث يدل على تحريم الشرب والأكل فيها لعدم الصارف لهما إلى الإباحة، فأما  
 تحريم الشرب فبالإجماع وأما تحريم الأكل فأجازه داود الظاهري والحديث يردُّ عليه، وقد  
 نقل النووي الإجماع على تحريم الأكل والشرب، ونقل ابن المنذر الإجماع على تحريم  
 الشرب إلا عن معاوية بن قرة أحد التابعين، والذين قالوا بالكراهة علة الأحاديث عندهم  
 أنها للتنزيه بدليل قوله «إِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ» ورد هذا التعليل بحديث أم  
 سلمة مرفوعاً <sup>(٢)</sup> «مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ  
 جَهَنَّمَ» وهو وعيد شديد ولا يكون إلا على محرم.

(١) (صحيح): البخاري ٥٤٢٦، مسلم ٢٠٦٧، أبو داود ٣٧٢٣، الترمذي ١٨٧٨، النسائي ٥٣١٦، ابن ماجه ٣٤١٤

(٢) (صحيح): البخاري ٥٦٣٤، ابن ماجه ٣٤١٣

قال الشوكاني<sup>(١)</sup> "وجمهور العلماء على تحريم سائر الاستعمالات للذهب والفضة بالقياس، والمحققون من أهل العلم على الأصل؛ وهو الحل فلا تثبت الحرمة عندهم إلا بدليل، ووقفوا على الأصل المعضد بالبراءة الأصلية، ولم ترهبهم سياط هيبة الجمهور". ونحن نقول بقول الجمهور؛ وهو ما حُرِّم استعماله حُرِّم اتخاذه على هيئة الاستعمال، والله أعلم.

### النكاح

رغب الإسلام في النكاح ورحب به في ظل شريعة الله ورسوله، ونهى عن الاتصال غير الشرعى بين الجنسين، ووضع للنكاح أسسًا وقواعد تخالف قواعد أهل الجاهلية التي هى على شفا جرف هار، فبعث الله محمدًا ﷺ بالإسلام فهدم نكاح الجاهلية وسن نكاح الإسلام.

ونكاح الجاهلية كما أخبرت به السيدة عائشة "أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ أَرْبَعَةٍ أَنْحَاءٍ فَكَانَ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ فَيُصَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا وَنِكَاحُ آخَرُ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لَامْرَأَتِهِ إِذَا طَهَّرَتْ مِنْ طَمَثِهَا أَرْسَلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ وَيَعْتَزِّلُهَا زَوْجَهَا وَلَا يَمْسُهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِنْ أَحَبَّ وَإِذَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ يُسَمَّى نِكَاحَ الاسْتِبْضَاعِ وَنِكَاحُ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ دُونَ الْعَشْرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا فَتَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ وَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانٌ فَتُسَمَّى مَنْ أَحَبَّتْ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ فَيُلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا وَنِكَاحُ رَابِعٌ

(١) نيل الأوطار، باب الأنية.

يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا وَهِنَّ الْبُعَايَا كُنَّ يَنْصَبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ يَكُنَّ عَلَمًا لِمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ فَإِذَا حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ فَالْتَأَطَهُ وَدُعِيَ ابْنُهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ هَدَمَ نِكَاحَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ" (١).

وأنواع النكاح التي ذكرتها السيدة عائشة والتي كانت سائدة في الجاهلية قد عادت في جاهلية القرن الحالى على ما كانت عليه، وأصبحوا يفتخرون في حضارة الغرب أن المرأة إذا ولدت سفاحًا تكفلت الدولة بنفقتها ونفقة وليدها، ففي أمريكا أكثر من مليون ولد سفاح في كل عام، والدولة تنفق عليهم وعلى أمهاتهم العذارى كما يسمونهن، وهي أغرب تسمية يمكن أن تخطر بالبال لمثل هؤلاء الزانيات، ولكنها حضارة الغرب تقلب المسميات وتعيث في الأرض فسادًا.

بل إن نكاح الجاهلية الذي ذكرته السيدة عائشة أرقى من نكاحهم؛ بحيث لو ولدت البغي دعوا لها القافة وهو الذي يعرف العوامل الوراثية وتأثيرها، فينظر أيهم أشبه بالمولود فيلحق به المولود فيتبعه ويكون ابنه، ولا يمتنع عن ذلك، فيكون له بذلك أبا يُعرف وأما في حضارة الغرب المنكودة فأبوه مجهول.

ولم تصل بعد حضارة الغرب المنكودة في جاهليتها إلى ما وصلت إليه جاهلية العرب قبل إسلامهم.

ولو وصلوا إلى ما قد وصل إليه العرب في جاهليتهم الأولى لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها على هذا التقدم العظيم، وهذا الإنصاف والتحرر للمرأة، ولاعتبر ذلك عيدًا من الأعياد

(١) (صحيح): البخاري ٥١٢٧، أبو داود ٢٢٧٢.

تحتفل به الأمم، ولأسموه عيد المرأة، وأضافوه إلى بقية أعيادهم التي يحتفلون بها في كل عام، ثم قام دعاة الحضارة المزعومة من أمتنا يطالبون بهذا الإنصاف للمرأة وبهذا العيد!!.

وبعد أن استقر الإسلام بطهره وعفافه، كانت هناك بعض الأوصاف الفرعية لهذا النكاح تخالف منهاج الإسلام منها الشغار؛ وهو أن يزوج الرجل وليته؛ ابنته أو أخته لرجل على أن يزوجه وليته؛ ابنته أو أخته وليس بينهما صداق، فنهى الإسلام عن هذا النكاح فعن ابن عمر<sup>(١)</sup> قال نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشَّغَارِ، وعن أنس قال<sup>(٢)</sup> قال رسول الله ﷺ «لَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ».

وهذا النكاح باطل عند جمهور العلماء، وهو فاسد عند الحنفية على قاعدتهم في التفرقة بين الباطل والفساد في العقود.

#### المهر

قال تعالى ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، قال القرطبي "الخطاب للأولياء، وكان الولي يأخذ مهر المرأة ولا يعطيها شيئاً فَنُهِوا عن ذلك وأَمروا أن يدفعوا ذلك إليهن"<sup>(٣)</sup> وهو أحد التأويلات.

"فهذه الآية تُنشئ للمرأة حقاً صريحاً وحقاً شخصياً في صداقها، وتنبيء بما كان واقعاً في المجتمع الجاهلي من هضم هذا الحق فكان الولي يقبض هذا الصداق ويأخذه لنفسه وكأنما هي صفقة بيع هو صاحبها.

والصداق حق للمرأة تأخذه لنفسها ولا يأخذه الولي، وأوجب أن يؤديه الزوج "نحلة"

(١) (صحيح): البخارى ٥١١٢، مسلم ٣٤٥٤، الترمذى ١١٢٤، النسائي ٣٣٣٤، أبو داود ٢٠٧٤، ابن ماجه ١٨٨٣.

(٢) (صحيح): ابن ماجه ١٨٨٥، صحيح الجامع ٧٥٠١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن على الآية.



أى هبة خالصة لصاحبته، وأن يؤديه عن طيب نفس وارتياح خاطر كما يؤدي الهبة والمنحة، فإذا طابت نفس الزوجة بعد ذلك لزوجها عن شيء من صداقها فهي صاحبة الشأن في هذا، فالعلاقات بين الزوجين ينبغي أن تقوم على الرضا الكامل، والود الذى لا يبقى معه حرج من هنا أو من هناك.

وبهذا الإجراء استبعد الإسلام ذلك الراسب من رواسب الجاهلية في شأن المرأة وصداقها، وحققها في نفسها وفي مالها وكرامتها ومنزلتها، وفي الوقت ذاته لم يحفف بين المرأة وزوجها من صلات ولم يقمها على مجرد الصرامة في القانون، بل ترك للسماحة والتراضى والمودة أن تأخذ مجراها في هذه الحياة المشتركة وأن تبلل بنداوتها هذه الحياة<sup>(١)</sup>.

#### التهنئة

عن عقيل بن أبى طالب أنه تزوج امرأة من بنى جشم فقالوا بالرفاء والبنين فقال لا تقولوا هكذا ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابى "كان من عاداتهم أن يقولوا بالرفاء والبنين والرفاء من الرفو وله معنيان؛ الأول التسكين، والثانى التوافق والالتئام وحسن الاجتماع"<sup>(٣)</sup>، وقال ابن السكيت "وإن شئت كان معناه بالسكون والهدوء والطمأنينة؛ إن كان من رفوت بغير همزة"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن المنير "الذى يظهر أنه ﷺ كره اللفظ لما فيه من موافقة الجاهلية لأنهم كانوا يقولونه تفاؤلاً لا دعاءً"<sup>(٥)</sup>.

(١) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

(٢) (صحيح): النسائي ٣٣٧١، ابن ماجه ١٩٠٦، صحيح سنن ابن ماجه ٦١٤/١

(٣) كما فى شرح سنن ابن ماجه ٤٤٢/٢ بتصرف.

(٤) اللسان: مادة (رفأ).

(٥) كما فى فتح الباري ١٣٠/٩.

وعن أبي هريرة قال <sup>(١)</sup> كان رسول الله ﷺ إذا رفاً إنساناً قال «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ».

### الجماع

عن ابن عباس قال "إنما كان هذا الحى من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحى من يهود - وهم أهل الكتاب يرون لهم فضلاً عليهم في العلم؛ فكانوا يقتدون بكثير من أفعالهم، وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحاً مُنكراً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت إنما كنا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك وإلا فاجتنبنى حتى تُرى أمرها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعنى مكان الولد" <sup>(٢)</sup>.

والآية تجيز الاستمتاع بالمرأة على أى وجه كان ما عدا الحيضة والدبر.

### الحيض

كان المسلمون في المدينة وما ولاها متأثرين ببعض عادات أهل الكتاب، فمن هذه العادات تجنب مؤاكلة الحائض ومساكتها، وهؤلاء هم اليهود لأن اليهود عندهم أصارٌ وأغلalٌ في باب الطهارة، والنصارى عندهم تفريط في هذا الباب، فسأل بعض الصحابة النبي ﷺ في ذلك فأنزل الله ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾

(١) (صحيح): أبو داود ٢١٣٠، الترمذي ١٠٩١، ابن ماجه ١٩٠٥، صحيح سنن أبي داود ٢٤١/٢

(٢) (صحيح): أبو داود ٢١٦٤، صحيح سنن أبي داود ٢٤٩/٢.

[البقرة ١٢٢] فعن أنس قال إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (الآية) فقال رسول الله «جَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ وَاصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ غَيْرِ النِّكَاحِ» فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ يَشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ كَذَا وَكَذَا أَفَلَا تُجَامِعُهُنَّ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلْتُهُمَا هَدِيَّةً مِنْ لَبَنٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَ فِي أَثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا فَعَرَفَا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا" (١).

قال النووي (٢) كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض وكانت النصارى يجامعوهن في الحيض فأمر الله بالقصد بين هذين.

"فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا (ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه)" (٣).

ومجانبة الحائض لم يخالفوا في أصلها بل خالفوا في وصفها؛ حيث شرع الله مقارنة الحائض في غير محل الأذى، فلما أراد بعض الصحابة أن يتعدى في المخالفة إلى ترك ما شرعه الله تغير وجه رسول الله ﷺ.

### نكاح زوجة الأب

قال تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء ٢٢]، قال ابن عباس "كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب

(١) (صحيح): مسلم ٦٩٢، أبو داود ٢١٦٥، الترمذي ٢٩٧٧، النسائي ٣٦٧، ابن ماجه ٦٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم.

(٣) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

والجمع بين الأختين" (١).

قال القرطبي "قد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يُخْلَفَ ابن الرجل على امرأة أبيه، وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة، وكانت في قريش مباحة مع التراضى، ألا ترى أن عمرو بن أمية خَلَفَ على امرأة أبيه بعد موته فولدت له مسافراً وأبا معيط، وكان لها من أمية أبو العيص وغيره فكان بنو أمية إخوة مسافر وأبى معيط وأعمامهما، فنهى الله المؤمنين عما كان عليه آبائهم من هذه السيرة" (٢).

"وانظر إلى عجز الآية وكيف وصف الله تعالى هذا النكاح بأوصاف ثلاثة أولها أنه فاحشة لأن زوجة الأب تشبه الأم فكانت مباشرتها من أفحش الفواحش، وثانيها المقت وهو عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل بسبب أمر قبيح وهو من الله في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار، وثالثها وساء سيلاً قال الليث ساء فعل لازم وفاعله مضمّر وسيلاً منصوب تفسيراً لذلك الفاعل" (٣).

ويبدو لنا من حكمة هذا التحريم ثلاثة اعتبارات "وإن كنا نحن البشر لا نحيط بكل حكمة التشريع، ولا يتوقف خضوعنا له وتسليمنا به ورضاؤنا إياه على إدراكنا أو عدم إدراكنا لهذه الحكمة، فحسبنا أن الله قد شرعه لنستيقن أن وراءه حكمة وأن فيه المصلحة.

وهذه الاعتبارات هي؛ الأول أن امرأة الأب في مكان الأم، الثاني ألا يخلف الابن أباه فيصبح في خياله ندّاً له، وكثيراً ما يكره الزوج زوج امرأته الأول فطرة وطبعاً فيكره أباه ويمقتّه، والثالث ألا تكون هناك شبهة الإرث لزوجة الأب الأمر الذي كان سائداً في

(١) ابن جرير الطبري، في التفسير ٣١٨/٤

(٢) التفسير ٦٨/٥

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ٢١/١٠

الجاهلية، وهو معنى كرهه يهبط بإنسانية المرأة والرجل سواء وهما من نفس واحدة، ومهانة أحدهما مهانة للآخر بلا مراء" (١).

### الإيلاء

قال تعالى ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة ٢٢٦]، قال القرطبي " (يؤلون) معناه يحلفون ألا يقربوا النساء مدة زمنية، قال ابن عباس كان إيلاء الجاهلية السنة والستين وأكثر من ذلك، يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساء، فوُت لهم أربعة أشهر، فمن آلى بأقل من ذلك فليس بإيلاء حُكمي" (٢).

" وهذه المدة كافية ليختبر الرجل نفسه ومشاعره، فإذا أن يفيء ويعود إلى استئناف حياة زوجية صحيحة ويرجع إلى زوجه وعشه، وإما أن يظل في نفرتة وعدم قابليته وفي هذه الحال ينبغي أن تفك هذه العقدة، وأن ترد إلى الزوجة حريتها بالطلاق، وإما أن يطلقها عليه القاضي؛ وذلك ليحاول كل منهما أن يبدأ حياة زوجية جديدة مع شخص جديد، فذلك أكرم للزوجة وأعف وأصون، وأروح للرجل وأجدى وأقرب إلى العدل والجد في هذه العلاقة التي أراد الله بها امتداد الحياة لا تجميده" (٣).

" فهناك حالات نفسية واقعة تلم بنفوس بعض الأزواج بسبب من الأسباب في أثناء الحياة الزوجية وملابساتها الواقعية الكثيرة تدفعهم إلى الإيلاء بعدم المباشرة، وفي هذا المهجران ما فيه من إيذاء لنفس الزوجة، ومن إضرار بها نفسياً وعصبياً، ومن إهدار لكرامتها كأنثى، ومن تعطيل للحياة الزوجية ومن جفوة تمزق أوصال العشرة وتحطم بنيان

(١) سيد قطب الظلال.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦٨/٣.

(٣) سيد قطب، الظلال.

الأسرة حين تطول عن أمد معقول.

ولم يعتمد الإسلام إلى تحريم هذا الإيلاء منذ البداية؛ لأنه قد يكون علاجاً نافعاً في بعض الحالات للزوجة الشامسة المستكبرة المختالة بفتنتها وقدرتها على إغراء الرجل وإذلاله أو إعناته، كما قد يكون فرصة للتنفيس عن عارض سأم أو ثورة غضب تعود بعده الحياة أنشط وأقوى.

ولكنه لم يترك الرجل مطلق الإرادة كذلك؛ لأنه قد يكون باغياً في بعض الحالات؛ يريد إعنات المرأة وإذلالها، أو يريد إيذاءها لتبقى معلقة لا تستمتع بحياة زوجية معه، ولا تنطلق من عقالها هذا لتجد حياة زوجية أخرى.

فتوفيقاً بين الاحتمالات المتعددة ومواجهة للملابسات الواقعية في الحياة، جعل هناك حداً أقصى للإيلاء لا يتجاوز أربعة أشهر<sup>(١)</sup>.

وأما ما يفعله بعض المسلمين من الإيلاء الذي يتجاوز الحد في البعد عن الزوجة السنة والسنتين فهذا من عادات الجاهلية التي نهى الله عنها، بل هذب ما يصلح مع النفوس البشرية بحكمته العليا، فأجاز الإيلاء ولكن لا يتجاوز أربعة أشهر.

### الميراث

قال تعالى ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر ١٩]، قال القرطبي "أى ميراث اليتامى، قال ابن زيد كان أهل الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان بل يأكلون ميراثهم مع ميراثهم وتراثهم مع تراثهم"<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٦/٢٠.

وقال تعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرٌ﴾ [النساء: ٧]، قال القرطبي "نزلت الآية في أوس بن ثابت الأنصاري، توفي وترك امرأة يقال لها أم كجة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته وبناته شيئاً، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً ويقولون لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة، فذكرت أم كجة ذلك لرسول الله ﷺ فدعاهما فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدواً، فقال ﷺ انصرفا حتى أنظرا ما يحدث الله لى فيهن فأنزل الله هذه الآية ردّاً عليهم وإبطالاً لقولهم ويعرفهم بجهلهم فإن الورثة الصغار كانوا ينبغي أن يكونوا أحق بالمال من الكبار لعدم تعرفهم والنظر في مصالحهم، فعكسوا الحكم وأبطلوا الحكمة فضلوا بأهوائهم، وأخطؤوا في آرائهم وتصرفاتهم.

قال سعيد بن جبير وقتادة كان المشركون يجعلون المال للرجال والكبار ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئاً فأنزل الله الآية<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ قال القرطبي "الخطاب للأولياء، والمقصود نفي الظلم عنهن وإضرارهن، فعن ابن عباس قال<sup>(٢)</sup> كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته؛ إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية، وقال الزهري وأبو مجلز كان من عاداتهم إذا مات الرجل يُلقي ابنه من غيرها أو أقرب عصبته ثوبه على المرأة فيصير أحق

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣١/٥.

(٢) (صحيح) البخاري ٤٥٧٩، أبو داود ٢٠٨٩.

بها من نفسها ومن أوليائها، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئاً، وإن شاء عضلها لتفتدى منه بما ورثته من الميت أو تموت فيرثها، فأنزل الله تعالى الآية، فيكون المعنى لا يحل لكم أن ترثوهن من أزواجهن فتكونوا أزواجاً لهن، وقيل كان الوارث إن سبق فألقى عليها ثوباً فهو أحق بها وإن سبقته فذهبت إلى أهلها كانت أحق بنفسها قاله السدى، وقيل كان يكون عند الرجل عجوز ونفسه تتوق إلى الشابة فيكره فراق العجوز لما لها فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدى منه بمالها أو تموت فيرث مالها، فنزلت الآية وأمر الزوج أن يطلقها إن كره صحبتها ولا يمسكها كرهاً<sup>(١)</sup>.

والمقصود من الآية إذهاب ما كانوا عليه في جاهليتهم، وألا تُجعل النساء كالمال يورثن عن الرجال كما يورث المال.

والعجب بعد أن قرر الإسلام أن للمرأة ميراثاً بعد أن كانت محرومة منه بظلم قوانين الجاهلية نجد من يُطالب بمساواة المرأة بالرجل في الميراث، ونجد أنصار النسوان يُطالبون أيضاً بذلك تملقاً للنساء تارة، وجهلاً بالشريعة تارة أخرى، فياويل من يخالف أمر الله. وعلى النقيض من ذلك نجد في قرى مصر وخاصة الجنوب أناس لا يورثون النساء ويقولون نحن عائلة لا تورث النساء ويفخرون بذلك، ألا فليتقوا الله في أنفسهم وقيموا شرع الله وإلا أخذهم الله بذنوبهم!.

### الجنائز

#### النعي

استحب العلماء إعلام أهل الميت وقرابته وأصدقائه وأهل الصلاح بموته؛ ليكون لهم

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٢/٥.



أجر المشاركة في تجهيزه، أما الإعلام بما يشبه نعى الجاهلية فهذا ما رفضه النبي ﷺ حيث قال <sup>(١)</sup> «إِيَّاكُمْ وَالتَّعْيَ فَإِنَّ التَّعْيَ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ» وهذا معناه أنهم كانوا إذا مات منهم ذو قدر ركب منهم إنساناً فرساً ويقول نعاء فلاناً أى هلكت العرب بمهلك فلان، ويعدد مفاخره ويصحب ذلك ضجيج وبكاء ونواح، فهذا إذا وقع على هذا النحو يكون حراماً، وأما الإعلان بموته من غير نوح فلا بأس به.

وَعَنْ بِلَالِ بْنِ يَحْيَى قَالَ كَانَ حَدِيثُهُ إِذَا مَاتَ لَهُ الْمَيِّتُ قَالَ (لَا تُؤْذِنُوا بِهِ أَحَدًا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَعِيًّا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ يَنْهَى عَنِ النَّعْيِ) <sup>(٢)</sup>

وهذا النهى قيده العلماء بما إذا كان يشبه النعى الذى كان عليه أهل الجاهلية من الصياح على أبواب الدور والأسواق، أما إذا لم يقرن بشيء من ذلك وشبهه فلا حظر فيه.

وقد نعى النبي ﷺ النجاشي لأصحابه يوم مات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ <sup>(٣)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا.

وَعَنْ أُسْرِ بْنِ مَالِكٍ <sup>(٤)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى جَعْفَرًا وَزَيْدًا قَبْلَ أَنْ يَحْيِيَءَ خَبَرَهُمْ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ

قال الترمذى لا بأس أن يُعلم الرجل قرابته وإخوانه بموت الشخص.

وقال ابن العربي "يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات الأولى إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح بهذا سُنَّة، والثانية الدعوة للمفاخرة بالكثرة فهذا مكروه،

(١) (ضعيف): الترمذى ٩٨٤، ضعيف الجامع ٢٢١١.

(٢) (حسن): أحمد ٢٢٩٤٥، الترمذى ٩٨٦، ابن ماجه ١٤٧٦، صحيح سنن ابن ماجه ١/٤٧٤.

(٣) (صحيح): البخاري ١٢٤٥، مسلم ٩٥١، أبو داود ٣٢٠٤، الترمذى ١٠٢٢، النسائي ١٨٧٩، ابن ماجه ١٥٣٤.

(٤) (صحيح): البخاري ٣٦٣٠، النسائي ١٨٧٨.

والثالثة الإعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك فهذا محرم".

### اللحد

رغم أن الميت قد انتقل من دار الدنيا إلى أول منازل الآخرة؛ وهو القبر وحياة البرزخ، وهو في هذه الحال لا يملك من أمره شيئاً، إلا أن الله كلف من هو على قيد الحياة أن يتولى دفنه بطريقة تخالف دفن أهل الكتاب موتاهم، فكان اللحد لنا والشق لغيرنا.

فعن ابن عباس <sup>(١)</sup> قال قال ﷺ «اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا».

واللحد هو الشق الذي يُعمل في جانب القبر لموضع الميت، لأنه قد أُميل عن وسط القبر إلى جانبه، قال النووي "يقال لحد يلحد كذهب يذهب، وألحد يلحد إذا حفر القبر، واللحد بفتح اللام وضمها معروف، وهو الشق تحت الجانب القبلي من القبر، زاد المناوي قدر ما يسع الميت ويوضع فيه وينصب عليه اللبن وهو الذي نثره ونختاره أيها المسلمون، والشق هو أن يُحفر وسط أرض القبر ويُبنى حافته بلبن أو غيره ويوضع الميت بينهما ويسقف عليه، وهو لغيرنا من الأمم السابقة فاللحد من خصوصيات هذه الأمة، وفيه دليل على أفضلية اللحد، وليس فيه نهى عن الشق".

قال القاضي "معناه أن اللحد أثر لنا والشق لهم، وهذا يدل على اختيار اللحد، فإنه أولى من الشق لا المنع منه لكن محل أفضلية اللحد في الأرض الصلبة وإلا فالشق أفضل".

قال ابن تيمية "وفيه تنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب في كل ما هو شعارهم".

وأجمع العلماء على أن الدفن في اللحد والشق جائزان، لكن إن كانت الأرض صلبة لا ينهار ترابها فاللحد أفضل، وإن كانت رخوة فالشق أفضل.

وهو فعل النبي ﷺ بأصحابه فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ <sup>(١)</sup> كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ

(١) (صحيح): أبو داود ٣٢٠٨، الترمذي ١٠٤٥، النسائي ٢٠٠٨، ابن ماجه ١٥٥٤، صحيح الجامع ٥٤٩٨.

رَجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ فَقَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ وَلَمْ يُعَسِّلْهُمْ

وقال المتولي "اللحد أفضل مطلقاً لظاهر هذا الحديث وغيره".

وحكى النووى "إجماع العلماء على جواز اللحد والشق.

ومن أمور الجنائز أيضاً القيام للجنائز؛ فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ <sup>(٢)</sup> كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ فِي الْجَنَازَةِ حَتَّى تُوضَعَ فِي اللَّحْدِ، فَمَرَّ بِهِ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ هَكَذَا تَفْعَلُ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ «اجْلِسُوا خَالِفُوهُمْ».

قال الحافظ "وقد اختلف أهل العلم في أصل المسألة يعني القيام للجنائز فذهب الشافعي إلى أنه غير واجب، فقال هذا إما أن يكون منسوخاً أو يكون قام لعله، وأيهما كان فقد ثبت أنه تركه بعد فعله والحجة في الآخر من أمره والقعود أحب إليّ، وأشار بالترك إلى حديث علي <sup>(٣)</sup> أنه ﷺ قام للجنائز ثم قعد".

قال البيضاوي "يُحْتَمَلُ قول على ثم قعد أي بعد أن جاوزته وبُعدت عنه، ويُحْتَمَلُ أن يريد كان يقوم في وقت ثم ترك القيام أصلاً، وعلى هذا يكون فعله الأخير قرينة في أن المراد بالأمر الوارد في ذلك الندب، ويحتمل أن يكون نسخاً للوجوب المستفاد من ظاهر الأمر، والأول أرجح لأن احتمال المجاز يعني في الأمر أولى من دعوى النسخ".

والاحتمال الأول يدفعه ما رواه البيهقي من حديث علي أنه أشار إلى قوم قاموا أن يجلسوا، ثم حدثهم الحديث ومن ثم قال بكراهة القيام جماعة منهم سليم الرازي وغيره من

(١) (صحيح): البخاري ١٣٤٣، أبو داود ٣١٣٨، الترمذي ١٠٣٦، النسائي ١٩٥٥، ابن ماجه ١٥١٤.

(٢) (حسن): أبو داود ٣١٧٦، الترمذي ١٠٢٠، ابن ماجه ١٥٤٥، صحيح سنن أبي داود للألباني ٢٠٤/٣.

(٣) (صحيح): مسلم ٩٦٢، أبو داود ٣١٧٥، الترمذي ١٠٤٤، النسائي ١٩٢٣، ابن ماجه ١٥٤٤.

الشافعية.

وقال ابن حزم "قعوده ﷺ بعد أمره بالقيام يدل على أن الأمر للندب، ولا يجوز أن يكون نسخاً؛ لأن النسخ لا يكون إلا بنهي أو بترك معه نهي".

وقال عياض "ذهب جمع من السلف إلى أن الأمر بالقيام منسوخ بحديث عليّ، وتعقبه النووي بأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع، وهو هنا ممكن. قال والمختار أنه مستحب وبه قال المتولي".

وقال ابن عبد البر "جاءت آثار صحاح ثابتة توجب القيام للجنائز وقال بها جماعة من السلف والخلف ورأوها غير منسوخة، وقالوا لا يجلس من اتبع الجنائز حتى توضع عن أعناق الرجال، منهم الحسن بن علي وأبو هريرة وابن عمر وابن الزبير وأبو سعيد وأبو موسى، وذهب إلى ذلك الأوزاعي وأحمد وإسحاق، وبه قال محمد بن الحسن".

وقال الطحاوي "وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا ليس على من مرت به الجنائز أن يقوموا لها ولمن تبعها أن يجلس وإن لم تُوضع".

وأراد بالآخرين عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة والأسود ونافع بن جبير وأبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأبا يوسف، حيث ذهبوا إلى أن الأمر بالقيام منسوخ، وتمسكوا بحديث علي<sup>(١)</sup> (كان يأمرنا بالقيام في الجنائز ثم جلس بعد ذلك وأمر بالجلوس).

ومهما يكن من شيء فإن العلة وهى مخالفة أهل الكتاب قائمة تُسخ الحث أم لم يُنسخ.

#### النيابة

النوح هو رفع الصوت عند موت أحد الناس وتعدد شمائله ومحاسن أفعاله، وعظيم صفاته، وهذه الصفة من الحزن على الميت منهي عنها في شرعنا، ولأنها من أفعال الجاهلية،

(١) (صحيح): مسلم ٩٦٢، أبو داود ٣١٧٥، الترمذى ١٠٤٤، النسائى ١٩٢٢، ابن ماجه ١٥٤٤.

قال ﷺ <sup>(١)</sup> «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة» وقال أيضاً <sup>(٢)</sup> «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» وقد أجمع العلماء على تحريم النياحة، وعدّها الذهبي من الكبائر، ولما كانت هذه صفة النساء كان النبي ﷺ يشترط عليهن عند المبايعة ألا يُنوحنَ على ميت؛ فعن أم عطية قالت <sup>(٣)</sup> «أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ» وَعَنْ أَسِّ <sup>(٤)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ حِينَ بَايَعَهُنَّ أَنْ لَا يُنْحَنَ فَقُلْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ نِسَاءً أَسْعَدْنَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَفَتُسْعِدُهُنَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا إِسْعَادَ فِي الْإِسْلَامِ».

فالإسلام يأمر بضبط النفس حال المصائب، وأفعال الجاهلية هذه لا تكون إلا ممن لا يؤمنون بالقضاء والقدر، وأن كل نفس ذائقة الموت، فيجب علينا أن نقول كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى بقوله ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، لله ما أخذ ولله ما أعطى وإنا لفراقه لمحزونون، أما حلق الشعر ورفع الصوت وخرق الثوب فالنبي ﷺ براءٌ ممن يفعل ذلك، فعن أبي موسى قال قال ﷺ <sup>(٥)</sup> «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ».

وتوعد النائحة بالعذاب في الآخرة فقال ﷺ <sup>(٦)</sup> «إِنَّ النَّائِحَةَ إِذَا مَاتَتْ وَلَمْ تَتُبْ قَطَعَ اللَّهُ لَهَا ثِيَابًا مِنْ قَطِرَانٍ وَدَرْعًا مِنْ لَهَبِ النَّارِ».

(١) (حسن): صحيح الجامع ٣٨٠١.

(٢) (صحيح): البخاري ١٢٩٨، مسلم ١٠٣، الترمذي ٩٩٩، النسائي ١٨٦٠، ابن ماجه ١٥٨٤، أحمد ٣٨٦/١.

(٣) (صحيح): البخاري ١٣٠٦، مسلم ٩٣٦، أبو داود ٣١٢٧، النسائي ٤١٧٩.

(٤) (صحيح): النسائي ١٨٥٢، صحيح الجامع ٧١٦٨.

(٥) (صحيح): مسلم ١٠٤، أبو داود ٣١٣٠، النسائي ١٨٦١، ابن ماجه ١٥٨٦.

(٦) (صحيح): ابن ماجه ١٥٨١ عن أبي موسى الأشعري، صحيح الجامع ٦٨٠٩.

أما البكاء على الميت فغير منهي عنه كما دل عليه حديث أبي هريرة قال<sup>(١)</sup> مات ميت من آل رسول الله ﷺ فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال له ﷺ «دَعْنُنِي يَا عُمَرُ فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ وَالْقَلْبَ مُصَابٌ وَالْعَهْدَ قَرِيبٌ» والميت هي زينب بنته ﷺ وحديث ابن عباس وفيه أنه قال لهن<sup>(٢)</sup> «وَأَيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ ثُمَّ قَالَهُمَا يَكُنْ مِنَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ فَمِنْ اللَّهِ وَالرَّحْمَةِ، وَمَهُمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ الشَّيْطَانِ».

وقوله ﷺ<sup>(٣)</sup> «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا»، وعن ابن عمر قال قال ﷺ<sup>(٤)</sup> «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ».

#### الإحْدَادُ

الإحْدَادُ هو ترك ما تتزين به المرأة من الحلَى والكحل والحُرير والطيب والخضاب، وإنما وجب على الزوجة ذلك مدة العدة من أجل الوفاء للزوج ومراعاة لحقه.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] فعن ابن عباس قال "كان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله، ثم نزلت ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] فهذه عدة المتوفي عنها زوجها".

(١) (ضعيف): النسائي ١٨٥٩، ابن ماجه ١٥٨٧، ضعيف الجامع ٢٩٨٧.

(٢) (ضعيف): ضعيف الجامع ٤٧.

(٣) (صحيح): البخاري ١٣٠٣، مسلم ٢٣١٥، أبو داود ٣١٢٦.

(٤) (صحيح): البخاري ١٣٠٤، مسلم ٩٢٤.

بدليل حديث زَيْنَبَ قَالَتْ<sup>(١)</sup> سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ جَاءَتْ امْرَأَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِي تُؤْفِي عَنْهَا زَوْجَهَا وَقَدْ اشْتَكَتْ عَيْنَهَا أَفَنَكْحُلُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ لَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ». قَالَ حُمَيْدٌ فَقُلْتُ لَزَيْنَبَ وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ فَقَالَتْ زَيْنَبُ كَانَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا تُؤْفِي عَنْهَا زَوْجَهَا دَخَلَتْ حِفْشًا وَلَبَسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا وَلَمْ تَمَسَّ طَبِيبًا حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ؛ حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ، فَقَلَمًا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعْرَةً فَتَرْمِي ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدَ مَا شَاءَتْ مِنْ طَيِّبٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَسُئِلَ مَالِكٌ مَا تَفْتَضُّ بِهِ قَالَ تَمْسَحُ بِهِ جِلْدَهَا.

قال ابن قتيبة "سألت الحجازيين عن الافتضاخ فذكروا أن المعتدة كانت لا تمس ماءً ولا تُقلم ظُفراً ولا تُزِيل شعراً، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر، ثم تفتض أي تكسر ما هي فيه من العدة بطائر؛ تمسح قبلها وتنبذه، فلا يكاد يعيش بعد ما تفتض به"<sup>(٢)</sup>.

وهذا لا يخالف تفسير مالك، ولكنه أخص منه لأنه أطلق الجلد، وتبين أن المراد به جلد القبل.

وهذا إخبارٌ منه ﷺ عن حالة المتوفي عنهن أزواجهن قبل ورود الشرع، فلما جاء الإسلام أمرهن الله تعالى بملازمة البيوت حولاً ثم نُسِخ بالأربعة الأشهر والعشر قاله أبو عمر؛ ابن عبد البر.

وهذا من رحمة الله بهذه الأمة حيث تبتدع الجاهلية في كل مكان وزمان ألواناً من كيفية

(١) (صحيح): البخاري ٥٣٣٦، مسلم ١٤٨٩، أبو داود ٢٢٩٩، الترمذي ١١٩٧، النسائي ٣٥٠١.

(٢) كما في فتح الباري ٩/ ٤٠٠.

التعبير عن الأفراح والأحزان؛ ففي مجال الأحزان نجد الجاهلية تأمر المرأة بالإحداد على الزوج سنة كاملة دون نظافة؛ بصفات من القذارة والوساخة.

ولكن جاء الدين الحنيف لينقذ المرأة من عادات الجاهلية لتكون أفراحنا ربانية وأحزاننا ربانية فالحمد لله على نعمائه.

### السلام

إن الله هو السلام، وإن تحية الإسلام هي السلام، والسلام من حقوق الطريق وآدابه قال ﷺ (١) «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ فَقَالُوا مَا لَنَا بِدُّ إِيمًا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ».

وهو سببُ حسدٍ كثيرٍ من أهل الكتاب لنا، قال ﷺ (٢) «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»، وهو من موجبات المغفرة قال ﷺ (٣) «إِنْ مَوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذَلَ السَّلَامُ وَحَسَنَ الْكَلَامُ»، وقد أمرنا ﷺ أن نخالف اليهود في كيفية السلام فقال ﷺ (٤) «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكْفِ».

قال ابن حجر "والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً وشرعاً، وإلا فهي مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام؛ كالمصلي

(١) (صحيح): البخاري ٢٤٦٥، مسلم ١٢١١، أبو داود ٤٨١٥.

(٢) (صحيح): ابن ماجه ٨٥٦، صحيح الجامع ١٩٩٧.

(٣) (صحيح): صحيح الجامع ٢٢٣٢.

(٤) (حسن): الترمذي ٢٦٩٥، صحيح الجامع ٧٣٢٧.



والبعيد والأخرس، وكذا السلام على الأصم" (١).

وشرع لنا صيغة غير صيغة الجاهلية، فعن عمران بن حصين قال (٢) كُنَّا نَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَعْمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا وَنَعْمَ صَبَاحًا فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ نُهِينَا عَنْ ذَلِكَ. قَالَ مَعْمَرٌ يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ نَعْمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا وَلَا بَأْسَ أَنْ يَقُولَ نَعْمَ اللَّهُ عَيْنَكَ.

### اللباس والزينة

#### الliche

الliche هي الشعر النابت على الذقن خاصة، وهي مجمع اللحيين؛ وهما العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى، والعارضان هما صفحتا الخد.

قال ﷺ أَمْرًا أُمَّتُهُ بِمُخَالَفَةِ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (٣) «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى» واللحي بكسر اللام - وقد تضم - جمع لحية، وقد استدل كثير من العلماء بهذا الحديث على وجوب إعفاء اللحية، فجعلوا الأمر هنا على الوجوب.

أما القائلون بندب إعفائها استندوا إلى حديث (٤) «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ وَالسَّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الْإِطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَنَتِاقُ الْمَاءِ قَالَ زَكَرِيَّا قَالَ مُصْعَبٌ وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمُضْمَضَةُ» فقالوا إن إعفاء اللحية شأنه شأن الأمور المذكورة في الحديث، وليست كلها واجبة كالسلوك والاستنشاق وقص الأظافر فلماذا لا يكون إعفاؤها مندوبًا، ولا يحتاج عليهم بأن

(١) فتح الباري ١١/١٦.

(٢) (صحيح): أبو داود ٥٢٢٧ قال ابن حجر: رجاله ثقات لكنه منقطع.

(٣) (صحيح): البخاري ٥٨٨٨، أبو داود ٤١٩٩، الترمذي ٢٧٦٣، النسائي ١٢.

(٤) (صحيح): مسلم ٢٦١، أبو داود ٥٣، الترمذي ٢٧٥٧، النسائي ٥٠٤٠، ابن ماجه ٢٩٣.

إعفاء اللحية ورد فيه أمر مخصوص معلل بمخالفة المشركين وهذه المخالفة تصرف الأمر للوجوب، فلا يحتج عليهم بذلك لأن الأمر عندهم في الحديث للندب لا للوجوب، ومخالفة المشركين لا تصرف الأمر للوجوب؛ لأنه لو كانت كل مخالفة للمشركين واجبة لوجب صبغ الشعر الذي ورد فيه حديث<sup>(١)</sup> «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ» وقد أجمع السلف على عدم وجوب صبغ الشعر، وقد صبغ بعض ولم يصبغ بعض آخر كما قال الحافظ.

فالأمر للإرشاد فقط ولا يفيد الوجوب في كل الأحوال.

وهذا الاستدلال مردود بأنه لا يمتنع قرن الواجب بغيره، قال النووي قد يقرن المختلفان كقوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام ١٤١] والأكل مباح والإيتاء واجب، وقوله تعالى ﴿فَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور ٣٣] فالكتابة سُنة والإيتاء واجب، ونظائره في الكتاب والسنة كثيرة مشهورة، وكون إعفاء اللحية أحد خصال الفطرة لا يدل بذاته على الوجوب، إنما يُستفاد الوجوب من أدله أخرى، ودلالة الاقتران لا تقوى على معارضة هذه الأدلة.

فإن النَّبِيَّ ﷺ لما رأى رسول كسرى وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما كره أن ينظر إليها وقال<sup>(٢)</sup> « ويلكما من أمركما بهذا؟ » قالوا أمرنا بهذا ربنا -يعنيان كسرى- فقال رسول الله ﷺ « ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي ».

قال تعالى ﴿لَا تُبْدِلْ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ قيل في تفسيرها هي خبر بمعنى الطلب، أى لا تغيروا

(١) (صحيح): البخاري ٣٤٦٢، مسلم ٢١٠٣، أبوداود ٤٢٠٣، النسائي ٥٠٦٩، ابن ماجه ٣٦٢١

(٢) (حسن) من تعليقات الألباني على فقه السيرة ٣٥٩.

خلق الله والهيئة التي فطركم عليها، وهى معرفة الله وتوحيده وتوابع ذلك من خصال الفطرة، وقال تعالى حاكياً عن إبليس قوله ﴿وَلَا مَرَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خُلُقَ اللَّهِ﴾ وهذا نص صريح في أن تغيير خلق الله بدون إذن من الشرع إطاعة لأمر الشيطان، وعصيان للرحمن ﷻ، ولعل في قوله تعالى ﴿وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ إشارة إلى الأمر بتحسين الهيئة والتنظيف، كأنه قال قد فطركم الله في أحسن صورة وأكمل هيئة، فلا تغيروها بما يقبحها ويشوهها، أو فحافظوا على ما يستمر به حسنهما، ولا تطيعوا الشيطان في أمره إياكم بتغيير خلق الله.

واللحية من سمات الرجل الظاهرة، التي تميزه عن المرأة التي من سماتها التزين بالذهب والحرير؛ اللذين هما محرمان على الرجال، وهكذا لكل منهما ما يناسبه من الزينة الظاهرة، وحلق اللحية والإطاحة بها كفر بهذه النعمة العظيمة، وانتكاس عن سُنَّة مَنْ هُذِيَ خَيْرُ الْهُدَى ﷺ وانحطاط إلى مستوى الكفرة، الذين رُئِنَ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ، فحسبوا أن التمدن والكمال في القضاء على أكبر الفوارق الظاهرة بين الرجل والمرأة.

وقد بلغ تعظيم الفقهاء لإعفاء اللحية إلى أن قال الأئمة؛ أبو حنيفة وأحمد والثوري "إن اللحية إذا جُنِيَ عليها فأزيلت بالكلية فلم ينبت شعرها فعلى الجانى دية كاملة، كما لو قتل صاحبها" وقال ابن مفلح "لأنه أذهب المقصود، أشبه مالهو أذهب ضوء العين"

ومن النوادر أنه لم يكن لقيس بن سعد لحية فقال الأنصار نعم السيد قيس لبطولته وشهامته، ولكن لا لحية له فوالله لو كانت اللحية تُشْتَرَى بالدرهم لاشترينا له لحية ليكمل رجلاً. <sup>(١)</sup>

(١) لأن العرب لم تترك زينة اللحية فى الإسلام ولا فى الجاهلية وقد أقرهم الإسلام على ذلك ولعلمهم توارثوها من بقايا دين إبراهيم وكان الغربيون يعفون لحاهم إلى أن أشاع الملك بطرس ملك روسيا حلق اللحية فى أوروبا فى القرن السابع عشر، ومنهم تسربت إلى المسلمين هذه السُنَّة السيئة فى بداية القرن العشرين.

وقال بعض بنى تميم من رهط الأحنف بن قيس "وددت أنا اشترينا للأحنف لحية بعشرين ألفاً" فلم يذكر حنفه وعوره وذكر كراهية عدم اللحية؛ لأن من لا لحية له يكون عند العقلاء ناقصاً.

وذكر عن شريح القاضي أنه قال "وددت لو أن لى لحية بعشرة آلاف درهم".

وبلغ من تعظيم السلف للحية أن جعلوا على حالقها عقوبة اجتماعية قاسية؛ ألا وهى رد الشهادة، فقد روي أن عمر وابن أبى يعلى قاضى المدينة ردّاً شهادة من كان ينتف لحيته، وقد كان بعض الأمراء غير المتفقهين في الدين إذا أرادوا أن يؤدبوا أحداً من الرعية حلقوا لحيته، وأركبوه دابة ويجعلونه بين الناس تعبيراً له.

فيا عجباً من بعض أهل زماننا يود أحدهم لو بذل مالاً عظيماً ليعدم لحيته إلى الأبد؛ حتى لا يعانى حلقها.

إن اللحية من المظاهر الإسلامية المتميزة، بجانب أنها طاعة لله ولرسوله ﷺ، وهى أيضاً رمزٌ لتحدى الواقع الجاهلى، الحريص على طمس معالم الشخصية الإسلامية وهى تعبير صامت عن الحنين إلى جذورنا الأصيلة الضاربة في أعماق التاريخ، والتي جعلت من سلفنا خير أمة أخرجت للناس، وهى راية على وجوه المسلمين تؤكد استعلاءهم على مؤامرات أعداء الإسلام الذين يشدون أقواسهم في صدر الإسلام.

### القرع

وفي هذا الباب أيضاً نهى النبي ﷺ أن يخلق بعض الرأس ويترك بعضه، فعن أنس قال <sup>(١)</sup> حَدَّثَنِي أُخْتِي الْمُغِيرَةُ قَالَتْ وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ وَلَكَ قَرْنَانِ أَوْ قُصَّانِ فَمَسَحَ ﷺ رَأْسَكَ وَبَرَكَ عَلَيْكَ وَقَالَ «احْلِقُوا هَذَيْنِ أَوْ قُصُّوهُمَا فَإِنَّ هَذَا زِيُّ الْيَهُودِ».

(١) (ضعيف): أبو داود ٤١٩٧، ضعيف سنن أبى داود ٨٤/٤.

وعن ابن عمر<sup>(١)</sup> (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ).

قال النووي "أجمعوا على كراهيته إلا للتداوى، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، وللنهي علل منها أنه يشوه الخلقة، الثاني لأنه زى الشيطان، الثالث لأنه زى اليهود"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية "وهذا من كمال محبة الله ورسوله للعدل، فإنه أمر به حتى في الإنسان مع نفسه فنهاه أن يخلق بعض رأسه ويترك بعضه؛ لأنه ظلم للرأس حيث ترك بعضه كاسياً وبعضه عارياً، ونظير هذا أنه نهى عن الجلوس بين الشمس والظل؛ فإنه ظلم لبعض بدنه ونظيره نهى أن يمشى الرجل في نعل واحدة بل إما أن ينعلهما أو يخفيهما.

والقزع له صور أشدها أن يخلق وسط رأسه ويترك جوانبه كما تفعله شمامسة النصراني.

ويليه أن يخلق جوانبه ويدع وسطه كما يفعل كثير من السفلة وأسقاط الناس تقليداً للغربيين، ويليه أن يخلق مقدم رأسه ويترك مؤخره.

ولم يكن هديه ﷺ حلق رأسه في غير نسك بل لم يُحفظ عنه أنه حلق رأسه إلا في حج أو عمرة وحلق الرأس على أربعة أقسام شرعي، شرعي، بدعي، رخصة.

فالشرعي الحلق في الحج والعمرة والشرعي حلق الرأس للشيوخ، فبعضهم يقول احلق رأسك للشيخ فلان، وهذا من جنس السجود له، فإن حلق الرأس عبودية ومذلة لا تصلح إلا لله وحده، وكانت العرب إذا أمنوا على الأسير جزوا نواصيه وأطلقوه عبودية وإذلاً له، ولهذا كان من تمام النسك وضع النواصي لله عبودية وخضوعاً وذلاً.

وأما الحلق البدعي فهو كحلق كثير من المتصوفة يجعلونه شعاراً للفقير والزهد، أو كحلق

(١) (صحيح): البخاري ٥٩٢١، مسلم ٢١٢٠، أبو داود ٤١٩٣، النسائي ٥٠٦٥، ابن ماجه ٣٦٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم.

بعض الشباب ليتشبه بالفساق من الأمة" <sup>(١)</sup>.

وقد جاء عن النَّبِيِّ ﷺ في صفة الخوارج أنه قال <sup>(٢)</sup> «..... سِيَمَاهُمْ التَّحْلِيْقُ».

وقال عمر بن الخطاب لصبيح بن عسل لما رآه حليق الرأس (لو رأيتك محلوقاً لأخذت الذى فيه عيناك حتى أن تكون من الخوارج).

ومن حلق البدعة أيضاً الحلق عند المصائب بموت القريب ونحوه فأما المرأة فيحرم عليها ذلك وقد برىء ﷺ من الحالقة والصالقة والشاقة، فالحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة. وأما حلق الحاجة والرخصة فهو كالحلق لوجع أو قمل أو أذى في رأسه من بشور ونحوها، وهذا لا بأس به.

### التبرج

لقد بلغت المرأة من المهانة والازدراء بنفسها إلى الحد الذى تعرض به جسمها وأنوثتها هذا العرض المخجل في الشوارع والمجامع العامة والشواطىء، والعجب أن المجتمع المسلم بذكوره وإنائه مغضٍ عن ذلك الفساد بل وراضٍ به ومغتبط له، ومستمتع به، غير آبه لما يجرى ويهوى به في هوى الضلال والكفر بالله وكتابه.

إن وراء ذلك ولا بد طامة كبرى ستتحقق بهذا المجتمع، ولن ينجو منها إلا الذين ينهون عن السوء ويصرخون في أولئك الهاوين لعلمهم يفيقون ويرجعون.

قال تعالى لنساء النَّبِيِّ محذراً إياهن من أفعال الجاهلية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولا يظن ظان أن

(١) مخالفة أصحاب الجحيم بتصرف شديد.

(٢) (صحيح): البخارى ٣٦١٠، مسلم ١٠٦٤، أبو داود ٤٧٦٥، النسائى ٤١٠١، ابن ماجه ١٦٩.

الخطاب لنساء النَّبِيِّ فحسب بل يدخل فيه من باب أولى نساء المسلمين؛ فكما أن كثيراً من الأوامر والنواهي تأتي لشخص النَّبِيِّ ﷺ إلا أن المخاطب بها من باب أولى المسلمون فقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١] ليس للنَّبِيِّ فحسب إنما هو لجميع المسلمين، كذا الأوامر والنواهي لنساء النَّبِيِّ هي لنساء المسلمين من باب أولى إلا ما كان خاصاً بهن وهذا معروف عند العلماء.

قال القرطبي "معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت وإن كان الخطاب لنساء النَّبِيِّ ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء كيف والشرعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة، فأمر الله تعالى نساء النَّبِيِّ ﷺ بملازمة بيوتهن وخاطبهن بذلك تشريعاً لهن ونهاهن عن التبرج، وأعلم أنه فعل الجاهلية الأولى" (١).

وكثيرٌ من النساء المتعلّمات تُجادلن بالباطل ليجدن منفذاً إلى تبرجهن وقد تُسمى تقوى الله جموداً أو تطرفاً، وتعتبر الاحتشام تزمناً كأنها لم تعرف الإسلام ولم تفهم القرآن، وإذا أَمَرَتْهُنَّ المدنية بفسق أو فُجُور أو عُرى قُلْنَ على الفور سمعنا وأطعنا، وإذا ذُكر الحجاب قُلْنَ لا نطيقه في الحر، ولا نطبق أن نكون عُرضة لسخرية الناس، فهل تُطقن أيتها الغافلات حر نار جهنم ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]

فلتعلم أيتها الأخت المسلمة أن أعداء الإسلام لا يكفون عن محاكاة الخطط للزج بك في أتون الموضة والشهوات وإظهار ما حرم الله إظهاره، بل والسخرية من ملابسك الفضفاضة المحتشمة.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٧٧.

"فاحذر أيتها الأم الفاضلة وال بنت الفاضلة، ما يخدعونك به من ألفاظ التحرر من العبودية، وتخطيم قيود التقاليد، إنهم يريدون أن يضيفوا إلى عبوديتك للجهل الموروث عبودية الشهوة الجاحمة، وإلى قيود التقاليد البالية قيود الاستغلال الآثم الماكر، احذري أيتها المرأة الفاضلة، فالسمكة لا تقع في الشبكة إلا حين تعمى عن دقة نسيجها، ولا يصطادها الصياد إلا بعد أن تستمرى طعم سنارته" (١).

فَلْتَحْذَرِي مِنْ دُعَاةٍ لَا ضَمِيرَ لَهُمْ  
فَأَيْنَ مَنْ كَانَتْ الرَّهْرَاءُ أُسْوَتَهَا  
هَلْ يَسْتَوِي مَنْ رَسُولُ اللَّهِ قَائِدُهُ  
أَسْمَوْا دَعَارَتَهُمْ حُرِّيَّةً كَذِبًا  
هُمْ الدَّنَابُ وَأَنْتِ الطَّعْمُ فَاحْتَرِسِي  
أَخْتَاهُ لَسْتُ بِبَنَاتٍ لَا جُذُورَ لَهَا  
أَنْتِ ابْنَةُ الطُّهْرِ وَالْإِسْلَامِ عَشْتِ بِهِ

مِنْ كُلِّ مُسْتَعْرِبٍ فِي فِكْرِهِ خَرِبُ  
مِمَّنْ تَقَفَّتْ خُطَا حَمَالَةَ الْحَطَبِ  
دَوْمًا وَأَخْرُهَا دِيهِ أَبُو لَهَبٍ  
شَاعُوا الْخَلَاعَةَ بِاسْمِ الْفَنِّ وَالطَّرَبِ  
مِنْ كُلِّ مُنْتَهَبٍ لِلْعُرْضِ مُفْتَرِسٍ  
وَلَسْتُ مَقْطُوعَةً مَجْهُولَةَ النَّسَبِ  
فِي حُضْنِ أَطْهَرِ أُمٍّ وَأَعَزِّ أَبٍ

فيا فتاة الإسلام هذه فاطمة بنت رسول الله ﷺ فرع طاب أصله وزكى غرسه فهي أسوة وقدوة لبنات جنسها

هِيَ أَسْوَةٌ لِلْأُمَّهَاتِ وَقُدُوةٌ  
جَعَلَتْ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ غِذَاءَهَا  
فَمَهَا يُرْتَّلُ أَيْ رَبِّكَ بَيْنَمَا  
بَلَّتْ وَسَادَتَهَا لِأَلَى دَمْعِهَا  
فِي رَوْضِ فَاطِمَةَ نَمَا غُصْنَانِ لَمْ

يَتَرَسَّمُ الرِّكْبُ الْمُنِيرُ خُطَاهَا  
وَرَأَتْ رِضَا الزَّوْجِ الْكَرِيمِ رِضَاهَا  
يَدُهَا تُدِيرُ عَلَى الشَّعِيرِ رِحَاهَا  
مِنْ طُولِ خَشْيَتِهَا وَمِنْ تَقْوَاهَا  
يُنْجِبُهُمَا فِي الْكَائِنَاتِ سِوَاهَا

(١) هكذا علمتني الحياة، د/ مصطفى السباعي.



## الخضاب

الخضاب هو تغيير لون شيب الرأس واللحية، فعن أبي هريرة قال<sup>(١)</sup> قال ﷺ «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ».

وهذا مما لا يتصور فيه قصد المشابهة، فهذه صفة أودعها الله في جميع البشر ولكن النبي ﷺ يريد للمسلم هيئة متميزة وشكلاً فريداً عن غيره من أهل الملل والنحل.

والخضاب يكون بغير السواد لحديث جابر في قصة أبي قحافة «غَيِّرُوا هَذَا بِشْيءٍ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ»<sup>(٢)</sup>. وقد استنبط ابن أبي عاصم من قوله (وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ) "أن الخضاب بالسواد كان من عاداتهم -أي من عادات أهل الشرك- فأمر بمخالفتهم ومخالفة اليهود والنصارى في آن واحد، وقد رخص بعض العلماء في الخضاب بالسواد لأهل الجهاد والعلة حتى لا يرى العدو ضعفاً في المسلمين"<sup>(٣)</sup>.

والصحيح أن الخضاب بالسواد محرم للوعيد المذكور في قوله ﷺ يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة، وهذا عمل منتشر بين كثير ممن ظهر فيهم الشيب فيغيرونه بالصبغ الأسود فيؤدي عملهم هذا إلى مفساد، منها الخدع والتدليس على خلق الله، والتشبع بحال غير حال الحقيقة، ولا شك أن لهذا أثراً سيئاً على السلوك الشخصي وقد يحصل به نوع من الاغترار.

والمرأة كالرجل لا يجوز لها أن تصبغ شعرها بالسواد.

وأحسن الخضاب بالحناء والكتم، قال أنس (وقد خضب بهما أبو بكر وعمر)<sup>(٤)</sup>،

(١) (صحيح): البخاري ٥٨٩٩، مسلم ٢١٠٣، أبو داود ٤٢٠٣، النسائي ٥٠٨٧، ابن ماجه ٣٦٢١.

(٢) (صحيح): مسلم ٢١٠٢، أبو داود ٤٢٠٤، النسائي ٥٠٧٦، ابن ماجه ٣٦٢٤.

(٣) كما في فتح الباري ١٠/٣٦٧.

(٤) (صحيح) مسلم ٢٣٤١.

ولكن لا يُخْضِبُ الرجل يديه ورجليه إلا للتداوى.

وفي ريف مصر يُخْضِبُ (العروس) يديه ورجليه وتسمى هذه الليلة ليلة الحناء، وهذا مخالف للسنة فلا يجوز ذلك إلا للتداوى.

"ويترك الخضاب إذا لم يكن من عادة أهل البلد، حتى لا يكون بذلك في مقام الشهرة، فالترك في حقه أولى" <sup>(١)</sup>.

(فائدة) قال ابن العربي "نهى رسول الله ﷺ عن التنف دون الخضاب لأن التنف فيه تغيير للخلقة من أصلها، بخلاف الخضاب فإنه لا يغير الخلقة على الناظر إليه" <sup>(٢)</sup>.

### وصل الشعر

عن حميد بن عبد الرحمن قال <sup>(٣)</sup> سمعت معاوية وهو على المنبر بالمدينة وأخرج من كفه قصة من شعر فقال يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه وقال «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ».

وفي رواية أن النبي ﷺ سماه «زوراً» قال ابن حجر "وفيه حجة للجمهور في منع وصل الشعر بشيء آخر سواء كان شعراً أم لا؛ مثل الخرق وقطع القماش التي تتصل بالشعر لتطويله، أو خيوط الحرير والصوف تعمل بها ضفائر" <sup>(٤)</sup>.

وعند مسلم «وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا»

(١) فتح الباري ١٠/٣٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) (صحيح): البخاري ٣٤٦٨، مسلم ٢١٢٧، أبو داود ٤١٦٧، الترمذي ٢٧٨١، النسائي ٥٢٦٠.

(٤) فتح الباري ١٠/٢٨٨.

قال النووى يعنى يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها، وفي الحديث ذم ذلك.

(فائدة) قال ابن حجر "كما يحرم على المرأة الزيادة في شعر رأسها يحرم عليها حلق شعر رأسها بغير ضرورة" (١).

وعن أسماء قالت جاءت امرأة إلى النَّبِيِّ ﷺ فقالت يا رسول الله إن لى ابنة عروساً أصابتها حصبة فتمرق شعرها - أى تساقط - أفأصله؟ فقال لعن الله الواصلة والمستوصلة. وعن جابر قال زجر النَّبِيِّ ﷺ أن تصل المرأة برأسها شيئاً.

ومن أمثلة هذا ما يُعرف في عصرنا بالباروكة، ومن الواصلات في عصرنا (الكوافيرات) وما تزخر به صالاتهن من المنكرات في أغلب الأحيان.

ومن أمثلة هذا المحرم أيضاً لبس الشعر المستعار كما يفعله بعض من لا خلاق لهم من الممثلين والممثلات في التمثيليات والمسرحيات (٢).

وهذه الخصلة كانت منتشرة في مصر في فترة الستينات والسبعينات، والحمد لله قطع الله دابرها، ولكن بدأت تطل هذه الأيام نابذة من أغطية الرأس التي بها من الخلف شعر مستعار فهلاً قامت الدولة بعمل جهاز لمراقبة ما يتم تسويقه مما هو مخالف للشريعة، والنهى عنه!!.

### تصنيف الشعر

قال ﷺ (٣) «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ» أي يتعاهده بالتسريح والترجيل والدهن

(١) المصدر السابق.

(٢) لأنهم مجاهرون بالمعاصي وناشرون للفساد، والمجاملة على حساب الدين لا تجوز.

(٣) (صحيح): أبو داود ٤١٦٣، صحيح الجامع ٧٧٠.

ويصونه من نحو وسخ وقذر ولا يبالغ في ذلك، وعن ابن عباس<sup>(١)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْدُلُ شَعْرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ شُعُورَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ فَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ.

قال القاضي عياض "سدل الشعر؛ إرساله، والمراد به هنا عند العلماء إرساله على الجبين واتخاذها كالقصة، والفرق في الشعر سُنَّةٌ لأنه الذي رجع إليه النبي ﷺ" <sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر "وكان السر في ذلك أن أهل الأوثان أبعد عن الإيمان من أهل الكتاب، ولأن أهل الكتاب يتمسكون بشريعة في الجملة، فكان يُحب موافقتهم ليتألفهم، ولو أدت موافقتهم إلى مخالفة أهل الأوثان، فلما أسلم أهل الأوثان الذين معه والذين حوله، واستمر أهل الكتاب على كفرهم تمحضت المخالفة لأهل الكتاب" <sup>(٣)</sup>.

وقيل إن الفرق كان من سُنَّةِ إبراهيم والله أعلم.

وروي أن عمر بن عبد العزيز كان إذا انصرف من الجمعة أقام على باب المسجد حرساً يجزون ناصية كل من لم يفرق شعره.

### لبس الحرير

الحرير لباس أهل الجنة، قال تعالى ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر ٣٣] فالمسلم يصبر حتى يدخله الله الجنة، فعن حذيفة قال<sup>(٤)</sup> قال ﷺ «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا».

(١) (صحيح): البخارى ٣٥٥٨، مسلم ٢٣٣٦، أبو داود ٤١٨٨، ابن ماجه ٣٦٣٢.

(٢) كما فى تفسير القرطبى، الجامع لأحكام القرآن ٧٢/٢.

(٣) فتح البارى ٣٧٥/١٠.

(٤) (صحيح): البخارى ٥٤٢٦، مسلم ٢٠٦٧، أبو داود ٣٧٢٣، الترمذى ١٨٧٨، النسائى ٥٣١٦، ابن ماجه ٣٤١٤.

قال ابن حجر "الحرير معروف، وهو عربى سُمى بذلك لخلوصه؛ يقال لكل خالص مُحرَّرًا، وحررت الشيء خلصته من الاختلاط بغيره، وقيل هو فارسى مُعَرَّبٌ" (١).

قال القاضى عياض "إن الإجماع انعقد على تحريم الحرير على الرجال، وإباحته للنساء. وللتحريم عللٌ منها الأول أنه لباس الفخر والخيلاء، الثانى أنه لباس رفاهية وزينة؛ فيليق بزي النساء دون شهامة الرجال، الثالث التشبه بالمشركون، الرابع أنه من السرف، الخامس أنه من التشبه بالنساء، السادس أنه ليس من لباس المتقين" (٢).

وفي لفظ لحذيفة "وأن نجلس عليه" (٣).

قال ابن حجر "وهى حجة قوية لمن قال بمنع الجلوس على الحرير وهو قول الجمهور. ويجوز لبسه لمن كان فى جسده حكة أو مرض جلدى يمنع من لبس الخشن؛ بدليل أن النبى ﷺ رخص للزبير وجماعة من الصحابة فى لبسه وكان فى جلداهم حكة" (٤).

وقد يلبس الحرير بعض من رزقهم الله منزلة عالية عند السلطان مجاملة له، أو خشية منه، فالله أحق بهذه الخشية؛ "فهذا عبد الله بن محيريز تابعى جليل يرى على بعض الأمراء حلة من حرير فيُنكر عليه، فقال إنما ألبسها من أجل هؤلاء وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين فقال له ابن محيريز لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين" (٥).

(١) فتح البارى ١٠/٢٩٦.

(٢) كما فى الفتح ١٠/٢٩٧.

(٣) (صحيح): البخارى ٥٨٣٧.

(٤) فتح البارى ١٠/٣٠٤.

(٥) ابن كثير فى البداية والنهاية ٩/١٩٤.

## القصاص

سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنَّ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ تَهْلِكُ وَتَبِيدُ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً، وَأَنَّ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ تَعِيشُ وَتَدُومُ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلِذَا؛ حَذَرْنَا نَبِيَّنَا ﷺ مِنَ الظُّلْمِ، وَمِنْ صُورِ الظُّلْمِ أَنْ يُقَامَ الْحَدُّ عَلَى ضَعِيفٍ، وَأَنْ يُوَضَعَ عَنْ شَرِيفٍ، قَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨] قَالَ الْقُرْطُبِيُّ " قَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَتَعَدَّى فَتَقْتُلُ غَيْرَ الْقَاتِلِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ <sup>(١)</sup> «إِنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ ﷻ مَنْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ» قَالَ الشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ إِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ فِيهِمْ بَغْيٌ وَطَاعَةٌ لِلشَّيْطَانِ، فَكَانَ الْحَيُّ إِذَا كَانَ فِيهِ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ فَقُتِلَ لَهُمْ عَبْدٌ؛ قَتَلَهُ عَبْدٌ قَوْمِ آخَرِينَ قَالُوا لَا نَقْتُلْ بِهِ إِلَّا حُرًّا، وَإِذَا قُتِلَتْ مِنْهُمْ امْرَأَةٌ قَالُوا لَا نَقْتُلْ بِهَا إِلَّا رَجُلًا، وَإِذَا قُتِلَ لَهُمْ وَضِيعٌ قَالُوا لَا نَقْتُلْ بِهِ إِلَّا شَرِيفًا، وَيَقُولُونَ " الْقَتْلُ أَنْفِي لِلْقَتْلِ " فَنَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْبَغْيِ فَقَالَ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى...﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] " <sup>(٢)</sup> .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي شَرَعِ الْقِصَاصِ لَكُمْ؛ وَهُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ بَقَاءُ الْمُهْجِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَى عَنْ صَنِيعِهِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ حَيَاةٌ لِلنَّفُوسِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ جَعَلَ اللَّهُ الْقِصَاصَ حَيَاةً، فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ يَرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ فَتَمْنَعُهُ مَخَافَةُ أَنْ يُقْتَلَ " .

(١) (حسن): أحمد ٦٧١٨، فيه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٢ .

ولما همَّ المسلمون أن يُقفوا حدًّا في الإسلام، غضب النَّبِيُّ غضبًا شديدًا وعَنَّفهم على ذلك؛ فعن عائشة قالت <sup>(١)</sup> إن امرأة سُرقت فَأُتِيَ بها إلى النَّبِيِّ ﷺ فقالوا من يجترئ على رسول إلا أن يكون أسامة-أي يشفع لها عنده-؟ فكلّموا أسامة فكلّمه، فقال النَّبِيُّ ﷺ «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنْتُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَابْتِغَاءَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا».

قال ابن تيمية " حذرنا المصطفى ﷺ عن مشابهة من قبلنا في أنهم كانوا يفرقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء، وأمر أن يسوى بين الناس في ذلك، وإن كان كثيرٌ من ذوى الرأى والسياسة قد يظن أن إعفاء الرؤساء أجود في السياسة " <sup>(٢)</sup>.

ولا يتأتى هذا الخلق إلا من جهل الجاهلين وتعدى المعتدين، وما يحدث في صعيد مصر وبعض البلاد العربية -حيث شاع الثأر- إلا صور مشابهة لما يحدث في الجاهلية، فكم من حاجز بيننا وبين نور الإسلام وهدى القرآن، وقانون النفس بالنفس قانون ربانى ذهلنا عنه فأصبحت حياتنا تفتقد إلى الأمن، فتذهب ضحايا ليس لها ذنب، وتذهب أرواح ليس لها ناقة ولا جمل في حوادث قتل خرجت عن أيدي الحكومات التي لا تُحكّم شرع الله؛ فانتشر الفساد في تلك البقاع وإن لم تُعُدْ إلى شرع الله فستبقى جاهلية جهلاء.

قال تعالى ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة ٤٥]

(١) (صحيح): البخارى ٦٧٨٨، أبوداود ٤٣٧٣، الترمذى ١٤٣٠، النسائى ٤٨٩٥، ابن ماجه ٢٥٤٧

(٢) مخالفة أصحاب الجحيم.

قال ابن عباس "تُقتل النفس بالنفس وتُفقأ العين بالعين، وتُقطع الأنف بالأنف، وتُنزع السن بالسن، وتُقتص الجراح بالجراح، فذا يستوى فيه أحرار المسلمين فيما بينهم؛ رجالهم ونساؤهم، إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس، ويستوى فيه العبيد رجالهم ونساؤهم فيما بينهم إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس" <sup>(١)</sup>.

قال أحمد شاكر "هذا التشريع الثابت بنص القرآن الكريم، والذي أخبرنا الله سبحانه في هذه الآية أنه ثابت في التوراة جعله الإفرنج الكفرة الفجرة مما يتندرون به في أقوالهم وكتابتهم، يسمونه (شريعة الغاب)!! عن كفرهم بالأديان، وإنكارهم للشرائع السماوية، حتى سارت هذه الكلمة المنكرة مثلاً، ثم يُقلدهم الملحدون من المنتسبين للإسلام، والجاهلون من المسلمين، لا يدرون أنهم بذلك طعنوا في التشريع الإلهي الثابت في الأديان الثلاثة السماوية.

فليحذر المسلمون مواطن الزلق، وليصونوا ألسنتهم وأقلامهم، أما الملحدون فهم الملحدون.

فانظروا إلى ما فعل بنا أعداؤنا المبشرون المستعمرون! لعبوا بديننا، وضربوا علينا قوانين وثنية ملعونة مجرمة، نسخوا بها حكم الله وحكم رسوله، ثم ربوا فينا أناساً يتسبون إلينا، أشربوهم في قلوبهم بغض هذا الحكم، ووضعوا على ألسنتهم كلمة الكفر أن هذا حكم قاس لا يناسب هذا العصر الماجن، عصر المدنية المتهتكة! وجعلوا هذا الحكم موضع سخريتهم وتندرهم! فكان عن هذا أن امتلأت السجون -في بلادنا وحدها- بمئات الألوف من اللصوص، بما وضعوا في القوانين من عقوبات ليست رادعة، ولن تكون أبداً رادعة، ولن تكون أبداً علاجاً لهذا الداء المستشري.

(١) كما في تفسير ابن كثير.



ثم أدخلوا في عقول الطبقة المثقفة، وخاصة القائمين على هذه القوانين الوثنية ما يسمونه (علم النفس) وهو ليس بعلم ولا شبيه به، بل هو أهواء متناقضة متباينة، لكل إمام من أئمة الكفر في هذا العلم رأي ينقض رأي مخالفه، ثم جاؤوا في التطبيق يلتمسون الأعذار من (علم النفس) لكل مجرم بحسبه، ثم زاد الأمر شرًا أن يكتب المجرمون أنفسهم كلامًا يلتمسون به الأعذار لجرمهم، وقام المدافعون عنهم المقامات التي توردهم النار؛ يعلمون أن الجريمة ثابتة، فلا يحاولون إنكارها، بل يحاولون التهوين من شأنها، بدراسة نفسية المجرم وظروفه!!.

هذه المسألة -عندنا نحن المسلمين- هي من صميم العقيدة، ومن صميم الإيمان، فهؤلاء المنتسبون للإسلام، المنكرون للحدود والقصاص أو الراغبون عنها سنسألهم أتؤمنون بالله وبأنه خلق هذا الخلق؟ فيقولون نعم، أتؤمنون بأنه يعلم ما كان وما يكون، وبأنه أعلم بخلقه من أنفسهم وبما يصلحهم وما يضرهم؟ فيقولون نعم، أتؤمنون بأنه أرسل رسوله محمدًا بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه هذا القرآن من لدنه هدى للناس وإصلاحًا في دينهم وديناهم؟ فيقولون نعم، أتؤمنون بأن تشريع الله قائم ملزم للناس في كل زمان مكان، وفي كل حال؟ فيقولون نعم، إذن فأنتي تصرفون؟!، وعلى أى شرع تقومون؟! أما من أجاب -ممن ينتسب للإسلام- على أى سؤال من هذه السؤالات بأن لا، فقد فرغنا منه وعرفنا مصيره، وقد أيقن كل مسلم من عالم أو جاهل، مثقف أو أمي أن من يقول في شيء من هذا لا فقد خرج من الإسلام، وتردى في حمأة الردة، وأما من عدا المسلمين، ومن عدا المنتسبين للإسلام، فلن تُجادلهم في هذا، ولن تُسايرهم في الحديث عنه، إذ لم يؤمنوا بمثل ما آمننا، ولن يرضوا عنا أبدًا إلا أن نقول مثل قولهم! وعبادًا بالله من ذلك" (١).

(١) حكم الجاهلية بتصرف، واقتباسات من أماكن متفرقة.

## الأعياد

إن موافقة الكفار في أعيادهم لا تجوز البتة، لأن موافقتهم فيما ليس من ديننا يُفوت علينا كثيراً من المصالح إن لم يكن هناك مفسدة، فكيف إذا ضيع المصالح وأتى بالمفاسد!! إلى جانب أن موافقتهم تكون من البدع المحدثه في ديننا، ولا شك أن النَّبِيَّ ﷺ نهى عن البدع صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها فقال ﷺ <sup>(١)</sup> «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا» فانظر إلى كلمة سُنَّة جاءت نكرة لتدل على أى سُنَّة مهما كانت وليست في الإسلام.

وأعياد الكفار منهي عن مشابھتهم فيها بالكتاب والسُّنة والإجماع، فمن الكتاب ما تأوله غير واحد من التابعين في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان ٧٢] فذكر مجاهد، والربيع بن أنس أنه أعياد المشركين، وكذا محمد بن سيرين وعكرمة بمعناه.

فقد سماها الله زوراً لما فيها من التحسين والتمويه؛ حتى تظهر بخلاف ما هي عليه في الحقيقة، وقد مدح ترك شهودها وهو الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده!؟

وقد يظن بعض الناس أن موافقتهم في أعيادهم فيه من التوسعة على العيال، أو اكتساب الناس في البيع والشراء، وفي الظن الأول جهل بالشرعية، والثاني جهل بالعقيدة، فإن الله عندما نهى المسلمين عن السماح للمشركين بالاقتراب من المسجد الحرام في قوله

(١) (صحيح): مسلم ١٠١٧، الترمذی ٢٦٧٥، النسائی ٢٥٥٤، ابن ماجه ٢٠٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة ٢٨] وفي هذا تضييع لمصالح الدنيا من التجارة وتبادل السلع، إلا أن الله عقَّب ذلك بقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فالغنى الحقيقي من الله تعالى، وليس الغنى بسبب غير مشروع -وهو أعياد الكفار- جائز، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

والمُنصوص عليه الفطر والأضحى، وما لم يكن منصوصاً عليه فللناس فيه موقفان؛ موقف المنع لأنه بدعة، وموقف الجواز لعدم النهي عن منعه، ويحتج أصحاب الموقف المانع بحديث أنس قال <sup>(١)</sup> قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ قَالُوا كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ».

فكل ما سوى هذين العيدين بدعة.

وأصحاب الرأي المجيز قالوا يُرد عليه بأن الحديث لم يحصر الأعياد فيهما بل ذكر فضلهما على أعياد أهل المدينة التي نقلوها عن الفرس ومنها عيد النيروز في مطلع السنة الجديدة في فصل الربيع، وعيد المهرجان في فصل الخريف كما ذكره، وبديل أنه سُمي يوم الجمعة عيداً.

ويُرد على الرأي المجيز بأن النَّبِيَّ ﷺ لم يقرهم على هذين العيدين ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة بل قال «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا» والإبدال من الشيء يقتضى ترك المبدل منه، إذ لا يجتمع بين البدل والمبدل منه البتة.

(١) (صحيح): أبو داود ١١٣٤، النسائي ١٥٥٦، حمد ١٢٤١٦، مشكاة المصابيح ١٤٣٩.

ونحن لم نر الآن لهذين العيدين أثراً في حياة المسلمين؛ ولم نقرأ عنهما في كتب التراث، ولا سيما وأن الأعياد لها وقع في النفوس، وتطلب لها دائم خاصة النساء والصبيان؛ لما فيها من اللعب والبطالة، ولهذا قد يعجز كثير من الملوك والرؤساء عن نقل الناس عن عاداتهم في أعيادهم لقوة مقتضيتها في نفوسهم، وتوافر همم الجماهير على اتخاذها.

فعلم بذلك أن نهى النَّبِيِّ ﷺ كان قوياً ومؤثراً في نفوس المسلمين؛ للمحافظة على الأمة الإسلامية من الذوبان في غيرها من أهل الملل والنحل، وأنه كان يسعى في دروسها وطموسها بكل سبيل.

ودل قوله ﷺ على أن الشريعة قد حرمت علينا أن نشارك غيرنا في أعيادهم، سواء بالتهنئة أو الحضور أو أي صورة أخرى من الأقوال أو الأفعال أو الإقرار.

وقال ﷺ لأبي بكر<sup>(١)</sup> «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا».

فدل قوله ﷺ على أن الشريعة قد جعلت لنا أعياداً تتميز بها؛ هما عيد الفطر وعيد الأضحى لا يشاركنا فيهما غير المسلمين، ولا يجوز لنا أن نزيد عليهما أعياداً أخرى؛ لأن الأعياد من المسائل الشرعية التعبدية التي لا يجوز الابتداع فيها، أو إحداث شيء غير ما شرعه الله ورسوله ﷺ.

وقد قسم بعض العلماء الأعياد إلى نوعين؛ دينية ودينية.

فالدينية تنقسم إلى منصوص عليها مثل الفطر والأضحى، فهذا متفق عليه بين العلماء جواز الاحتفال به واللعب واللهو المباح بشرط ألا تنتهك حرمة، وألا ترتكب معصية.

وغير المنصوص عليه مثل المولد النبوي، الإسراء والمعراج، الهجرة فللعلماء فيه قولان

(١) (صحيح): البخارى ٩٥٢، مسلم ٨٩٢، النسائى ١٥٩٣، ابن ماجه ١٨٩٨.

الأول المنع لأنه بدعة، الثاني الجواز لعدم النص على منعه وقد تقدم الرد عليه.

أما الأعياد الدنيوية فتتقسم إلى قسمين؛ الأول ما لا يمت إلى عقيدة فاسدة مثل عيد النصر، عيد الجلاء، السادس من أكتوبر، فهذا جائز الاحتفال به مالم تنتهك حرمة أو ترتكب معصية<sup>(١)</sup>.

الثاني ما يرتبط بعقيدة فاسدة مثل عيد الحب، عيد الأم، شم النسيم فهذه الأعياد وأمثالها نشأت من عقيدة فاسدة كعقيدة الفراعنة المصريين ولها طقوس معينة مثل صنع أنواع معينة من الأطعمة، فهذا لا يُحتفل به ولا يُشارك فيه والمجاملة على حساب الدين والخلق والكرامة خطأ شرعى.

واليوم قد ابتدعت الأمة أعياد ميلاد تقليدًا لأهل الكتاب ومضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى، "فإن اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا -مع اختلاف الناس في مولده- لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته، واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هى طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، أما الحرصاء على أمثال هذه البدع -ومع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد- تجدهم فاترين في أمر الرسول ﷺ وعما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد

(١) وأرى أن الاحتفال بهذه الأعياد خلاف الأولى؛ لأنه لم يحتفل الصحابة بعيد بدر أو عيد أحد أو عيد الخندق أو غيرها من أيام انتصارتهم، بالإضافة إلى أن اقتصاد البلاد لا يسمح بذلك، ولن يسمح فى يوم من الأيام، لأن المسلم يضع دائماً أمواله فيما يفيد وليس فى الحلوى والزينة التى أودت بنا إلى التخلف والتراجع عن ركب الحضارة.

ولا يصلى فيه، أو يصلى فيه قليلاً" <sup>(١)</sup>.

وكذا أعياد ميلاد الأولياء (المولد)، ومن المعلوم أنها بدعة منكرة وضلالة ظاهرة، ومن العجيب أن هؤلاء الأموات لم يكونوا يُقيمون لأنفسهم أعياد ميلاد في حياتهم، فلما ماتوا جاء أرباب البدع بهذه المنكرات والضلالات تقليدًا للنصارى مع أعياد ميلاد المسيح التي يقيمها النصارى في بداية العام الميلادى، والأعجب من ذلك أنك لا تجد (مولدًا) واحدًا يُقام في الشتاء بل جميعها فى الصيف!!.

وكذا أعياد الميلاد الخاصة التي يُقيمها بعض المسلمين في بيوتهم لأنفسهم أو لأبنائهم بالشموع أو غيرها، فهذا من البدع المنكرة، وهى صورة واضحة من صور التشبه بغير المسلمين، ترجع إلى نقص الإيمان، وجهل بإحكام الشريعة، وتقليد أعمى بغير تفكير ولا تدبر.

"وقد يجزع دعاة الدين والأخلاق من تلکم المظاهر التي انتشرت في البلاد الإسلامية، ومن حق المخلصين أن يجزعوا لذلك، غير أن اللوم ليس كله على الجمهور -لمن عرف طبائع الجماهير- فاستقامة المجتمع تكون دائمًا بأمرين متلازمين عقيدة قوية متغلغلة في نفوس الأفراد، وسلطة حازمة ترى من واجبها الحيلولة دون انحراف الجماهير، ومن المؤسف أن مجتمعنا فقد هذين الأمرين منذ زمن بعيد" <sup>(٢)</sup>.

### التبني

لقد كانت بدعة التبني من أظهر بدع الجاهلية، وتفشت هذه البدعة حتى أصبحت دينًا متوارثًا لا يمكن تعطيله أو تبديله، فكان العربى يتبنى ولد غيره، فيقول له أنت ابنى أرثك

(١) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم، بتصرف.

(٢) هكذا علمتني الحياة، د/ مصطفى السباعي.

وترثني، فيصبح ولده وتجرى عليه أحكام البنوة كلها من الإرث والنكاح والطلاق ومحرمات المصاهرة... وغير ذلك مما يتعلق بأحوال الابن الصلبي على الوجه الشرعي المعروف.

فجاء الإسلام وأبطل هذا الادعاء، فقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، قال القرطبي "كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه من الرجل جلده وظرفه ضمه إلى نفسه، وجعل له نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان يُنسب إليه فيقال فلان بن فلان، إلى أن نسخ الله ذلك بقوله ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]" (١).

وعن عبد الله بن عمرو قال قال ﷺ (٢) «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرْحَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ».

ويطلق لفظ التبنى ويراد به أحد معنيين، الأول أن يضم الإنسان إليه ولدًا يعرف أنه ابن غيره، وينسبه إلى نفسه نسبة الابن الصحيح، وتثبت له جميع حقوقه، والثاني أن يجعل غير ولده كولده النسبي في الرعاية والتربية فقط، دون أن يلحقه بنسبه، فلا يكون كأولاده الشرعيين، وهذا الأخير عمل خيري إذا دعت إليه عاطفة كريمة، كحماية المتبنى من الضياع لموت والديه، أو غيابهما أو فقرهما مثلاً، أو لإشباع غريزة الأبوة والأمومة عند الحرمان منها بالذرية، ولأمانع منه شرعاً بل مندوب إليه من باب الرحمة والتعاون على الخير.

أما الأول فقد كان معروفاً في الشرائع الوضعية قبل الإسلام، كما عرفتة العرب في

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١٤.

(٢) (صحيح): ابن ماجه ٢٦١٤، صحيح الجامع ٥٩٨٨.

الجاهلية، وظل معترفاً به في بداية الإسلام، وبمقتضاه تبني رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فكان يُدعى زيد ابن محمد، حتى أبطله بعد الهجرة بأربع سنوات أو خمس، وكان زواج النبي ﷺ من زينب بنت حجش مطلقة زيد بن حارثة تطبيقاً لهذا الإبطال، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب هـ]

"والتبني غير الإقرار بالنسب؛ إذ أن المقر يعترف ببنة ولد مخلوق من مائه بنوة حقيقة كالبنوة الثابتة بفراش الزوجية، ولكي يقع الإقرار بالنسب صحيحاً يتعين توافر شروط هي؛ أن يكون الولد -ذكر أو أنثى- مجهول النسب لا يُعرف له أب، فإن كان معلوم النسب فلا يصح الإقرار به، الثاني أن يكون من الممكن أن يولد مثل هذا الولد للمقر، فلو كانت سن المقر ثلاثين سنة مثلاً وسن المقر له مثل هذا أو أكثر أو أقل بقدر يسير، كان كذب الإقرار ظاهراً فلا يثبت له النسب.

ويصدق الولد المقر في إقراره بالنسب إذا كان مميزاً يُحسن التعبير عن نفسه، فإذا كذبه وأنكر نسبته إليه فلا يثبت نسبه منه، وإذا كان الولد لا يحسن التعبير عن نفسه فإنه يكفي إقرار المقر بثبوت النسب، مع مراعاة الشرطين السابقين.

وهذا الإقرار بالنسب جائز ويقع صحيحاً بالشروط الموضحة.

والفرق بين التبني والإقرار بالنسب واضح إذ أن التبني ادعاء نسبة لا وجود لها في الواقع، أما الإقرار بالنسب فهو ادعاء نسب واقع فعلاً، لكنه غير ثابت بمراعاة تلك الشروط.

وقد يسأل سائل وهل نترك "أولاد الشوارع" و"اللقطاء" و"المنبوذين" دون رعاية أو



تربية حتى يكونوا خطراً داهماً على أنفسهم وعلى الأمة، فأقول لا، فهؤلاء لا بد من رعايتهم لأنهم براء لا ذنب لهم، فإهمالهم ظلم، والله قد حرمه، ولأنه يعرضهم للهلاك والموت أو الفساد بالتشرد، وذلك ينهى عنه الدين، ولكن مع ذلك لا تُجيز التبنى، إنما تُجيز أن تقوم الهيئات والمؤسسات أو الدولة بالتقاط هؤلاء وتنشئتهم في بيوت رعاية خاصة، وإلحاقهم بأسر تُريد تربية بعضهم بشرط أن يكونوا صالحين لرعايتهم، أمناء حسنو السير السلوك كما شرط الفقهاء" <sup>(١)</sup>.

---

(١) فتوى للشيخ الفاضل / عطية صقر رحمه الله.

## الفصل الرابع مخالفتهم في الأخلاق

### تمهيد

هناك أخلاق كثيرة مذمومة أتى بها أهل الكتاب من قبلنا، حذرنا منها ﷺ مع علمه أنه واقع بعضها في أمته بقدر الله تعالى، ولكنه كما قال عنه ربه ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى ٤٨]، وقال أيضاً ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية ٢٢]، ونحن بدورنا نحذر منها لقوله تعالى ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال ٤٢]، ولقوله تعالى ﴿مُعَذِّرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف ١٦٤]، من هذه الأخلاق

### الكبر

صفة الكبر من صفات أهل الجاهلية، حذرنا ربنا تبارك وتعالى منها، وأمرنا بالتواضع وخفض الجناح، ولا سيما في التعامل مع أهل الأعذار فقال جل ذكره ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ...﴾ [النور ٦١]، قال القرطبي "كانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأكل مع أهل الأعذار، فبعضهم كان يفعل ذلك تقذراً لجولان اليد من الأعمى، ولانبساط الجلسة من الأعرج، ولرائحة المريض وعلاته، وهذا من أخلاق الجاهلية، فنزلت الآية مؤذنة، وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجاً من غير أهل الأعذار، إذ هم مقصرون عن درجة الأصحاء في الأكل لعدم الرؤية في الأعمى، وللعجز عن المزاحمة في الأعرج، ولضعف المريض، فنزلت الآية في إباحة الأكل معهم" (١).

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٦/١٢

فالمتكبر جاهل بربه تبارك وتعالى؛ إذ هو ينازعه في صفة من صفاته، قال تعالى «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup> وليت هذا الجاهل يعلم أن كبره هذا سبب لدخوله النار.

فعن أبي هريرة قال<sup>(٢)</sup> قال ﷺ «اِحْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَقَالَ اللَّهُ ﷻ لَهُذِهِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَرُبَّمَا قَالَ أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَقَالَ لَهُذِهِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا» وهذا المتكبر إذا كان يوم القيامة عومل على خلاف قصده، وكان جزاؤه من جنس عمله؛ فإنه لما تكبر على خلق الله في الدنيا يأتي يوم القيامة على مثل الذر؛ تدوسه الناس بأقدامها، ويا له من يوم يُذَلُّ فيه من يُذَلُّ، فعن ابن عمر قال<sup>(٣)</sup> قال ﷺ «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الدُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ».

عجبتُ مَنْ مُعْجِبٍ بِصُورَتِهِ	وكان بالأمس نطفةً مذنرةً <sup>(٤)</sup>
وفي غد بعد حُسْنِ صُورَتِهِ	يصير في اللحد جيفةً قذرةً
وهو على تيهه ونخوته	ما بين ثوبيه يحمِلُ العذرة

وقد يُبتلى بعض العلماء وطلبة العلم ببعض مظاهر الكبر، وهو منهم قبيح، ألا فليعلموا أن النفوس قد جُبِلت على كُره من يستطيل عليها ويحتقرها ويستصغرها، كما

(١) (صحيح): مسلم ٢٦٢٠، أبو داود ٤٠٩٠، ابن ماجه ٤١٧٤، عن أبي هريرة

(٢) (صحيح): البخارى ٤٨٥٠، مسلم ٢٨٤٦، الترمذى ٢٥٦١.

(٣) (حسن): الترمذى ٢٤٩٢، صحيح الجامع ٨٠٤٠

(٤) ابن بسام البغدادي ٢٣٠ - ٥٣٠٢.

جُبِلَتْ عَلَى الثُّفْرَةِ مِمَّنْ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهَا وَيَتَعَالَى عَلَيْهَا، حَتَّى وَلَوْ كَانَ مَا يَقُولُهُ حَقًّا وَصِدْقًا، فَإِنْ قُلُوبُهُمْ دُونَ كَلَامِهِ مَغْلُوقَةٌ، وَصُدُورُهُمْ عَنْ إِرْشَادِهِ وَوَعْظِهِ مُوَصَّدَةٌ، بَلْ لَعَلَّهُمْ يَكْرَهُونَ أَوْ يَسْتَثْقِلُونَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَحَقٍّ.

وَقَدْ كَثُرَتْ أَقْوَالُ السَّلَفِ فِي الْكِبَرِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، لِعَظَمِ شَأْنِهِ وَكِبَرِ خَطَرِهِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عِيْنَةَ قَالَ "مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الشَّهْوَةِ فَارِجًا لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الْكِبَرِ فَاخْشَ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ آدَمَ عَصَى مُشْتَهِيًا فَغُفِرَ لَهُ، وَإِبْلِيسَ عَصَى مُتَكَبِّرًا فَلَعَنَ" <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ "زَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ مَرَّ فِي السُّوقِ عَلَيْهِ حَزْمَةٌ مِنْ حَطْبٍ فَقِيلَ لَهُ أَلَيْسَ أَغْنَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ أُرِدْتُ أَنْ أَقْمَعَ الْكِبَرَ" <sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْأَحْنَفُ "عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْرِي فِي مَجْرَى الْبُولِ مَرَّتَيْنِ كَيْفَ يَتَكَبَّرُ" <sup>(٣)</sup>، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ "مَادَخَلَ قَلْبَ امْرِئٍ مِنَ الْكِبَرِ شَيْءٌ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مَقْدَارَ ذَلِكَ" <sup>(٤)</sup>، وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ "إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ قَدْ أَشْرَ وَبَطَرَ فَلَا تَعْظُمُهُ فَلَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ" <sup>(٥)</sup>، وَقَالَ الْجَنِيدُ "أَعْلَى الْكِبَرِ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تَخْطُرَ بِبَالِكَ - يَعْنِي نَفْسَكَ" <sup>(٦)</sup>، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ "إِذَا كَانَ الرَّجُلُ لَجُوجًا مِمَّارِيًّا مَعْجَبًا بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ" <sup>(٧)</sup>، وَقَالَ مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ "لَأَنْ أَبَيْتَ نَائِمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

(١) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٤٦١/٨.

(٢) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٤١٩/٢.

(٣) عَيُونُ الْأَخْبَارِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ ٢٧٢/٣.

(٤) الْحَلِيَّةُ ١٨٠/٣.

(٥) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٧٠/٩.

(٦) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٦٨/١٤.

(٧) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٣٨٣/٤.

أَبَيْتَ قَائِمًا وَأَصْبَحَ مُعْجَبًا" <sup>(١)</sup>، وقال عبد الله بن أبي الهزِيل "رَأَيْتَ عِمَارًا اشْتَرَى قَتَا-  
عَلَفَ الدَّوَابَّ- بِدَرَاهِمَ وَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ" <sup>(٢)</sup>.

وَأَوْصَى سَلْمَانَ الْفَارْسِي أَخَاهُ جَرِيرًا بِقَوْلِهِ "يَا جَرِيرُ تَوَاضَعْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ مَنْ تَوَاضَعَ  
يَرْفَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَتَعَاضَّمْ فِي الدُّنْيَا يَضَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" <sup>(٣)</sup>.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَوَاضَعَ وَيَتَصَفَّ بِصِفَةِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ؛ قَالَ تَعَالَى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ  
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان ٦٣] أَيْ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ  
مَتَوَاضِعِينَ، غَيْرَ أَشْرِينَ وَلَا مَرَحِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة ٥٤] فَوصَفَهُمْ بِحُبِّهِ إِيَّاهُمْ لِهَذِهِ الصِّفَةِ (الذُّلُّ) وَهُوَ ذُلُّ الرَّحْمَةِ  
وَالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ وَالتَّوَاضُعِ مَعَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ أَيْضًا فِيهِمْ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ  
بَيْنَهُمْ﴾ [محمد ٢٩]، وَهَذَا عَكْسُ حَالٍ مِنْ قِيلَ فِيهِمْ

كِبَرًا عَلَيْنَا وَجَبْنَا عَنْ عَدُوِّكُمْ لَبِئْسَتِ الْخَلْتَانِ الْكِبَرُ وَالْجَبْنُ

وَالْتَوَاضُعُ أَنْ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ قِيَمَةً، فَمَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ قِيَمَةً فَلَيْسَ لَهُ فِي التَّوَاضُعِ نَصِيبٌ.

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ "الْعِزُّ فِي التَّوَاضُعِ فَمَنْ طَلَبَهُ فِي الْكِبَرِ فَهُوَ كَطَلَبِ الْمَاءِ مِنَ النَّارِ" <sup>(٤)</sup>.

(١) الحلية ٢/٢٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٤٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١/٥٤٨.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم.

والكبر هو أول ذنب عصى الله به، فما استحق إبليس اللعنة إلا بالكبر، وما آل أمره إلى ما آل إلا بالكبر، فالمتكبرون مع شيخهم وقائدهم إبليس إلى النار فبئس مثوى المتكبرين.

يا مُظْهِرَ الْكِبَرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ	انظر خلاك فإن النتن تثریبُ
لو فكر الناسُ فيما في بطونهم	ما استشعر الكبرُ شُبَانٌ وَلَا شَيْبُ
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة	بأربع هو في الأقدار مضروبُ
أنفٌ يسيل وأذنٌ ريحها سهكٌ	والعين مرفضة والثغر ملعوبُ
يا بن الترابِ ومأكولِ الترابِ غدا	أقصر فإنك مأكولٌ ومشروبُ

وقد أدب الله نبيه محمداً ﷺ وخاطبه بقوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، أولئك هم المستضعفون من الصحب الكرام أمثال صهيب وعمار وبلال وخباب، أراد كفار قريش من الرسول ﷺ أن يطردهم من مجلسه، أو يخصص لهم مجلساً لا يجتمعون فيه مع الضعفاء والفقراء، فأنزل الله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

إن التواضع هو بذل الاحترام والعطف لمن يستحق، التواضع خلق يُكسب صاحبه رضا أهل الفضل ومودتهم، فمن تشنف بهذا الخلق فهو الفائز.

إن ابتغاء الرفعة وحسن الإفادة من طريق التواضع هو أيسر الطرق، فالتواضع في محله يورث المودة، فمن عم فؤاده بالمودة امتلأت عينه بالمهابة.

إن المتواضع يستطيع الخوض في كل ميدان، ويعيش في كل مجتمع، يعيش وهو ضافي الكرامة، أنيس الملتقى، شديد الثقة بنفسه، مبسوط الحيا لجليسه، وهذا هو الرجل الذي يُرجى لنفع هذه الأمة.

## الحسد

قال تعالى ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة ١٠٩] فذم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم.  
وقال ﷺ <sup>(١)</sup> «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ....».

فالحسد داء الأمم من قبلنا، وهو بقدر الله يسرى رويداً رويداً في جسد الأمة الإسلامية وهي لا تحس به لخفته، والبغضاء ما هي إلا الوريث الشرعى للحسد وبُيُتُّه وحصاده المر.  
والحسد مذموم وصاحبه مغموم، وهو أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض، فأما في السماء؛ فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض؛ فحسد قابيل لهابيل.

"والحسد مفسد الطاعات وباعث على الخطيئات، وهو الداء العضال الذي ابتلي به كثير من العلماء فضلاً عن العامة حتى أهلكهم وأوردتهم النار، وحسبك أن الله أمر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق بتمامها] فانظر كم له من شر وفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان الساحر.

وينشأ عن الحسد المعاصي والشرور والتعب والهمل بلا فائدة، وعمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكماً من أحكام الله، والحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد" <sup>(٢)</sup>.

(١) (حسن): أحمد ١٤١٥، الترمذى ٢٥١٠، صحيح الجامع ٣٣٦١.

(٢) (الغزالي، إحياء علوم الدين، بتصرف).

والحاسد واقع تحت قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] فقد جمع لنفسه بين عذابين؛ عذاب الدنيا بالهم والغم، وعذاب الآخرة بالذنوب والآثام، فأصاب نفسه وأهدى إلى محسوده حسناته، فهو صديقه وعدو نفسه، وربما كان حسده سبب انتشار فضل محسوده فقد قيل

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود<sup>(١)</sup>  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب نشر العود  
قال الحسن "ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، نفسٌ دائمٌ وحزنٌ لازم، وعبرة لا تنفذ".

وقال عبد الله بن مسعود "لا تعادوا نعم الله، قيل له ومن يعادى نعم الله؟ قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله".

قال ابن تيمية "وقد يُبتلى بعض المتتبعين إلى العلم وغيرهم بنوع الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقاً، وهو من أخلاق المغضوب عليهم"<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى عن اليهود ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال القرطبي "لقد حسدت اليهود النَّبِيَّ ﷺ على ما آتاه الله من الرسالة، والناس في الآية يعنى النَّبِيَّ ﷺ خاصة، فعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به"<sup>(٣)</sup>.  
ولقد غضب النَّبِيُّ ﷺ لما كان هذا الخلق في أحد صحابته، فعن أبي أمامة بن سهل بن

(١) أبو تمام؛ حبيب بن أوس الطائي ١٨٨ - ٢٣١ هـ.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٦١/٥.



حُنَيْفٍ قَالَ<sup>(١)</sup> مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُحَبَّاتٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبَّطَ بِهِ فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ أَدْرَكَ سَهْلًا صَرِيحًا قَالَ «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ قَالُوا عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ إِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَاتِ ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ».

والحسود كساقى السم فإن سرى سمه زال عنه همه.

قال ابن السماك قال معاوية "كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها"<sup>(٢)</sup>.

قال سلمة ابن دينار "ليس للحسود رائحة"<sup>(٣)</sup>.

ولم أر في الناس حسداً أشد من حسد الراعى أو الحاكم لأحد خيار رعيته.

وعزاء المحسود الوحيد أن حاسده يغتم وقت سروره، قال معاوية "ليس في خصال الشر أعدل من الحسد؛ يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود".

أَلَا قُلْ لِمَنْ ظَلَّ لِي حَاسِداً      أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاءَتِ الْأَدَبُ<sup>(٤)</sup>  
أَسَاءَتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ      إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبُ  
وأيضاً

(١) (صحيح): ابن ماجه ٣٥٠٩، صحيح الجامع ٤٠٢٠.

(٢) ابن كثير، البداية النهاية ١٤٦/٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٩٧/٦.

(٤) منصور بن إسماعيل الفقيه ٩ - ٥٣٠٦.

اصبر على حسد الحسود      فإن صبرك قاتله<sup>(١)</sup>  
فإن ارتأكل بعضها      إن لم تجد ما تأكله

فيا أيها الحاسد اتق الله في أمة محمد ﷺ وارض بقضاء الله وقدره فهو من الإيمان، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، ولا تمدن عينيك إلى ما متع الله به غيرك، فهو فضل الله يؤتيه من يشاء، وهي حكمة الله في خلقه.

فمن قنع بعطاء الله لم يدخله حسد، وإنما يأتي الحسد من عمى العين عن نعم الله على نفسه، ورؤية غيره -مع قلته- أحسن منه، وما يتأتى هذا إلا من قلة الإيمان والتنافس على الدنيا، ولذا؛ صحح النبي ﷺ المفاهيم بقوله «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا»<sup>(٢)</sup>.

هذا هو الحسد المباح وهو تمنى ما عند الغير مع عدم تمنى زوال النعمة عنه إنما يتمنى أن يكون مثله، ثم نبه النبي ﷺ على أن هذا هو التنافس في الخيرات أما من أجل الدنيا فلا، قال الفضيل "المؤمن يغبط ولا يحسد، الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق"<sup>(٣)</sup>.

وقال حاتم الأصم "نظرتُ في الخلق فأحببت ذا، وأبغضت ذا، فالذى أحببته لم يعطني والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئاً، فقلت لنفسي من أين أُتيت؟ فإذا هو من الحسد، فطرحته وأحببت الكل، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم"<sup>(٤)</sup>.

ويا أيها المحسود اتق الله في طلبك للعلاج، فلا يكن إلا بما يوافق سنة النبي ﷺ من

(١) ابن المعتز ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ.

(٢) (صحيح): البخارى ٧٣، مسلم ٨١٦، ابن ماجه ٤٢٠٨.

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء ٤٣٧/٨.

(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء ٤٨٦/١١.

الرقى الجائزة، ولا سيما التي رقى جبريلُ بها نبينا ﷺ، وابتعد عن رقى الجاهلية التي تحمل في طياتها الشراكيات والخزعبلات.

### البخل

البخل من صفات الأمم قبلنا وهو من سوء الظن بالله، ويضاد الإيمان قال تعالى عن المنافقين ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [الأحزاب ١٩]

وقال ﷺ<sup>(١)</sup> «... لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ أَبَدًا»

وعن عبد الله بن عمرو قال قال ﷺ<sup>(٢)</sup> «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا وَأَمَرَهُمْ بِالنُّجُورِ فَفَجَرُوا»

وعن جابرٍ قَالَ قَالَ ﷺ<sup>(٣)</sup> «..... اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ»

قال القاضي "يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة"<sup>(٤)</sup>.

قال الماوردي "ينشأ عن الشح من الأخلاق المذمومة - وإن كانت ذريعة إلى كل مذموم - أربعة أخلاق ناهيك بها ذمًا؛ الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق، فنفس البخل لا تسمح بفراق محبوبها ولا تنقاد إلى ترك مطلوبها ولا تدعن للحق ولا تجيب إلى

(١) (صحيح): الترمذی ١٦٣٣، النسائی ٣١١٠، ابن ماجه ٢٧٧٤، صحيح الجامع ٧١١٦.

(٢) (صحيح): أحمد ٦٧٥٣، أبو داود ١٦٩٨، صحيح الجامع ٢٦٧٨.

(٣) (صحيح): أحمد ١٤٠٥٢، مسلم ٢٥٧٨.

(٤) كما في شرح صحيح مسلم للنووي.

إنصاف وإذا آل الشح إلى ما وصف من هذه الأخلاق المذمومة والشيم اللئيمة، لم يبق معه خير موجود ولا صلاح مأمول<sup>(١)</sup>.

قال تعالى عن البخلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا الَّذِينَ يَخْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء ٣٦-٣٧] فوصفهم بالبخل الذى هو بخل بالعلم وبخل بالمال، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر؛ فلذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران ١٨٧] وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة ١٥٩-١٦٠] وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة ١٧٤] وقوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة ١٤] "فوصف المعضوب عليهم أنهم يكتمون العلم تارة بخلاً به، وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفاً أن يُحتج عليهم بما أظهره منه.

"وهذا قد ابتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلاً به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوا، وتارة اعتياضاً عنه برئاسة أو مال، ويخاف من إظهاره انتقاص رياسته، أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل.

(١) الماوردى، أدب الدنيا والدين.

ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره "أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم" <sup>(١)</sup>.

قال القرطبي "خوف الإقلال من سوء الظن بالله؛ لأن الله تعالى خلق الأرض بما فيها لولد آدم، وقال في تنزيله ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الحج: ١٣] فهذه الأشياء كلها مسخرة للآدمي قطعاً لعذره، وحجة عليه ليكون له عبداً كما خلقه عبداً، فإذا كان العبد حسن الظن بالله لم يخف الإقلال لأنه يخلف عليه، كما قال تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]، وقال ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] وقال ﷺ <sup>(٢)</sup> «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ» <sup>(٣)</sup>، فمن استنار قلبه وعلم غنى ربه وكرمه أنفق ولم يخف الإقلال، وكذلك من ماتت شهواته عن الدنيا واجترأ باليسير من القوت المقيم لمهجته وانقطعت مشيئته لنفسه، فهذا يُعطي من يسره وعسره ولا يخاف إقلالاً وإنما يخاف الإقلال من له مشيئته في الأشياء، فإذا أعطى اليوم وله غداً مشيئته في شيء خاف ألا يُصيب غداً فيضيق عليه الأمر في نفقة اليوم لمخالفة إقلاله.

وقال ﷺ لعائشة <sup>(٤)</sup> «لَا تُؤْكِي فَيُؤْكِي عَلَيْكَ وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكَ».

فالواجب على المسلم الذي آمن بالله رباً رازقاً أن يجود بما عنده من

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

(٢) (صحيح): البخارى ٤٦٨٤، مسلم ٩٩٣، الترمذى ٣٠٤٥، ابن ماجة ١٩٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، عند تفسيره للآية ٢٩ من سورة البقرة.

(٤) (صحيح): البخارى ١٤٣٣، مسلم ١٠٢٩، ابو داود ١٦٩٩، الترمذى ١٩٦٠، النسائى ٢٥٥١.

النعم؛ سواء كانت مالا أو علماً، وأعظم من ذلك أن يجود بنفسه من أجل حياة إخوانه، قال الطيبي "الجود إما بالنفس أو بالمال، ويسمى الأول شجاعة، والثاني سخاوة، ويقابلها البخل، ولا تجتمع الشجاعة والسخاوة إلا في نفس كاملة، ولا ينعدم إلا في مُتْنَاهُ في النقص"

وإذا كان أبو الطيب يقول

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ      الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ<sup>(١)</sup>

فإنه صدق في الشطر الأول، وجانبه الصواب في الشطر الثاني؛ فالجود لا يُفقر، بل صاحبه يُشكر وبالحير يُذكر، ولو تكلم لقال

أَنْفَقَ وَلَا تَخَشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا      وَلَا تَطْعَ فِي سَبِيلِ الْجُودِ عُدَالًا<sup>(٢)</sup>  
مَنْ جَادَ جَادَ عَلَيْهِ اللَّهُ وَاسْتَتَرَتْ      عَيْبُوهَ وَكَفَى بِالْجُودِ سَرِبَالًا

### الجدل

صفة ذميمة، وخصلة دميمة، فهي على سُبُل الضلالة مقبلة، وعن سبيل الهدى والرشاد مدبرة، فَبَحَّحَ اللهُ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَمَنْ كَانَ مُوسِوْمًا بِهَا نَعْتُهُ، وَهِيَ مِنْ صِفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ حَذَرْنَا رَسُولُنَا ﷺ مِنْهَا فَقَالَ<sup>(٣)</sup> «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾ [الزخرف ٥٨]»

(١) أبو الطيب المتنبى ٣٠٣ - ٥٣٥٤.

(٢) أحمد بن علي بن مشرف ٩ - ٥١٢٨٥.

(٣) (صحيح): الترمذى ٣٢٥٣، ابن ماجه ٤٨، صحيح الجامع ٥٦٣٣.

قال المناوي "أى ما ضل قوم مهديون كائنين على حال من الأحوال، إلا أتوا الجدل؛ يعنى من ترك سبيل الهدى وركب سنن الضلالة، والمراد لم يمش حاله إلا بالجدل؛ أى الخصومة بالباطل" <sup>(١)</sup>.

قال القاضى "والمراد بالجدل التعصب لترويج المذاهب الكاسدة والعقائد الزائفة، لا المناظرة لإظهار الحق واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلوماً عنده، أو تعليم غيره ما عنده لأنه فرض كفاية" <sup>(٢)</sup>.

ولقد أشار ربنا تبارك وتعالى إشارة لطيفة في سور البقرة إلى خطر الجدل وعظيم شأنه، فإن المتأمل في هذا السورة يجد فيها مواضيع شتى، منها على سبيل المثال أنه ذكر أصناف الناس، وقصة آدم وحواء وقصة موسى وبنى إسرائيل وقصة إبراهيم وقصة عَزيز وأحكام الحج وأحكام الصلاة والنكاح والطلاق والصيام والمواريث والرضاع وأعظم آية في القرآن وآية الدين..... إلخ.

ومع هذا لم تُسم إلا (سورة البقرة) نسبة إلى قصة بقرة بنى إسرائيل، لينبههم إلى جدلهم وعدم تنفيذ أمر ذبح البقرة في المرة الأولى، بل قالوا ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة ٦٨]، وهذا جدال بارد لا يتأتى منه مصلحة ولذا؛ فإن الله تبارك وتعالى يشير إلينا إشارة لطيفة بهذه القصة وخطورة ما فعله بنو إسرائيل مع نبيهم من عصيان الأمر وجدالهم، ولهذا سُمى السورة بكاملها -مع ما فيها من عظام الأمور- باسم هذه القصة لأن ما فيها أعظم بكثير.

### الغلو

"الغلو في الدين؛ التشديد فيه ومجاوزة الحد والبحث عن غوامض الأشياء، والكشف

(١) المناوي، فيض القدير.

(٢) كما فى فيض القدير.

عن عللها وغوامض متعبداتها" <sup>(١)</sup>، والأمم السابقة هلكت بغلوها في الدين، والسعيد من اتعظ بغيره.

قال تعالى عن النصارى ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران ٨٠]

قال القرطبي "وهذا- أى اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً- موجود في النصارى يعظمون الأنبياء والملائكة حتى يجعلوهم لهم أرباباً.

وقد حكى القرآن أن اليهود قالت عزيزُ ابن الله، والنصارى قالت المسيح ابن الله، والنصارى تُعظم المسيح حتى قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم" <sup>(٢)</sup>.

قال تعالى عن النصارى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء ١٧١] وقال أيضاً ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ٧٢]، وغلوهم في الأخبار والرهبان معروف قال تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة ٣١]، وفسره النبي ﷺ لعدي بن حاتم بأنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فعنه قال <sup>(٣)</sup> أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ» ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحْلَوْهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ».

(١) ابن منظور، اللسان مادة: (غلو).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن على الآية.

(٣) (حسن): الترمذى ٣٠٩٥، صحيح سنن الترمذى ٢٧٨/٥.



قال سنيد بن داود "سمعت مخلص بن الحسين يقول مانبب الله العباد إلى شىء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين، مايبالى بأيهما ظفر إما غلو فيه وإما تقصير عنه" (١).

ولذا؛ حذرنا نبينا ﷺ المغالاة في تعظيمه حتى لا يخرج هذا التعظيم عن هدفه وأن يتحول إلى عبادة، فهى ﷺ معادًا أن يعظمه بشيء هو لله أجدر؛ فلما قَدِمَ مُعَاذُ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ (٢) «مَا هَذَا يَا مُعَاذُ قَالَ أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ أَمِيرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»

وحذرنا نبينا ﷺ من التشديد على النفس؛ فعن أنس قال قال ﷺ (٣) «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِيَارِ ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾»

وعن ابن عباس قال قال لى رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته (٤) «هَاتِ الْقُطْ لِي حَصَى فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْحَذَفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ».

قال ابن تيمية "قوله «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» عام في جميع أنواع الغلو؛ في الاعتقادات والأعمال، والغلو مجاوزة الحد بأن يُزاد في مدح الشىء أو ذمه على ما يستحق،

(١) الذهبى، سير أعلام النبلاء ٢٣٦/٩.

(٢) (صحيح): الترمذى ١١٥٩، ابن ماجه ١٨٥٢، صحيح الجامع ٥٢٩٤.

(٣) (ضعيف): أبو داود ٤٩٠٤، ضعيف الجامع ٦٢٣٢.

(٤) (صحيح): النسائى ٣٠٥٧، ابن ماجه ٣٠٢٩، صحيح الجامع ٢٦٨٠.

ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلوًا في الاعتقاد والعمل من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن بقوله تعالى ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ وسبب هذا الأمر العام رمى الجمار، وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار على أنه أبلغ من الصغار، ثم علله بقوله بما يقتضى أن مجانية هديهم مطلقاً أبعد من الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخاف عليه الهلاك.

"ويوجد في تراثنا -نحن المسلمين- دعوات صارخة للتجويع والعُري والآصار والأغلال التي أتى رسولنا لوضعها عن كاهل العالمين، فهذا كتاب إحياء علوم الدين للغزالي يجمع من الأحاديث المتردية والنطيحة وما أكل السبع فغالبتها ضعيفة أو موضوعة أو ليس لها أصل، ثم يبنى عليها أصولاً يظنها من أعظم ما يوصل العبد إلى ربه، وإذا قورن هذا بصحيح البخارى ومسلم وجدت البون شاسعاً والفرق واضحاً جلياً، فذاك عنت ومشقة وهذا يسر وسهولة وسماحة، وكذا كتاب قوت القلوب لأبى طالب المكي ففيه طلبٌ مُلحٌ منه لترك الحياة الدنيا والانزواء عنها وتعطيل السعى والكسب وهجر الطبيات والتسابق في طرق الضنك والظنى الشديد".

قال تعالى ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه ١-٢]، وقال أيضاً ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج ٧٨]، وقال ﷺ <sup>(١)</sup> «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ». وكثيرٌ من أتباع المتعبدة يُطيع بعض المعظمين عنده في كل أمر يأمره به، وإن تضمن تحليل حرام أو تحريم حلال.

(١) (صحيح): البخارى ٣٩، مسلم ٢٨١٦، النسائى ٥٠٣٤، ابن ماجه ٤٢٠١.

وكذا وقع بعض المنتسبين لهذا الدين في الغلو في بعض مشايخهم وطرقهم ووقعوا أيضاً في الغلو في النَّبِيِّ ﷺ مع أنه القائل <sup>(١)</sup> «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فبرغم هذه الآية وآيات كثيرة في القرآن على نفس هذا النمط من الوضوح فيما للرسول وما يملكه وما لا يملكه، يأبى أناس إلا معصية الله ورسوله ومخالفة ما جاءت به النصوص اتباعاً لأهوائهم وسلوكاً لسبيل الشيطان، فقد غلوا في حق النَّبِيِّ ﷺ وتنوع غلوهم وتفاوت حتى وصل في كثير من أنواعه إلى درجة الإشراك بالله تعالى؛ فهذا يدعى أن النَّبِيِّ ﷺ خلق من نور رب العالمين فيقول اعلم أنه لما تعلق إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز (الحقيقة المحمدية) من أنواره.

وهذا يدعى أن النَّبِيِّ وجد قبل خلق آدم ويروى في هذا حديثاً عن جابر أنه ﷺ قال «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» وهو حديث باطل كما قال السيوطي.

وهذا يدعى أن الأشياء خلقت منه فيقول "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضاً من نور النَّبِيِّ".

وهذا يدعى أن الدنيا خلقت من أجل النَّبِيِّ ﷺ فيقول <sup>(٢)</sup>

(١) (صحيح): البخارى ٣٤٤٥، مسلم ١٦٩١، أبو داود ٤٤١٨، الترمذى ١٤٣٢، ابن ماجه ٢٥٥٣.

(٢) البوصيرى؛ شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ٦٠٨ - ٦٩٦ هـ، شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أمه منها، وأصله من

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ويستند هؤلاء إلى أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة؛ منها حديث «لولاك ما خلقت الأفلاك»<sup>(١)</sup>

وهذا يدعى جواز صرف بعض جوانب العبادة له ﷺ فيقول إنه يُستغاث به في كل ما يستغاث فيه بالخالق؛ بمعنى أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق.

فهؤلاء جعلوا الرسول ﷺ يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى.

فأدوا الرسول وأساءوا في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق، وسوؤوه برب العالمين وسلطوا عليه العامة، فهذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب، وهذا يطلب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه شفاء المريض... الخ ولهذا قال قائلهم<sup>(٢)</sup>

يا أكرم الرسل مالى من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بى	إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون، ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية، ووفاته بالإسكندرية له (ديوان شعر - ط)، وأشهر شعره البردة مطلعها: (أمن تذكر جيران بذي سلم) شرحها وعارضها الكثيرون، والهمزية ومطلعها: (كيف ترقى رقيق الأنبياء) وعارض (بانة سعاد) بقصيدة مطلعها: (إلى متى أنت بالذات مشغول)، وهو من أعظم من مدح النبي ﷺ ولكن هذه الأبيات لا نجد لها مسلكاً، والإسلام لا يحابى أحداً فإنه يقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، والتوحيد عندنا أفضل من كل أحد يخالفه.

(١) (ضعيف): السلسلة الضعيفة ٤٥/١.

(٢) ديوان البوصيري.

فنفي أن يكون له ملاذٌ إذا حلت به الحوادث إلا النَّبي، ونسب إليه معرفة ما في اللوح المحفوظ ومعرفة ما يسطره القلم الذي هو سرٌّ من أسرار الله الخاصة به جل وعلا. وهذا الكلام قد تطبقه بعض الطوائف على الأولياء والصالحين وهذا من أعظم المصائب والشرور التي حلت بالامة.

وهذا بعينه الذي ادعته النصارى في عيسى، إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله وهؤلاء لم يطلقوه ولكن أتوا بلباب دعواهم وخلاصتها، وترك الاسم إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعنى دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل وقبوله عند ذوى العقول السخيفة إذ كان المقرر عن الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى كفرٌ، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسماً ومعنى لردوه وأنكروه، فأخذ المعنى وأعطاهم إياه، وترك الاسم للنصارى وإلا فما ندري ماذا أبقوا للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب فالله المستعان.

والغلو في العبادة كما في حديث الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النَّبي ﷺ وسألوا عن عبادته.

وقد وقع بعض المسلمين في الغلو في العبادة فتراهم يفرضون على أنفسهم عبادة ما أنزلها الله في كتابه ولم يأمر بها النَّبي ﷺ في سنته، والأخطر من ذلك أن بعض طوائفهم تلزم الناس بهذه العبادة، فإننا لله وإننا إليه راجعون، فهذا من جنس غلو النصارى في دينهم.

### الحيل

الحيل جائزة للوصول للحق، ودفع المكروه عن النفس إن لم تخالف الشرع، أما الحيل التي يتوصل بها إلى الهروب من فرائض الله والتخلص مما أوجبه الله على الإنسان فهذه لا يقبلها ذو عقل سليم ولا يقرها مسلم عاقل؛ لأن فرائض الله إنما فرضت لتؤدي، والواجبات إنما شرعت لتقام على وجه الأرض، لا لتكون طريقاً للتلاعب في أحكام الله.

والحيل المخالفة للشرع من سمة أهل الكتاب؛ فعن جابر بن عبد الله<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ قال عام الفتح وهو بمكة «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والخنزير والأصنام ف قيل له عند ذلك يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يدهن بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ قال لا هي حرام ثم قال رسول الله ﷺ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا»

قال الخطابي "معناه أذابوها حتى تصير ودكاً، فيزول عنها اسم الشحم، وهذا إبطال كل حيلة يتوصل بها إلى محرم بتغيير، وإنه لا يتغير كله بتغيير هيئته وتبديل اسمه"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن حجر "فسر الشافعي الحرمة بالبيع، ومن العلماء من حمل الحرمة على الانتفاع"<sup>(٣)</sup>.

ومن حيل أهل الكتاب لتشكيك المسلمين في عقيدتهم ما حكاه تبارك وتعالى عنهم ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكَفَرُوا بِهِ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران ٧٢]

قال القرطبي "معنى الآية أن اليهود قال بعضهم لبعض أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار، ثم اكفروا به آخره، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن تبعه ارتياب في دينه، فيرجعون عن دينه إلى دينكم ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا".

وقال ابن كثير "هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اتفقوا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا

(١) (صحيح): البخارى ٢٢٢٣، مسلم ١٥٨٢، النسائى ٤٢٥٧، ابن ماجه ٣٣٨٣.

(٢) كما فى شرح سنن ابن ماجه ٢٢/٣.

(٣) فتح البارى ٤٩٦/٤.

جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم، ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم في دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقد استدل بعض العلماء على جواز الحيلة مطلقاً بقوله تعالى <sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيْتِهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف ٧٠]، وليس الأمر كما زعموا فإن ذلك كان بإذن الله ليظهر فضله على سائر إخوته بدليل قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُؤَسَّفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف ٧٦].

قال الألوسي "وعندى أن كل حيلة أوجبت إبطال حكمة شرعية لا تقبل كحيلة (سقوط الزكاة) وحيلة (سقوط الاستبراء) وهذا كالتوسط في المسائل فإن من العلماء من يُجيز الحيلة مطلقاً ومنهم من لا يُجيزها مطلقاً" <sup>(٢)</sup>.

ومن صور الحيل المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية استباحة الربا استباحةً صريحةً بألفاظها وروحها طبقاً لقوانين أوروبا وأمريكا، والتي تلاعب فيها واضعوها بألفاظ مخالفة لألفاظ الشريعة توهماً منهم أن ذلك يحلل الحرام؛ فسموا (الربا) (فائدة) أو (الربح) وهذا من الحيل الممقوتة في الإسلام حيث يتحول بمقتضاها الحرام إلى حلال والتلبس على العامة، ولقد رأينا من ينتسب إلى الإسلام من رجال الدين والقانون ومن غيرهم ممن لا يفقهون يجادلون عن هذه الفائدة ويرمى علماء الإسلام بالجهل والجمود إن لم يقبلوا هذه المحاولات لإباحة الربا، ورأينا علماء الدين المسييين يحلون بها.

(١) وهذا مذهب أبى حنيفة الذي يجوز الحيل وإن خالفت الأصول وخرمت التحليل.

(٢) روح المعاني ٢٣ / ٢٠٩.

## التحريف

من سمة أهل الكتاب، قال تعالى عنهم ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء ٤٦] ووصفهم بأنهم ﴿يَلُونُ السِّنَّهَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران ٨٧] والتحريف على نوعين تحريف التنزيل وتحريف التأويل

## تحريف التنزيل

يفعله كثير من الجهال في دين الله؛ فنجد بعض المعتزلة الذين يُنكرون صفة الكلام لله تبارك وتعالى يقرؤون ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤] بنصب لفظ الجلالة على المفعولية مسنداً فعل الكلام لموسى دون المولى ﷺ هروباً من إثبات صفة الكلام للرب تبارك وتعالى.

ومنه تحريف الشيعة الإثني عشرية للقرآن؛ قال على بن إبراهيم القمي -وهو من أئمة العلماء عندهم- في مقدمة تفسيره "وأما ما هو على خلاف ما أنزل الله قوله تعالى ﴿كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١١٠]، وذكر أنها نزلت ﴿كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ " (١). وبوب محمد بن يعقوب الكليني باباً في تفسيره تحت عنوان (لم يجمع القرآن إلا الأئمة) (٢).

وقال محمد بن صالح المزندراني "وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر كما يظهر لمن تأمل في كتب الحديث من أولها إلى آخرها" (٣).

(١) تفسير القمي ص ٩.

(٢) تفسير الكافي ١ / ٢٢٨.

(٣) شرح الكافي ٧٦/١١.



وقال أبو الحسن العاملي "اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية، وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله شيء من التغيرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات".<sup>(١)</sup>

وقال المقيد "إن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله وتنزيله، ليس فيه شيء من كلام البشر، وهو جمهور مُنزل، والباقي مما أنزله الله قرآنًا عن المستحفظ للشرعية، المستودع للأحكام -يعنى المهدي المنتظر- لم يَضَعْ منه شيء".<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً "إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد باختلاف القرآن، وما أحدثه الظالمون فيه من الحذف والنقصان".<sup>(٣)</sup> يقصد بالظالمين الصحابة.

وقال محمد بن باقر المجلسي "لا يخفي أن هذا الخبر - يعنى الخبر القائل إن القرآن ١٧ ألف آية - وكثيراً من الأخبار في هذا الباب متواترةٌ معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل ظنى أن الأخبار في هذا الباب لا تقتصر على أخبار الإمامة فكيف يثبتون هذا الخبر، أى كيف يثبتون الإمامة وينكرون تحريف القرآن".<sup>(٤)</sup>

وقال سلطان شاه على "اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار، بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه، بحيث لا يكاد يقع شك في صدور بعض منهم".<sup>(٥)</sup>

وقال يوسف البحراني "لا يخفي ما في هذه الأخبار -يعنى أخبار التحريف- من

(١) مرآة الأنوار ص ٣٦.

(٢) المسائل الصرورية ص ٧٨.

(٣) أوائل المقالات ٩١.

(٤) مرآة العقول ١٢ / ٥٢٥.

(٥) بيان السعادة فى مقامات العبادة ١ / ٩١.

الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما اخترنا، ووضوح فيما قلنا، ولو تطرق الظن إلى هذه الأخبار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن في أخبار الشريعة كما لا يخفى، إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشايع والنقلة، ولعمري إن القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج عن حسن الظن بأئمة الجور-يقصد الصحابة- وأنهم لم يخونوا في الأمانة الأخرى-يريد خلافة على- التي هي أشد ضرراً على الدين".<sup>(١)</sup>

وقال نعمة الله الجزائري عن القراءات السبع "إن تسليم تواترها عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدلالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً".<sup>(٢)</sup>

وقال عدنان البحراني "إلى غير ذلك من الأخبار التي لا تُحصى كثرة؛ بل قد تجاوزت حد التواتر، ولا في نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين، وكونه من المسلمات عند الصحابة والتابعين بل وإجماع الفرقة الحقة، وكونه من ضروريات مذهبهم، وبه تضافرت أخبارهم".<sup>(٣)</sup>

وقال النوري الطبرسي في مقدمة كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب "هذا كتاب لطيف، وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن وفصائح أهل الجور والعدوان". يقصد الصحابة.

وقال مزار حبيب الله "أُثِّبَتْ أَنَّ الْكِتَابَ يَحْتَوِي عَلَى النَقِیْصَةِ، وَالْأَخْبَارُ بَلَغَتْ حَدَ التَّوَاتُرِ ثُمَّ سَاقَ آيَاتَ رَسْمِهَا بِخَطِ الْمُصْحَفِ مِنْهَا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَعَلَىٰ كُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد ٧]،

(١) الدرر النجفية ص ٢٩٨.

(٢) الأنوار النعمانية ٢ / ٣٥٧.

(٣) مشارق الشمس الدرية ١٢٦.

ولا يشك من له أدنى معرفة بالإسلام أن هذا كفر بواح، وقد فعله اليهود في كتبهم وحرفوها، ولذا؛ توعدهم ربنا جل وعلا بالعذاب الشديد<sup>(١)</sup>.

### تحريف السنة

وقد يتناول بعضهم إلى السنة بالتحريف، كوضع الوضاعين الأحاديث على رسول الله ﷺ أو إقامة ما يظن أنه حجة في الدين وليس بحجة.

"فمن ذلك ما رواه محمد بن سعيد عن أنس قال قال ﷺ «أنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي إلا ما شاء الله» فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.

ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوى يدعون الناس إليه، قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب إن هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذوا دينكم، فإننا كنا إذا هويانا أمرنا صيرناه حديثاً.

ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال كما روى عن أبي عاصم نوح بن أبي مريم، قيل له من أين لك من عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟! فقال إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق؛ فوضعت هذا الحديث حسبة.

ومنهم قوم من القصاص يُحبون أن يجذبوا الناس بعجائبهم وطرائفهم فيحدثون بالموضوعات عن جهل أو عمد؛ ومن ذلك ما رواه جعفر بن محمد الطيالسي أن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين دخلا مسجد الرصافة فقام بين أيديهما قاص فقال حدثنا أحمد بن

(١) والعجب بعد ذلك مما كتبه د/ مصطفى الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب، بعد أن عرض عقيدة كل طائفة من طوائف المسلمين أن يدعو إلى التقريب بين هذه المذاهب وأهل السنة!! وعلى منواله جل علماء الأزهر!! كيف؟! لا أدري!!

حنبل ويحيى بن معين قالاً أنبأنا عبد الرازق قال أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله يُخلق من كل كلمة منها طائر منقاره من ذهب وريشه مرجان.....» وأخذ في قصة نحو من عشرين ورقة؛ فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد فقال أنت حدثته بهذا؟! فقال والله ما سمعت به إلا هذه الساعة، قال فسكتا جميعاً حتى فرغ من قصصه فقال له يحيى من حدثك بهذا الحديث، فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال أنا ابن معين وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ فإذا كان ولا بد من الكذب فعلى غيرنا، فقال له أنت يحيى بن معين، قال نعم، قال لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق وما علمته إلا هذه الساعة، فقال له يحيى وكيف علمت أنى أحمق، قال كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. قال فوضع أحمد بن حنبل كفه على وجهه وقال دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما.

ويذكر أن الرشيد كان يعجبه الحمام واللهم به فأهدى إليه حمام وعنده أبو البختری القاضي، فقال روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح» فزاد أو جناح، وهى لفظة وضعها للرشيد فأعطاه جائزة سنية، فلما خرج قال الرشيد والله لقد علمت أنه كذاب وأمر بالحمام أن يُذبح فقبل له وما ذنب الحمام، فقال من أجله كُذِّب على رسول الله ﷺ فترك العلماء حديثه لذلك، ولغيره من موضوعاته فلم يكتب العلماء حديثه بحال<sup>(١)</sup>.

### تحريف التأويل

وهو إثبات الآية كما قرأها علماء هذا الفن، ولكن يحرفون تفسيرها وتأويلها على غير

(١) القرطبي، المقدمة من تفسيره.

ما فسرهُ العلماء من الصحابة والتابعين وخيار الناس؛ ومن هذا ما رواه ابن جرير قال كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفرًا من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل بن سهل، فسألناهم فقالوا خيرنا فاخترنا قال فهل أنتم متتهون ولم يعزم -يعنى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿[المائدة ٩٠-٩١]- فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم وأن المعنى فهل أنتم متتهون أي انتهوا، وأجمعوا على جلدهم ثمانين ثمانين، وأن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يُقتل، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم، فسلهم عن الخمر فإن قالوا هي حلال فاقتلهم، وإن قالوا هي حرام فاجلدوهم، فاعترف القوم بتحريمها، فجلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه <sup>(١)</sup>.

وهذا هيّن في مقابلة ما قاله الجهمية والمعتزلة والأشعرية، فقد قال الزمخشري المعتزلي في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ [ق ٣٠] "سؤال جهنم وجوابها من باب التخيّل الذى يقصد به تصوير المعنى في القلب" <sup>(٢)</sup>، وما لجأ الزمخشري إلى هذا التأويل الفاسد إلا لأنه شبه كلام الله بكلام المخلوق فمن ثم وقع في التمثيل والتكييف والتعطيل والتحريف، ولو أنه اعتمد كلام السلف فقال الله يتكلم كلامًا يليق به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]، فيثبت الصفة وينفي معرفة الكيفية، لكان خيرًا له.

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ٩٤/٧.

(٢) هذا مثال من أمثلة عديدة نكتفى به لضيق المقام، ويمكن مراجعة تفسير سورة الملك آية ١٦، وكذا طه ٥، لتقف على كيفية قيام الرجل في سبيل دفع التشبيه الذى خطر بباله ووقع في نفسه إلى الوقوع في التعطيل والتحريف عن طريق التأويل بالكنايات والمجازات، وهو مذهب كثير من الخلف.

وهذا الفخر الرازي<sup>(١)</sup> يقول في قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]<sup>(٢)</sup> "المراد باليد هنا النعمة أو إفاضة النعم" <sup>(٣)</sup>، فحرف مدلول الآية الحقيقي الذى يدل على يدين حقيقتين ليس كمثله شيء فيهما إلى أمر معنوى لا يدل على شيء، وقد لجأ إلى هذا التأويل الفاسد لأنه يخشى التشبيه فوقع في شر منه وهو التعطيل، ومذهب السلف كما تقدم إثبات الصفة ونفي الكيفية.

قال ابن القيم "ينبغي للمؤولين أن ينظروا في قوله تعالى لليهود ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فإنهم زادوا في هذا اللفظ المنزل نوئاً فقالوا حنطة، فسمى الله هذه الزيادة تبديلاً فقال ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] وكذلك المؤولون للصفات قيل لهم قولوا استوى على عرشه فزادوا لاماً وقالوا استولى على عرشه، فانظر ما أشبه لامهم هذه التي زادوها بنون اليهود التي زادوها" <sup>(٤)</sup>.

وهذا أيضاً هين في مقابلة ما قاله الشيعة الإثنا عشرية، فانظر مثلاً قوله تعالى ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩] قالوا هما على وفاطمة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ قالوا هو النبي ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قالوا الحسن والحسين. <sup>(٥)</sup>

(١) الجدير بالذكر أن هذا العالم الجليل تبرأ من مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات بآخره، وأعلن توبته

وعودته لطريقة السلف في إثبات الصفات ونفي الكيفيات.

(٢) لمزيد من تفسير آيات الصفات، راجع سورتي طه ٥، ص ٧٥.

(٣) أساس التقديس ص ١٦٣.

(٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ٣٧/١.

(٥) تفسير الصافي ١٠٩/٥.

وقوله تعالى ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل ٥١] قالوا لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد. (١)

وقوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان ٥٥] قال القمى الكافر؛ الثانى، يعنى عمر وكان على أمير المؤمنين ظهيراً. (٢)

وقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف ٢٩] يعنى الأئمة.

وذا من جنس صفات اليهود، قال تعالى ﴿أَقْطَعُكُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٧٥]

قال القرطبي "هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالاً والحلال حراماً اتباعاً لأهوائهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أى عرفوه وعلموه، وهذا توبيخ لهم، أى أن هؤلاء اليهود قد سلفت لأبائهم أفاعيل سوء، وعناد فهؤلاء على ذلك السنن، فكيف تطمعون في إيمانهم" (٣).

### التأويل الباطنى

يقصد إليه بعض المبتدعة لنشر بدعهم بالتأويل والتفسير المخالف لمنهاج أهل السنة، قال ابن الجوزى "جمع أبو عبد الرحمن السُّلمى في تفسير القرآن من كلامهم -الذى أكثره هذيان لا يحل- نحو مجلدين سماهما (حقائق التفسير) فقال في فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سُميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك وإلا

(١) تفسير العياشى ٢/٢٦١، وكذا البرهان ٢/٣٧٣.

(٢) تفسير القمى ٢/١١٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن على الآية.

حُرِّمَتْ لطائف ما بعد، وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل.

وقال في قول (آمين) أى قاصدون نحوك، وهذا قبيح لأنه ليس من (أم) لأنه لو كان كذلك، لكانت الميم المشددة.

وقال في قوله ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ نُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، قال أبو عثمان (أسارى) غرقى في الذنوب وقال الواسطى (أسارى) غرقى في رؤية أفعالهم وقال الجنيد أسارى في أسباب الدنيا، نفادوهم إلى قطع العلائق.

والآية إنما جاءت على وجه الإنكار، ومعناها إذا أسرتهم فديتموهم، وإذا حاربتموهم قاتلتموهم، وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح.

وقال محمد بن على ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] من توبتهم.

وقال النورى ﴿وَاللَّهُ يَبْضُ وَيَسْطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] أى يقبضك بإياه ويسط لإياه.

وقال في قوله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] أى من هوأجس نفسه ومن وساوس الشيطان.

وهذا غاية في القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر، وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه، وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم، لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوسوس.

وذكر ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسدة ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ



أَيْمَانُكُمْ ﴿[النساء: ٣٦]﴾ (الجار ذى القربى) النفس (وابن السبيل) الجوارح.

وقال في قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٣٤] (وهم بها) قال أبو بكر الوراق الهمَّان لها، ويوسف ما هم بها وهذا خلاف صريح القرآن.

وقوله ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] قال محمد بن على (ما هذا بشراً) ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة.

وقال الزنجاني الرعد صعقان الملائكة والبرق زفرات أفندتهم والمطر بكاؤهم.

وقال في قوله ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٤٢] قال الحسين الحلاج لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال، أو للحدث اقتراناً مع القدم.

قال ابن الجوزى ومن تأمل هذا علم أنه كفر محض <sup>(١)</sup>.

### قسوة القلب

قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، فقوله ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ نهى مطلق عن مشابهتهم، وهو خاص أيضاً في النهى عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصى، وقد وصف الله بها اليهود في غير موضع، فقال ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وقال

(١) تلييس إبليس.

تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٢] وإن قومًا من هذه الأمة؛ ممن يُنسب إلى علم أو دين قد أخذوا من هذه الصفات بنصيب، يرى ذلك من له بصيرة.

وقد كان السلف يحذرون هذه الصفة؛ فعن أبي الأسود قال بعث أبو موسى الأشعريُّ إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاث مئة رجل قد قرءوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراءهم فأنلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة كنا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشَّدَّةِ بِرَاءَةِ فَأُنْسِيَتْهَا غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا لَوْ كَانَ لابن آدم واديان من مال لا بتعى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب وكنا نقرأ سورة كنا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ فَأُنْسِيَتْهَا غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فُتَكْتَبُ شَهَادَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتَسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فحذر أبو موسى القراء أن يطول عليهم الأمد فتقسو قلوبهم.

وكان في السلف من يُعالج قسوة قلبه على طريقته فهذا الربيع بن خثيم يحفر لنفسه قبرًا في داره، فكان إذا وجد في قلبه قسوة جاء فاضطجع فيه فمكث ماشاء الله ثم يقول ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون ٩٩] ثم يرد على نفسه فيقول قد أرجعتك فجدي، مكث كذلك ما شاء الله.

قال الحكيم "بطول الأمل تقسو القلوب وبإخلاص النية تقل الذنوب، وما أنصف من نفسه من أيقن بالحرش والحساب وزهد في الأجر والثواب، وقال الغزالي إذا أملت العيش الطويل شغل قلبك وضاع وقتك وكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل، ومن طال أمله لا يذكر الموت، فمن لم يذكره فمن أين لقلبه الحرقه، فإذا طوَّلت أملك قلت طاعتك، فإنك تقول سوف أفعل والأيام بين يدي، وتأخرت توبتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن الآخرة، وذهبت والعياذ بالله آخرتك.

وقال يحيى بن معاذ الأمل قاطع عن كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صائر

إلى كل ظفر والنفس داعية إلى كل شر، ومن ثمرات طول الأمل ترك الطاعة والتكاسل فيها وترك التوبة وتسويفها، والحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الآخرة مخافة الفقر والنسيان للآخرة".<sup>(١)</sup>

ومن أعجب ما يرى الإنسان من قسوة القلب في الأمة المحمدية؛ ما يحدث كل عام في موسم الحج؛ من زحام شديد عند الطواف، بحيث لو وقع أحدهم على الأرض داسته الأقدام ومات من ساعته، وليس ثم مغيث، أين رحمة المسلمين بعضهم ببعض؟!، أليسوا كما قال ﷺ كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، إن هذا العضو يموت من جسد الأمة الكبير وليس هناك تداعٍ من سائر الأعضاء!!، فإنا لله وإنا إليه راجعون أصابنا داء الأمم من قبلنا قسوة القلب!!.

### كتمان الحق

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤] قال القرطبي "يعنى علماء اليهود كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد ﷺ وصحة رسالته، ومعنى (أَنْزَلَ) أظهر؛ كما قال تعالى ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أى سأظهر وقيل هو على باب من النزول؛ أى ما أنزل به ملائكته على رسله ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ﴾ أى بالمكتوم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعنى أخذ الرشاء، وسماه قليلاً لانقطاع مدته وسوء عاقبته، وقيل لأن ما كانوا يأخذونه من الرشاء كان قليلاً.

ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

(١) كما فى فيض القدير للمناوى.

فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿البقرة ١٥٩-١٦٠﴾ <sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير "يعنى اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة؛ فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم، فخشوا -لعنهم الله- إن أظهروا ذلك أن يتبعهم الناس ويتركوهم إياهم فكتموا ذلك إبقاءً على ما كان يحصل لهم ذلك، وهو نذر يسير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك اليسير؛ فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات، فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه، وصاروا عوناً له على قتالهم، وباؤوا بغضب على غضب، وذمهم الله في كتابه في غير موضع؛ فمن ذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو عرض الحياة الدنيا ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ أى إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة وقوله ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وذلك لأنه تعالى غضبان عليهم؛ لأنهم كتموا وقد علموا، فاستحقوا الغضب فلا ينظر إليهم، ولا يزكيهم أى يشى عليهم ويمدحهم، بل يعذبهم عذاباً أليماً.

"وقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [البقرة ٩١] بعد أن قال ﴿وَكُنُوا مِنْ قَبْلِ يُسْتَفْتَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا

(١) الجامع لأحكام القرآن على الآية.

بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٨٩﴾ فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النَّبِيِّ الناطق به، والداعى إليه فلما جاءهم النَّبِيُّ الناطق به من غير طائفة يهودونها لم ينقادوا له، فإنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها مع أنهم لا يتبعون مآلزمهم في اعتقادهم وهذا يُبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفقهة أو المتصوفة أو غيرهم، أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين غير النَّبِيِّ ﷺ فإنهم لا يقبلون من الدين لا فقهاً ولا روايةً إلا ما جاءت به طائفتهم، ثم إنهم لا يعلمون ما توجه طائفتهم مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً روايةً وفقهاً من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول ﷺ " (١).

وعلى الرغم من أن الآية الكريمة نزلت في أهل الكتاب من أحبار اليهود، وعلماء النصارى، الذين كتموا صفات الرسول ﷺ كما دل على ذلك سبب النزول، إلا أنها تشمل كل كاتم لآيات الله، مخف لأحكام الشريعة، لأن العبرة - كما يقول علماء الأصول - بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والآيات وردت عامة بصيغة اسم الموصول (إن الذين يكتُمون) لذلك تعم.

قال أبو حيان " والأظهر عموم الآية في الكاتمين، وفي الناس، وفي الكتاب، وإن نزلت على سبب خاص، فهي تتناول كل من كتم علماً من دين الله، يُحتاج إلى بثه ونشره ".

وذلك مفسر في قوله ﷺ (٢) «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقد فهم الصحابة من هذه الآية العموم، وهم العرب الفصح، المرجوع إليهم في فهم القرآن، كما روى عن أبي هريرة " لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بحديث ثم تلا

(١) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

(٢) (صحيح): أبو داود ٣٦٥٨، الترمذى ٢٦٤٩، ابن ماجه ٢٦٦، صحيح الجامع ٦٢٨٤.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة ١٥٩] الآية.

واستدل العلماء أيضاً من الآية سالفه الذكر على أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن، أو تعليم العلوم الدينية، لأن الآية أمرت بإظهار العلم ونشره وعدم كتمانها، ولا يستحق الإنسان أجراً على عمل يلزمه أدائه، كما لا يستحق الأجر على الصلاة، لأنها قربة وعبادة لذلك يحرم أخذ الأجرة على تعليمها.

غير أن المتأخرين من العلماء لما رأوا تهاون الناس، وعدم اكتراثهم لأمر التعليم الديني، وانصرفهم إلى الاشتغال بمتاع الحياة الدنيا، ورأوا أن ذلك يصرف الناس عن أن يعنوا بتعلم كتاب الله، وسائر العلوم الدينية، فينعدم حفظ القرآن، وتضيع العلوم، لذلك أباحوا أخذ الأجور، بل زعم بعضهم أنه واجب للحفاظ على علوم الدين، وما هذه الأوقاف والأرصادات التي حبسها الخيرون إلا لغرض صيانة القرآن وعلوم الشريعة، وسبيل لتنفيذ ما وعد الله به من حفظ القرآن في قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر ٩] غير أننا نجد المتقدمين من الفقهاء متفقين على حرمة أخذ الأجرة على علوم الدين، لأن العلم وأخذ الأجرة على العبادة غير جائز.

قال الفخر الرازي "احتجوا بهذه الآية على أنه لا يجوز أخذ الأجرة على التعليم، لأن الآية لما دلت على وجوب التعليم، كان أخذ الأجرة أخذاً على أداء الواجب، وأنه غير جائز، وقوله تعالى (ويشترون به ثمناً) مانع أخذ البذل عليه من جميع الوجوه" (١).

وقال أبو بكر الجصاص "وقد دلت الآية على لزوم إظهار العلم، وترك كتمانها، فهي

(١) مفاتيح الغيب.

دالة على امتناع جواز أخذ الأجرة عليه، إذ غير جائز استحقاق الأجر على ما عليه فعله، ألا ترى أنه لا يجوز استحقاق الأجر على الإسلام؟!

ويدل عليه أيضاً قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤] وظاهر ذلك يمنع أخذ الأجر على الإظهار والكتمان جميعاً، لأن قوله تعالى (ويشترون به ثمنًا قليلاً) مانع أخذ البدل عليه من سائر الوجوه، إذ كان الثمن في اللغة هو البدل، قال عمر بن أبي ربيعة

إن كنت حاولت دنيا أو أصبت بها      فما أصبت بترك الحج من ثمن

فثبت بذلك بطلان الإجارة على تعليم القرآن، وسائر علوم الدين" (١).

"وهذه النظرة الفقهية الدقيقة تسمو بالعلم إلى درجة العبادة، وهى نظرة جديدة بالتقدير، ولكن علوم الشريعة تكاد تضيع مع الأخذ بفتوى المتأخرين، من إباحة أخذ الأجرة على التعليم، فكيف لو أخذنا بفتوى المتقدمين ومنعنا أخذ الرواتب والأجور؟ إذن لم يبقَ من يُعلم أو يتعلم وإنا لله وإنا إليه راجعون" (٢).

### قتل الأولاد

قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠] قال ابن عباس من أراد أن يعلم جهل العرب فليقرأ ما فوق الثلاثين والمئة من سورة الأنعام إلى قوله ﴿قَدْ خَسِرَ

(١) أحكام القرآن.

(٢) محمد على الصابوني: تفسير آيات الأحكام ١٠٧/١.

الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١﴾ قال ابن العربي " وهذا الذى قال كلام صحيح؛ فإنها تصرفت بعقولها العاجزة في تنويع الحلال والحرام سفاهة بغير معرفة ولا عدل، والذى تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ الآلهة أعظم جهلاً وأكبر جُرماً؛ فإن الاعتداء على الله تعالى أعظم من الاعتداء على المخلوقات؛ والدليل في أن الله واحدٌ في ذاته واحدٌ في صفاته واحدٌ في مخلوقاته؛ أبين وأوضح من الدليل على أن هذا حلال وهذا حرام، وقد روى أن رجلاً قال لعمر بن العاص إنكم على كمال عقولكم ووفور أحلامكم عبدتم الحجر!! فقال عمرو تلك عقول كادها باريها، فهذا الذى أخبر الله سبحانه من سخافة العرب وجهلهم أمر أذهب الإسلام وأبطله الله ببعثة الرسول ﷺ فكان الظاهر لنا أن نيته حتى لا يظهر ونسائه حتى لا يُذكر" (١).

قال القرطبي " وكان منهم من يقتل أولاده سفهًا بغير حجة منهم في قتلهم، وهم ربيعة ومُضر وكانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية، ومنهم من يقول الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالبنات، وروى أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ مالك تكون محزوناً؟ فقال يا رسول الله إن كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فشفعت إلى امرأتى أن أتركها، حتى كبرت وأدركت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها فدخلتنى الحمية ولم يحتمل قلبى أن أزوجهما وأتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة إنى أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائى فابعثها معى، فسرَّتْ بذلك وزَيَّنَتْها بالثياب والحلى، وأخذت على الموائيق بألا أخونها، فذهبتُ بها إلى رأس بئر فنظرت ففطنت الجارية أنى أريد أن ألقِيها في البئر، فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول يا أبت أيش تريد أن تفعل بى، فرحمتها ثم نظرت في البئر فدخلت لى

(١) كما فى تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٥٩/٧.



الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول يا أبت لا تُضيع أمانة أُمي، فجعلت مرة أخرى أنظر في البئر مرة، وأنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهى تنادى في البئر يا أبت قتلتنى، فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت، فبكى رسول الله ﷺ وأصحابه وقال لو أمرت أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك" (١).

وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير ٨]، قال القرطبي "كانوا يدفنون بناتهم أحياء مخافة الحاجة والإملاق، وإما خوفاً من السبى والاسترقاق.

وقال ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردمت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسته.

وقال قتاده كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك وتوعدهم بقوله ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾ وجاء قيس بن عاصم إلى النبي ﷺ فقال (٢) يارسول الله إني وأدت ثمانى بنات كن لى في الجاهلية، قال «فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال يارسول الله إني صاحب إبل، قال «فاهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت» (٣).

قال تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أى إذا أخبر أحدهم بولادة البنت ظل وجهه مسوداً أى متغيراً وليس يريد السواد الذى هو ضد البياض وإنما هو كناية عن غمه بالبنت ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ أى يختفي ويتغيب من سوء ما بُشِّرَ به أى من سوء الخزي والعار والحياء الذى يلحقه بسبب البنت.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٤/٧.

(٢) مرسل عن قتادة، رواه الطبري في التفسير ٣٣٨٠٠، وعبد الرزاق في التفسير ٣٤١٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٩، بتصرف.

وفي حياة المسلمين اليوم تنتشر جريمة الإجهاض الذى يُعد قتلاً لنفس حرم الله قتلها إلا بالحق، فهذا الجنين من حقه أن يخرج إلى الدنيا في أمن وسلام، ويعيش حياته كما أراد الله، ومانح الحياة وهو الله وحده هو الذى له الحق في استرداد وديعته.

ومن هنا فإن الإجهاض يعد جريمة مزدوجة، فهو من ناحية اعتداء على حق كائن بشرى له الحق في الحياة، ومن ناحية أخرى عدوان على حق الله الذى له وحده الحق في الإحياء أو في سلب الحياة، والآية الكريمة التي تحرم قتل النفس في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء ٣٣]، تنطبق على الكبير والصغير وعلى الجنين أيضاً<sup>(١)</sup>.

### فتنة النساء

كثير من شرائع الإسلام تضيع بسبب النساء وصدق ﷺ حيث قال<sup>(٢)</sup> «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ».

لأن الطباع كثيراً ما تميل إليهن وتقع في الحرام لأجلهن وتسعى للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا، وأي فساد أضر من هذا؟ قال ابن حجر إن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران ١٤]، فجعلهن من عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، ومع أنها ناقصة العقل والدين، تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد.

(١) راجل كتابنا (حقوق الإنسان في الإسلام) طبعة دار العلياء بالقاهرة.

(٢) (صحيح): البخارى ٥٠٩٦، مسلم ٢٧٤٠، الترمذى ٢٧٨، ابن ماجه ٢٩٩٨.

وعن أبي سعيد الخدري قال <sup>(١)</sup> قال ﷺ «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

فحذر رسول الله ﷺ فتنة النساء؛ معللاً ذلك بأن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء.

"روي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٢٨] أي؛ وخلق الله الإنسان ضعيفاً، أي؛ لا يصبر عن النساء.

وقال ابن المسيب لقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وصاحبي أعمى أصم -يعني ذكره- وإني أخاف من فتنة النساء.

وعن عبادة بن الصامت ، قال ألا تروني لا أقوم إلا رفدا ولا أكل إلا ما لوق لي -يعني لئن وسُخن- وقد مات صاحبي منذ زمان -يعني ذكره- وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي، وأن لي ما تطلع عليه الشمس مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه علي، إنه لا سمع له ولا بصر" <sup>(٢)</sup>.

ولقد فهم اليهود أثر المرأة في المجتمع وأنها فتنة إن أسئ استخدامهما فأنشأوا في الأرض المحتلة نواذى لتنظيم الرحلات السياحية المختلطة يتخللها ألوان المجون والفسق.

وفي الثمانينات من القرن الفائت قامت مجموعة من الفنانين والفنانات التابعة للفرقة القومية للفنون الشعبية المصرية وفرقة الموسيقى العربية بزيارة فلسطين المحتلة للاشتراك في مهرجان تل أبيب للفنون الشعبية.

(١) (صحيح): مسلم ٢٧٤٢، الترمذى ٢١٩١، ابن ماجه ٤٠٠٠.

(٢) كما فى تفسير القرطبى على سورة النساء آية رقم ٢٧.

"واكتشفت السلطات المصرية شبكة يهودية تضم العشرات من بائعات الهوى الإسرائيليات المصابات بمرض الإيدز يعملن بتوجيه من المخابرات الإسرائيلية لنشر هذا المرض الخطير في صفوف الشعب المصرى عن طريق استدراج الشباب المنحرف لممارسة البغاء والرذيلة في أماكن اللهو"<sup>(١)</sup>.

إلى جانب الجمعيات النسائية الإسرائيلية والأمريكية المنتشرة في مصر والتي تناقش قضايا الحمل والولادة والرضاعة والإجهاض بمنظور يخالف الشرع إلى جانب مواضيع اجتماعية كثيرة تشوه من أجل زعزعة كيان المرأة ومسح عقليتها المسلمة فمن هذه المناقشات؛ أن الرجل خصم للمرأة وأن على المرأة المصرية أن تبحث عن السبل الكفيلة بمقاومة الرجل وإخضاعه للتخلص من سيطرته<sup>(٢)</sup>.

### نقض العهد

قال تعالى عن صفة اليهود ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]، قال القرطبي "إن اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركى العرب؛ فلما بُعث كفروا به، وقال عطاء هى العهد التي كانت بين النبي ﷺ وبين اليهود، فنقضوها كفعل قريظة والنضير؛ دليله قوله تعالى ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]"<sup>(٣)</sup>.

أما أهل الإسلام فالوفاء بالعهد صفتهم، وهو من شعب الإيمان، ويكفي الموفي بالعهد

(١) مجلة القبس العدد ٥٦٠٢ لسنة ٨٧.

(٢) راجل كتابنا (عمل المرأة فى ميزان الشريعة الإسلامية) طبعة دار الإيمان بالمنصورة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٨/٢.

مدحاً وشرفاً قول من علت كلمته ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، و قول المصطفى ﷺ (١) «إن حسن العهد من الإيمان» وقوله ﷺ (٢) «... ما نقض قوم العهد إلا سلب عليهم عدوهم...». وقوله ﷺ (٣) «إني لا أخيس العهد...» أي؛ لا أنقض العهد.

وعن حذيفة بن اليمان قال (٤) ما منعني أن أشهد بدرأ إلا أنني خرجت أنا وأبي حُسيل قال فأخذنا كفار قريش قالوا إنكم تُريدون محمداً فقلنا ما تُريده ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال «انصرفاً نفي لهم بعهدهم وتستعين الله عليهم».

وعن جامع بن أبي راشد قال (٥) سمعت ميمون بن مهران يقول ثلاثة تؤدي إلى البر والفاجر الأمانة والعهد وصلة الرحم.

### كثرة السؤال

إن كثرة السؤال فيها هتكٌ للأستار، وكشفُ الأسرار ليس من شيم الأخيار، ومن حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، قال ﷺ (٦) «أمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث... وأنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال....» وهذا النهي مكروه عند الله أيضاً بدليل قوله ﷺ (٧) «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ وَوَادَ الْبَنَاتِ وَمَنْعَ وَهَاتٍ وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ

(١) (صحيح): صحيح الجامع ٢٠٥٦ .

(٢) (صحيح): صحيح الجامع ٣٢٤٠ .

(٣) (صحيح): صحيح الجامع ٢٥١٠ .

(٤) (صحيح): مسلم ١٧٨٧ .

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧٤/٥ .

(٦) (صحيح): صحيح الجامع ١٢، الصحيحة ٦٨٥ .

(٧) (صحيح): البخاري ٢٤٠٨ .

## وِإِضَاعَةُ الْمَالِ».

وبعض الناس من أمة محمد ﷺ يُكثر من السؤال ويُجحف فيه حتى يضجر منه الناس، ويملوا صحبته، وقد يسكت المسئول فيجبر ذلك إلى الحقد والضغائن، أو قد يلجئه إلى الكذب، فهذا الشخص إذا رأوه فروا منه فرارهم من الأسد، وهذا خلق ذميم ذمه رسولنا ﷺ وأخبرنا أنه كان في الأمم السابقة، وكان سبباً لهلاكهم واختلافهم على أنبيائهم، فعن أبي هريرة قال خطب رسول الله ﷺ الناس فقال <sup>(١)</sup> «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ فِي كُلِّ عَامٍ، فَسَكَتَ عَنْهُ حَتَّى أَعَادَهُ ثَلَاثًا فَقَالَ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».

أى لا تتعرضوا إلى بكثرة البحث عما لا يعينكم في دينكم، مهما أنا تارككم لا أقول لكم شيئاً، فقد يوافق ذلك إلزاماً وتشديداً، وخذوا بظاهر ما أمركم، ولا تستكشفوا كما فعل أهل الكتاب، ولا تكثرُوا من الاستقصاء فيما هو مبين بوجه ظاهر، وإن صلح لغيره الإمكان أن يكثر الجواب المترتب عليه؛ فيضاهى قصة بقرة بنى إسرائيل؛ حيث شددوا على أنفسهم، فخاف وقوع ذلك بأمته، ومن ثمَّ علله بقوله «فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ» التي تجرُّ إلى الاختلاف والفرقة، وهذا يستوجب اللعن والمسوخ وغير ذلك من البلايا والمحن، فإن الله تعالى قال ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر ٧]

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ

(١) (صحيح): البخارى ٧٢٨٨، مسلم ١٣٣٧، الترمذى ٢٦٧٩، النسائى ٢٦١٩، ابن ماجه ١.

الْقُرْآنُ تُبَدِّلُكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ قَوْمًا مِّن قَبْلِنَا قَدْ سَأَلُوا آيَاتٍ مِّثْلَهَا فَلَمَّا أَعْطَوَهَا وَفُرِضَتْ عَلَيْهِمْ كَفَرُوا بِهَا، وَقَالُوا لَيْسَتْ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَذَلِكَ كَسْوَالِ قَوْمِ صَالِحِ النَّاقَةِ وَأَصْحَابِ عِيسَى الْمَائِدَةِ، وَهَذَا تَحْذِيرٌ مِّمَّا وَقَعَ فِيهِ مِّن سَبْقٍ مِّن الْأُمَمِ.

وهذا النهى عن السؤال في الأشياء التي لم يتعبدنا الله بها ولم يذكرها في كتابه، أما ما تعبدنا به وذكره في كتابه، فيجب علينا أن نسأل أهل الذكر إن كنا لا نعلمه ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال ﷺ <sup>(١)</sup> «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَن سَأَلَ عَن شَيْءٍ لَّمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ مِّنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

قال الحسن البصرى سألوا النَّبِيَّ ﷺ عن أمور الجاهلية التي عفا الله عنها، وروى مجاهد عن ابن عباس أنها نزلت في قوم سألوا النَّبِيَّ ﷺ عن البحيرة والسائبة والواصيلة والحام، وهو قول سعيد بن جبير.

قلت يحتمل أنها نزلت لهذه الأشياء جميعاً وليس ثم مانع، فيجمعها كلاً تعنت السؤال عما لا يفيد، وهذا من صفات أهل الكتاب.

### تسفيه الآخرين

اليهود يسفّهون النصارى، والنصارى تسفّه اليهود، قال تعالى عنهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣]، فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما عليه الأخرى، وتسفه رأيها وتسخر منها.

(١) (صحيح): البخارى ٧٢٨٩، مسلم ٢٣٥٨، أبو داود ٤٦١٠.

وكان الله تعالى يشير إلينا من طرف خفي إلى خطر هذا الخلق فتحقير المسلم للمسلم استخفافاً به وسخرية منه وامتهاناً لكرامته حرام، وفي هذا قول الله تبارك وتعالى الصريح الجلي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات ١١]

قال ابن كثير "نهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، واستصغارهم وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له، فنص على نهى الرجال وعطف بنهي النساء" (١).

وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (٢) «...بِحَسَبِ أَمْرٍ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»، قال في تحفة الأحوزي "أي حسبه وكافيه من خلال الشر ورذائل الأخلاق احتقار أخيه المسلم".

قال ابن جرير "لا يحل لمسلم أن يسخر من أخيه لفقر أو لذنوب أو لغيره".

قال ابن حجر الهيتمي السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص يوم يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل أو القول أو الإشارة أو الإيماء، أو الضحك على كلامه إذا تخط فيه أو غلط، أو على صنعته، أو قبيح صورته، فمن ارتكب شيئاً من التحقير مما هو ممنوع كان قد ارتكب محرماً يعزَّر عليه شرعاً تأديباً له، وهذا التعزير مفوض إلى رأي الإمام، وفق ما يراه في حدود المصلحة وطبقاً للشرع، لأن المقصود منه الزجر، وأحوال الناس فيه مختلفة، فلكل ما يناسبه منه، وهذا إن قصد بهذه الأمور التحقير، أما إن قصد التعليم أو التنبيه على الخطأ أو نحو ذلك - ولم يقصد تحقيراً - فلا بأس به، فيعرف

(١) التفسير بتصرف شديد.

(٢) (صحيح): مسلم ٢٥٦٤، الترمذی ١٩٢٧.



قصده من قرائن الأحوال.

لَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَوْمًا مُخَلَّدًا<sup>(١)</sup>

"وكثيرٌ من المتفكّهة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً، بل يراهم ضلالاً ولا يعتقد في طريقتهم من العلم والهدى فلا يعدّها شيئاً، وعلى النقيض من ذلك؛ كثيرٌ من المتصوفة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً، بل يرى أن المتمسك بهما منقطع عن الله وأنه ليس عند أهلها شيء مما ينفع عند الله.

والصواب أن ما جاء به الكتاب والسُّنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسُّنة من هذا وهذا باطل" <sup>(٢)</sup>.

"قال ابن تيمية بعض الناس مثل الذباب لا يقع إلا على الجرح"، وهذا معناه أن بعض الناس لا تراه إلا متقدماً دائماً ينسى حسنات الطوائف والأجناس والأشخاص ويذكر مثالبهم فهو مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة ويقع على الجرح والأذى وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج وأحسن علاجه الكي أو الخنق ليذهب ما به من مس.

### الفخر بالأحساب

الفخر بالأحساب هو التمدح بالخصال، وعد القديم من المآثر له أو لأبائه، والأحساب جمع حسب؛ من نحو شجاعة وفصاحة، والتعاضم يعدّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك جهل؛ فلا فخر إلا بالطاعة ولا عز لأحد إلا بالله.

(١) الأعشى ت ٩ - ٥٧.

(٢) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

ليس الجمال أثواباً تزيّنك      إن الجمالَ جمالُ العلمِ والأدبِ<sup>(١)</sup>  
 كُنْ ابْنُ مَنْ شئتَ واكتسبْ أدباً      يُغْنِيكَ محمودُهُ عن النّسبِ  
 إنّ الفتى مَنْ يقولُ هأنّا ذا      ليس الفتى مَنْ يقولُ كان أبي

فالإنسان قيمته ما يحسن وليس ما يحسن آبؤه، فالتعاضد بنسب الآباء أو مناقبهم أو مفاخرهم أو فضائلهم لا يناسب أمة الإسلام، التي قال فيهم رب العزة والجلال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وقال ﷺ<sup>(٢)</sup> «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ اشْتَرِي نَفْسَكَ مِنَ اللَّهِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا».

ولقد كان التواضع وخفض الجناح سبباً رئيساً في دخول كثير من الناس إلى الإسلام أفواجاً وجماعات، لما له من أثرٍ عظيمٍ في النفوس البشرية، فالقائد والمقود والسيد والعبد في ميزان الإسلام سواء؛ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ لَكُمْ رَسُولًا قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ<sup>(٤)</sup> الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ لِيَدْعَنَّ رِجَالَ فَخْرِهِمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ<sup>(٥)</sup> الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفُهَا النَّتْنَ» ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣]، قال ابن عباس "لما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالاً حتى علا على

(١) على بن أبي طالب ٢٣ق ٥ - ٥٤٠هـ.

(٢) (صحيح): البخاري ٢٧٥٣، مسلم ٢٠٤، الترمذي ٣١٨٥، النسائي ٣٦٤٤.

(٣) (حسن): أبو داود ٥١١٦، الترمذي ٣٩٥٥، صحيح الجامع ١٧٨٧.

(٤) بضم العين المهملة وكسرهما وسر الموحدة وفتح التحتية المشدتين أي نخوتها وكبرها وفخره.

(٥) بكسر الجيم وسكون العين جمع جعل بضم ففتح دويبة سوداء تدير الخراء بأنفها.

ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العاص الحمد لله الذى قبض أبى حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال سهيل بن عمرو إن يُرد الله شيئاً يُغيره، وقال أبو سفيان إنى لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل النَّبِيُّ ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسأهم عما قالوا فأقروا فلأنزل الله تعالى هذه الآية " (١).

ونهاهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى أى الجميع من آدم وحواء، إنما الفضل بالتقوى.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب بمكة فقال (٢) «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاطَمَهَا بِأَبَائِهَا فَالْنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ».

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ (٣) ائْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمُّ لَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «ائْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى × فَقَالَ أَحَدُهُمَا أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةَ فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمُّ لَكَ قَالَ أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى × أَنْ هَذَيْنِ الْمُتَنَسِّبَيْنِ أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَنَمِّي أَوْ الْمُتَنَسِّبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُتَنَسِّبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ».

وعن قتادة قال " كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان شىءٌ، فقال سعد انتسب ياسلمان، قال ما أعرف لى أبا فى الإسلام، ولكنى سلمان ابن الإسلام، فمنا ذلك إلى عمر

(١) كما فى الجامع لأحكام القرآن على الآية.

(٢) (حسن): الترمذى ٣٢٧٠، صحيح الجامع ٧٨٦٧

(٣) (صحيح): أحمد ٢٠٧٦٤، صحيح الجامع ١٤٩٢

فلقى سعدًا، فقال انتسب ياسعد، فقال أنشدك بالله يا أمير المؤمنين، قال وكأنه عرف، فأبى أن يدعه حتى انتسب، ثم قال لقد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية وأنا عمر ابن الإسلام أخو سلمان ابن الإسلام، أما والله لولا شيء لعاقبتك، أو ما علمت أن رجلاً انتمى إلى تسعة آباء في الجاهلية فكان عاشرهم في النار" (١).

ولسان حال عمر وسلمان يقول

أبي الإسلام لا أب لي سواه      إذا افتخروا بقبس أو تميم (٢)  
دعي القوم ينصر مدعيه      فيلحقه بذئ النسب الصميم  
وما كرم ولو شرفت جدود      ولكن التقى هو الكريم

وأنا أقول

لعمرك ما الإنسان الّا بدينه      فلا تترك التقوى اعتماداً على النسب (٣)  
فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ      وقد وضع الشرك الشريف أباً لهب

وعن أبي مالك الأشعري قال (٤) قال ﷺ « أَرَبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ..... ».

فوسم (الفخر بالأحساب) بأمر الجاهلية فيه ذم لهذه الخصلة.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٤٤/١، عبد الرزاق ٢٠٦٤٢ من طريق معمر عن قتادة وعلى بن زيد بن جدعان قالاً:..... وهو منقطع.

(٢) نهار بن توسعة ٩ - ٥٨٣.

(٣) صاحب بن عباد ٣٢٦ - ٥٣٨٥، كان وزيراً لمؤيد الدولة ابن بويه، وغلب عليه الأدب، ويروى هذان البيتان لعلى بن أبي طالب أيضاً.

(٤) (صحيح): مسلم ٩٣٤.

وعن جَايِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ <sup>(١)</sup> كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لِلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ قَالَ مَا هَذَا (مَا بَالَ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ) فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لِلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ».

وعند مسلم <sup>(٢)</sup> اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لِلْأَنْصَارِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ قَالَ فَلَا بَأْسَ وَلَئِنْ صُرَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ».

"فهذان الاسمان (المهاجرون والأنصار) اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة، قال تعالى ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة ١١٧] وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتسابٌ حسنٌ محمودٌ عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يُقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم كالانتساب إلى ما يفضى إلى بدعة أو معصية أخرى، ثم مع هذا لما دعا كل واحد منهما طائفته منتصرًا بها أنكر النبي ﷺ ذلك وسماها (دعوى الجاهلية) حتى قيل له (إن الداعى بهما إنما هما غلامان) لم يكن ذلك من الجماعة، فأمر بمنع الظالم وإغاثة المظلوم ليبين ﷺ أن المحذور من ذلك إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقًا كفعل أهل الجاهلية،

(١) (صحيح): البخارى ٤٩٠٧، مسلم ٢٥٨٤، الترمذى ٣٣١٥..

(٢) (صحيح): مسلم ٢٥٨٤.

فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب أو مستحب" (١).

وعن جبير بن مطعم قال (٢) «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ» وأنت ترى اليوم عصيات العالم الإسلامي من نحو فخر باللون أو الدم أو الجنس، فالمصريون يتعصبون للفراعنة (٣) والعراقيون يتعصبون للبابليين والآشوريين وأهل الشام يتعصبون للفنيقيين وهكذا؛ تفرقت كلمة المسلمين، وأصبح لا يخشاهم عدوهم.

ورحم الله شاعرنا حيث قال

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا      بالرقمتين وبالفسطاط إخوانى (٤)  
وأينما ذكر اسم الله في بلدٍ      عدت ذاك الحمى من صلب أوطانى

فأى ناطق بلا إله إلا الله فهو أخى، وأى ساجد لله فهو حبيبى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ  
هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة ٥٥-٥٦]

(١) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

(٢) (ضعيف): أبو داود ٥١٢١، ضعيف الجامع ٤٩٣٥.

(٣) أول من كتب فى الوطن والمواطنة والوطنية والمواطن رفاعة الطهطاوى، ولأول مرة فى تاريخ المسلمين تظهر كتابات تتغنى بالوطن على حساب الدين، ولأول مرة فى تاريخ الإسلام تحل رابطة الأرض والعرق والدم والقربة محل الرابطة الدينية الإيمانية، فكانت النطفة الأولى لتخريب الهوية الإسلامية ولتمزيق رابطة الدين والعقيدة، فصار المسلم المصري يقاتل المسلم السوداني أو الليبي أو العراقي بحجة الدفاع عن الولاء الجديد الوطن.

(٤) هذا البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى ١٨٨ - ٢٣١هـ والثانى بتصرف، الرقمتان: روضتان بناحية الصمان، الفسطاط: مجتمع أهل الكوفة.

وإن كان ثمَّ فخر فليكن بالعلم لأنه حياة القلب، وسبب تقدم الأمم والشعوب.

لا فخرَ في نَسَبٍ لمن لم يفتخرْ      بالعلمِ لولا النابُ ذلَّ الضيغُ<sup>(١)</sup>  
وأخو العلا يسعى فيدرك ما ابتغى      وسواه من أيامه يتظلمُ  
والخاملون إذا غدوت تلومهم      حسبوك في أسماعهم تترنمُ  
في الناس أحياء كأموات الوغى      وخز الأسنة فيهم لا يؤلمُ

وعن أبي هريرة قال<sup>(٢)</sup> قال ﷺ «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهِدُهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ».

ومن هذه الدعوات المنتشرة في كثير من بلاد المسلمين؛ الدعوة إلى الوطنية والدعوة إلى العروبة والدعوة إلى الفرعونية... إلى آخر هذه الدعوات التي جميعها قائم على أسس تخالف ركائز وقواعد الدين، وتقوض منهج الإسلام<sup>(٣)</sup> ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ [الحجرات ١٣]

وَعَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ لَقِيتُ أَبَا دَرٍّ بِالرَّبْدَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ<sup>(٤)</sup> «يَا أَبَا دَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ

(١) مصطفى صادق الرافعي ١٢٩٨ - ١٣٥٦هـ.

(٢) (صحيح): أبو داود ٥١١٦، الترمذی ٣٩٥٥، صحيح الجامع ٥٤٨٢

(٣) هناك فرق بين مفهوم "العروبة" الذي ظهر بعد سقوط الخلافة وتبناه كبار الدعاة المخلصين أمثال شكيب أرسلان ومحِب الدين الخطيب، يختلف تماماً عن المفهوم الذي سيطر من بعد على الأقطار التنوريين أمثال ساطع الحصري وميشيل عفلق، ومع ذلك فالإسلام خيرٌ من هذا وذاك.

(٤) (صحيح): البخاري ٣٠، مسلم ١٦٦١، أبو داود ٥١٥٧، الترمذی ١٩٤٥، ابن ماجه ٣٦٩٠.

يَدِهِ فَلْيُطْعِمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ فَاعَيْنُوهُمْ».

### الطعن في الأنساب

يهدف الإسلام إلى حماية أعراض الناس والمحافظة على سمعتهم وصيانة كرامتهم، وهو بهذا يقطع ألسنة السوء ويسد الباب على الذين يطعنون في البراءة بالعيب وسوء النسب، فيمنع ضعف النفوس من أن يجرحوا مشاعر الناس ويلغوا في أعراضهم وأنسابهم ويحظر أشد الحظر من إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا حتى تتطهر الحياة من سريان هذا الشر فيه<sup>(١)</sup>.

فهو يحرم القذف تحريماً قاطعاً، ويجعله كبيرة من كبائر الأثم والفواحش، ويوجب على القاذف ثمانين جلدة رجلاً كان أو امرأة، ويمنع قبول شهادته، ويحكم عليه بالفسق واللعن والطرده من رحمة الله، واستحقاق العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال أيضاً ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]

وعن أبي مالك الأشعري قال<sup>(٢)</sup> قال ﷺ «أَرَبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الطَّعْنُ فِي الْأَحْسَابِ.....».

أي الوقوع فيها بنحو ذم وعيب بأن يقدح في نسب أحد من الناس، فيقول ليس هو من

(١) راجع كتابنا (أخبار الحوادث في ميزان الشريعة الإسلامية) طبعة دار سلسبيل - القاهرة.

(٢) (صحيح): مسلم ٩٣٤.



ذرية فلان، وذلك يحرم، لأنه هجوم على الغيب ودخول فيما لا يعني، والأنساب لا تعرف إلا من أهلها قال ابن عربي وهذا أمر ينشأ من النفاسة في أنه لا يريد أن يرى أحداً كاملاً، وذلك لنقصانه في نفسه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ<sup>(١)</sup> قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرُ الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةِ عَلَى الْمَيِّتِ».

وقد اختلف في توجيه إطلاق الكفر على من فعل هاتين الخصلتين، قال النووي "فيه أقوال أصحها أن معناها من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، والثاني أنه يؤدي إلى الكفر، والثالث كفر النعمة والإحسان، والرابع أن ذلك في المستحل".

### الاختلاف والفرقة

ما وصل حال الأمة إلى ما هي عليه الآن إلا من الاختلاف والفرقة، فكل نكرة يريد لنفسه مذهباً خاصاً، وكل وضع يريد أن يكون قائداً؛ فآل بنا الاختلاف إلى التشرذم، وذهبت ريح المسلمين، ولم يعد يخشاهم عدو.

ولقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى من أخلاق الذين من قبلنا حيث تفرقوا واختلفوا؛ قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١] عمران [١٠٥] وقال ﷺ<sup>(٢)</sup> «الجماعة رحمة والفرقة عذاب» وقال ﷺ<sup>(٣)</sup> «..... مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ» ولا يخفي على مسلم ما في الجماعة والجماعات من جمال للإسلام، وقوة للدين، وغيظ للكفار والملحدين.

(١) (صحيح): مسلم ٦٧، الترمذی ١٠٠١.

(٢) (صحيح): صحيح الجامع ٣١٠٩

(٣) (صحيح): الترمذی ٢١٦٥، صحيح الجامع ٢٥٤٦

قال تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران ١٠٣]، فالله تبارك وتعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة، وشريعة واحدة، ليألف بعضهم بعضاً بالله وفي الله؛ فيكونوا كرجل واحد على عدوهم، فمن انفرد عن رب الرحمن انفرد به الشيطان وأوقعه فيما يُرديه في عذاب النيران.

وها هم بنو إسرائيل اختلفوا في السبت فغلظه الله عليهم، قال تعالى ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل ١٢٤] قال القرطبي "أى لم يكن في شرع إبراهيم ولا في دينه بل كان سمحاً لا تغليظ فيه، وكان السبت تغليظاً على اليهود في رفض الأعمال وترك التبسط في المعاش بسبب اختلافهم فيه، ثم جاء عيسى يوم الجمعة فقال تفرغوا للعبادة في كل سبعة أيام يوماً واحداً فقالوا لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا فاخترأوا الأحد، وقد اختلف العلماء في بقية ما وقع لهم من الاختلاف، فقالت طائفة إن موسى أمرهم يوم الجمعة وعينه لهم وأخبرهم بفضل على غيره فناظروه أن السبت أفضل فقال الله له (دعهم وما اختاروا لأنفسهم) وقيل إن الله تعالى لم يعينه لهم وإنما أمرهم بتعظيم يوم الجمعة، فاختلف اجتهداهم في تعيينه، فعينت اليهود السبت لأن الله تعالى فرغ فيه من الخلق، وعينت النصارى يوم الأحد لأن الله تعالى بدأ فيه الخلق، فالزم كل منهم ما أداه إليه اجتهداه، وعين الله لهذه الأمة يوم الجمعة من غير أن يكلهم إلى اجتهداهم؛ فضلاً منه ونعمة فكانت خير الأمم" (١).

فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (٢) «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيَدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَذَا نَا اللَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن على الآية.

(٢) (صحيح): البخارى ٨٧٦، مسلم ٨٥٥، النسائى ١٣٦٧.

فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»، فقولُه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، يقوى قول من قال أنه لم يعين لهم، فإنه لو عين لهم وعاندوا لما قيل اختلفوا وإنما كان ينبغي أن يقال فخالفوا فيه وعاندوا، ويقويه أيضاً قوله ﷺ أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا وهذا نص في المعنى وقد جاء في بعض طرقه فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم اختلفوا فيه وهو حجة للقول الأول وقد روى أن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع.

وحذر الله الأمة من الاختلاف عليه فيشدد عليهم كما شدد عليه اليهود.

قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران ١٠٥] وهم اليهود والنصارى الذين افرقوا على أكثر من سبعين فرقة، ولهذا نهى النبي ﷺ عن متابعتهم في نفس التفرقة والاختلاف مع أنه ﷺ قد أخبر أن أمته ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة، مع أن قوله لا تكن مثل فلان قد يُعم مماثلته بطريق اللفظ أو المعنى، وإن لم يُعم دل على أن مخالفتهم وترك مشابعتهم أمر مشروع، ودل على أنه كلما بُعد الرجل عن مشابعتهم فيما لم يشرع لنا، وكان أبعد عن الوقوع في نفس المشابهة المنهى عنها وهذه مصلحة جليلة.

وكان النبي ﷺ شديداً على الصحابة في شأن الاختلاف فعن ابن مسعود قال <sup>(١)</sup> سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ خِلَافَهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ ثُمَّ قَالَ «لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» فالنبي ﷺ نهى عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحدٍ من المختلفين ما مع الآخر من الحق، لأن كلا القارئین كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا.

(١) (صحيح): البخارى ٢٤١٠.

"واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذى يورث الأهواء؛ تجده من هذا الدرب؛ وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبته أوفي بعضه، مخطئاً في نفي ما عليه الآخر؛ كما أن القارئين كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذى علمه، مخطئاً في نفي حرف غيره، فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذى هو الجحود والتكذيب لا في الإثبات لأن إحاطة الإنسان بما يثبتة أيسر من إحاطته بما ينفيه، ولهذا تُهتت هذه الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض، لأن مضمون الضرب الإيمان بإحدى الآيتين والكفر بالآخرى، إذا اعتقد أن بينهما تضاداً إذ الضدان لا يجتمعان.

قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨] فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقال ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

ولما وصف النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة قال <sup>(١)</sup> فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ الْجَمَاعَةُ، فيبين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة وهم أهل السُّنَّةِ والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه؛ تارة فساد النية، لما في النفوس من البغى والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد ونحو ذلك، فيُحب لذلك ذم قول غيره أوفعله أو غلبته ليتميز عليه، أو يُحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك؛ لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له، وما أكثر هذا في بنى آدم وهذا

(١) (صحيح): أبو داود ٤٥٩٦، الترمذى ٢٦٤٠، ابن ماجه ٣٩٩١، صحيح الجامع ١٠٨٢.

ظلم.

ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذى يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذى يُرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل، وإن كان عالماً بما في نفسه من الحق حُكماً ودليلاً.

والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سبحانه ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧]

والاختلاف على نوعين؛ اختلاف تنوع واختلاف تضاد<sup>(١)</sup>.

### اختلاف التنوع

واختلاف التنوع هو أن يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم رسول الله ﷺ عن الاختلاف، وقال كلاكما محسن.

ومثله الاختلاف في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح والتشهدات وصلاة الخوف وتكبيرات العيد وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما شرع جميعه، وإن كان قد يُقال إن بعض أنواعه أفضل.

وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل هذا إذا لم يكن من إحداهما بغى كما في قوله تعالى ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٢٤] وقد كان الصحابة في حصار بنى النضير اختلفوا في قطع الأشجار

(١) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

والنخيل، فقطع قوم وترك آخرون، وكما في قوله تعالى ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء ٧٨] فخص سليمان بالفهم، وأثنى عليهما بالعلم والحكم.

وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بنى قريظة، عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ <sup>(١)</sup> «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِمَّا ذَلِكَ فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ صَلَّى الْعَصْرَ فِي وَقْتِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْرَاهَا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ <sup>(٢)</sup>.

#### اختلاف التضاد

"هو القولان المتنافيان؛ إما في الأصول وإما في الفروع، فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين يتنافيان وهو ما حُمد فيه إحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم فيه الأخرى كما قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فقوله ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ حمدٌ لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذمٌ للأخرى.

(١) (صحيح): البخارى ٩٤٦، مسلم ١٧٧٠.

(٢) من أحسن ما وصف به الفريقان ما قاله ابن القيم فى إعلام الموقعين: "وهؤلاء سلف أهل الظاهر وهؤلاء

سلف أهل المعانى والقياس" - يقصد أهل التأويل.

وكذلك قوله تعالى ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ وقد ثبت أنها نزلت في المقتلين يوم بدر<sup>(١)</sup>؛ علي وحمنة وعبيدة بن الحارث من جهة المسلمين، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة من جهة كفار قريش، فهذان الفريقان يختلفان اختلاف تضاد<sup>(٢)</sup>.

### أكل أموال اليتامى

اليتيم لا يجد من يرعاه وإن وجد فقد يكون طامعاً في ماله، ولذا؛ حذرنا الله تبارك وتعالى من أكل ماله أو الانتفاع به بوجه من الوجوه؛ قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الأنعام ١٥٢]، وقال أيضاً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء ١٠]، وعدّها النّبيّ ﷺ من السبع الموبقات فعن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال<sup>(٣)</sup> «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ..... وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ.....»

وقال تعالى ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ [النساء ٢]، قال القرطبي "أى لا

(١) (صحيح): البخارى ٣٩٦٦، مسلم ٣٠٣٣، ابن ماجه ٢٨٣٥.

(٢) ابن تيمية، مخالفة أصحاب الجحيم.

(٣) (صحيح): البخارى ٢٧٦٧، مسلم ٨٩، أبو داود ٢٨٧٤، النسائي ٣٦٧١.

تبدلوا الشاة السمينه من مال اليتيم بالهزيلة، ولا الدرهم الطيب بالزيف، وكانوا في الجاهلية لعدم دين لا يتخرجون عن أموال اليتامى فكانوا يأخذون الطيب والجيد من أموال اليتامى ويبدلونه بالردىء من أموالهم، ويقولون اسم باسم ورأس برأس، فنهاهم الله عن ذلك .

وَعَنْ سَهْلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ <sup>(١)</sup> «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

فقوله ﷺ أنا وكافل اليتيم أي القائم بأمره ومصالحه هبة من مال نفسه أو من مال اليتيم كان ذا قرابة أم لا (في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما أي أن الكافل في الجنة مع النبي ﷺ إلا أن درجته لا تبلغ بل تقارب درجته وفي الإشارة إشارة إلى أن بين درجته والكافل قدر تفاوت ما بين المشار به ويحتمل أن المراد قرب المنزلة حال دخول الجنة أو المراد في سرعة الدخول وذلك لما فيه من حسن الخلافة للأبوين ورحمة الصغير وذلك مقصود عظيم في الشريعة ومناسبة التشبيه أن النبي ﷺ شأنه أن يبعث لقوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً ومرشداً لهم ومعلماً، وكافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل فيرشده ويعقله وهذا تنويه عظيم بفضل قبول وصية من يوصى إليه ومحل كراهة الدخول في الوصايا أن يخاف تهمة أضعفاً عن القيام بحقها

وَعَنْ أَبِي دَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ <sup>(٢)</sup> «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي

(١) (صحيح): البخارى ٥٣٠٤، أبو داود ٥١٥٠، الترمذى ١٩١٨.

(٢) (صحيح): مسلم ١٨٢٦، أبو داود ٢٨٦٨، النسائى ٣٦٦٩.



شَيْءٌ وَلِي يَتِيمٌ قَالَ<sup>(١)</sup> «كُلُّ مَنْ مَالِ يَتِيمٍ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَادِرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ»

(١) (صحيح): أبو داود ٢٨٧٢، النسائي ٣٦٦٨، ابن ماجه ٢٧١٨، صحيح الجامع ٤٤٩٧.

## الفصل الخامس مخالفتهم في العادات

### تمهيد

هناك عادت لأهل الكتاب يفعلونها عن قصد أو غير قصد دون التقيد بالدين، هذه الأشياء حذرنا ديننا من التشبه بهم فيها، لأنه غالباً ما تكون ضارة بنا، وقد جاء الإسلام بالسماحة واليسر في كل شيء فليس ثمَّ داعٍ لمحاكاتهم في عاداتهم أو تقالديهم، وهى كثيرة، وحياتهم العامة اليوم مليئة بهذه المظاهر وأهمها طرائق اللباس، والطعام، والكلام... إلخ، ونكتفي في هذا المقام بما حذرنا منه القرآن والسنة والعقل يقيس عليها.

من هذه الأشياء

### الرهبانية

إن الرهبانية من عادة النصارى؛ لأن عندهم تشدداً في العبادات، واليهود مقصرون عن تلك المرتبة، ونحن أمة الإسلام، أمة الوسطية ديننا سهل هين لين؛ لا تشدد فيه ولا غلو، لا إفراط ولا تفريط.

ولقد حذرنا نبينا ﷺ من هذا الخلق فعن أنس قال قال ﷺ <sup>(١)</sup> «لَا تُشَدُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّ عَلَيْكُمْ فَإِنْ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارِ ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»

قال الفارسي في قوله تعالى " رهبانية منصوب بفعل مضمر، كأنه قال وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، ولا يكون عطفاً على ما قبله من المنصوب في الآية وهو قوله تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا

(١) (ضعيف): أبو داود ٤٩٠٤، ضعيف الجامع ٦٢٣٢

بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴿٢٧﴾ [الحديد ٢٧]، لأن ما وضع في القلب لا يبتدع؛ وهو الرأفة والرحمة، وهو قول أبى إسحاق، ويكون المعنى ما كتبنا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وهو وجه في التأويل "(١)".

وقال ابن الأثير "هى رهبة النصارى، وأصلها من الرهبة؛ أى الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا وترك ملاذها، والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتعهد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب؛ فنفاها النبي ﷺ عن الإسلام ونهى المسلمين عنها" (٢).

قال تعالى ﴿وَذَكَرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل ٨]، قال مجاهد (٣) معناه "أخلص له العبادة ولم يرد التبتيل" فالتبتل المأمور به؛ الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة، والتبتل المنهى عنه هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع.

وقد كان بعض الصحابة أراد أن يختصى إن رخص النبي في ذلك؛ فعن سعد بن أبي وقاص قال (٤) "لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ الَّذِي كَانَ مِنْ تَرْكِ النِّسَاءِ بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «يَا عُثْمَانُ إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي قَالَ لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ مِنْ سُنَّتِي أَنْ أَصُومَ وَأُطْعِمَ وَأُنْكِحَ وَأُطْلِقَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي يَا عُثْمَانُ إِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

قَالَ سَعْدٌ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ أَجْمَعَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْ هُوَ أَقَرَّ

(١) اللسان: مادة (رهباً).

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر.

(٣) كما فى تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن، على الآية.

(٤) (ضعيف): أبو داود ٤٩٠٤، ضعيف الجامع ٦٢٣٢

عُثْمَانُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ أَنْ نَخْتَصِي فَتَبَّئِلَ.

وعن أسِّ قال <sup>(١)</sup> جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

قال ابن حجر "لمح ﷺ بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي ﷺ الحنيفة السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل" <sup>(٢)</sup>.

ورهبانية الإسلام هي الجهاد في سبيل الله، فقد قال ﷺ لرجل <sup>(٣)</sup> «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ.....».

قال المناوي " أي أن الرهبان وإن تخلوا عن الدنيا وزهدوا فيها فلا تخلوا ولا زهد أفضل من بذل النفس في سبيل الله، فكما أن الرهبانية أفضل عمل أولئك، فالجهاد أفضل عملنا" <sup>(٤)</sup> بل هو ذروة سنام الإسلام، وقد فقدت الأمة عزتها وكرامتها عندما نسيت أو تناست الجهاد في سبيل الله ورفع كلمة الحق، وليس الجهاد بربرية ولا فوضوية؛ إنَّما رفعاً

(١) (صحيح): البخارى ٥٠٦٣، مسلم ١٤٠١، النسائى ٣٢١٧، أحمد ١٣١٢٢.

(٢) فتح البارى ٧/٩.

(٣) (حسن): أحمد ١١٣٦٥، صحيح الجامع ٢٥٤٣.

(٤) فتح البارى ٧/٩.

لمبادئ الدين وإعلاءً لمنهج الإسلام وسعادة البشرية.

### اتخاذ الأخدان

نهى الله تبارك وتعالى عن الصداقة بين الرجل والمرأة لأنها في الأغلب لا تأتي إلا بالفاحشة، ومن يقل غير ذلك فهو مكابر أو معاند، ولقد رأينا كثيراً من المجرمات على صفحات الجرائد وهن يخن أزواجهن بسبب الصديق، وتسرق الأموال بسبب الصديق، وترتكب الجرائم أيضاً بسبب الصديق.

قال تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبَايِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء ٢٥]

قال ابن جرير "المتخذات الأخدان؛ اللواتي قد حبسن أنفسهن على الخليل والصديق للفجور بها سرّاً دون الإعلان بذلك".

قال القرطبي "أى غير زَوَانٍ أى معلنات بالزنى لأن أهل الجاهلية كان فيهم الزواني في العلانية ولهن رايات منصوبات كراية البيطار (وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) أصدقاء في الفاحشة واحداهم خدن وخدين، وقيل؛ المسافحة المبدولة وذات الخدن التي تزنى بواحد وكانت العرب تعيب الإعلان بالزنى ولا تعيب اتخاذ الأخدان ثم رفع الإسلام جميع ذلك" (١).

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال "كان أهل الجاهلية يرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي، يقولون أما ما ظهر منه فهو لؤم، وأما ما خفي فلا بأس بذلك".

(١) الجامع لأحكام القرآن على الآية.

### الصفير والتصفيق

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال ٣٥]، قال ابن عباس "كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفقون فكان ذلك عبادة في ظنهم والمكاء الصفير، والتصديقة التصفيق" (١).

وإن هذا ليُخطر بالبال صور العازفين المصفيقين الصاخبين الممرغين حدودهم على الاعتبار والمقامات اليوم في كثير من بلاد المسلمين، وإنها الجاهلية الثانية تُطل علينا من جديد جاهلية العبادة بالذوق والوجد والموسيقى والألحان.

ويخطر بالبال أيضاً صور الصفير والتصفيق في دور العرض السينمائي والمسارح، في جاهلية عمياء صدت الناس عن دينهم صدوداً.

ويستحضر الخاطر أيضاً صور المشجعين الهوجاء للفرق الرياضية وهم يصفقون ويصفرون في عصبية بغیضة نهى عنها الإسلام في مواقف كثيرة، فهم بفعلهم هذا يجمعون المعاصي جمعاً، ولو أن القائمين على البلاد وجهوا الشباب وهذه الطاقات إلى ما هو أجدى وأنفع لكان خيراً لهم، ولكننا نُحس بأياد خفية وراء هذه التوجهات الآثمة، التي لا تريد خير البلاد والعباد.

ويذكرني هذا أيضاً بما يحدث عند مقابر الأولياء وأضرحة الأتقياء وقبور العلماء من ضجيج مشوش على كل شيء مما هو شبيه بهذا المكاء وهذه التصديقة الجاهلية، حيث أدى إلى إلغاء الصمت من حياتنا بشكل كامل، وتمت عملية الإلغاء هذه بشكل تدريجي، بحيث لم يستطع أحد الانتباه إلى خطورة هذه العملية وما أدت إليه من فقدان وخسارة، إلا في وقت متأخر جداً، وكانت إمكانيات التأمل، القدرة على التمييز، الهدوء وإمكانية الإحساس

(١) (ضعيف): رواه ابن أبي حاتم ٩٠٤٥ من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير وفي روايته ضعف.

العميق بالجهات، أول ضحايا الضجيج الذي اقتحم وسيطر على مشهد حياتنا المعاصرة، وهذا من شأنه أن ينشر ثقافة الضجيج ثم إلى عقلية الضجيج ثم إلى نفسية الضجيج وهو أمر لا يقره الشرع ولا العرف ولا المنطق السليم، ولقد نبهنا الله على ألا نتخذ الضجيج منهجاً لا في ثقافتنا ولا في عقليتنا ولا في حياتنا وسلوكنا أو عبادتنا، بل من أجل أن نفكر التفكير السليم المستقيم علينا بالهدوء داخل أنفسنا وخارجها حتى نخرج بنتائج سليمة في القول والعمل.

### الكلام بغير العربية

إن الذي اعتاد التكلم بغير العربية، ويتمادى في ذلك من غير ضرورة ويهجر اللسان العربى، ويجد في نفسه عزة ورفعة على أقرانه لأنه أتى شيئاً عظيماً، فيه شيء من النفاق العملى؛ لأنه خالف لغة القرآن والسُّنة فالله أنزل كتابه باللسان العربى، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة به، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، فصارت معرفته من الإيمان وصار اعتياد المتكلم به أعون على معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعار الإسلام فلذلك صار دوام تركه جاراً إلى النفاق، واللسان يقارنه أمور أخرى من العلوم والأخلاق، لأن العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله أو فيما يبغضه.

وقد كان النبيّ يتكلم بالكلمة بعد الكلمة من العجمية، أما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن فهذا من أمحل المحال، وقد كان السلف كذلك يتكلمون ببعض العجمية بحسب ما تقتضيه الحاجة.

أما الكلام بصفة دائمة بغير العربية أو الدعوة إلى أن تكون العامية هي السائدة في البلاد وفي الرسائل بحجة أن العربية لا تواكب العصر فهذا نفاق بين وركون إلى الذين كفروا ودعوة خبيثة من أناس لا يعرفون عن اللغة شيئاً.

ولا أعلم شيئاً كان أشد خطراً عندما تهاونا في اللغة العربية من سقوط الخلافة العثمانية؛ فقد كان من الأسباب الكبرى في فشل الدولة العثمانية على يد الأتراك أنهم حاولوا تترك العرب بدلاً من تعريب الترك فسقطت دولتهم بعد أن تصدع الجدار الداخلي للدولة وكانت الفرقة والتنافر والانقسام بين العرب والترك لما أحدثه تغير اللسان من نفرة الجنسین بدلاً من أن يكونوا جنساً واحداً.

إِذَا مَا الْقَوْمُ بِالْغَةِ اسْتَخَفُّوا      فَضَاعَتْ مَا مَصِيرُ الْقَوْمِ قُلْ لِي<sup>(١)</sup>  
وَفَسَادُ الْقَوْلِ فِيهِ دَلِيلُ عَجَزِ      وَمَا دَعَاؤِي ذِمَارٍ مُسْتَقِيلِ  
مَا دَعَاؤِي اتِّحَادٍ فِي بِلَادِ      فَهَلْ مَعَهُ يَكُونُ صَلاَحُ فِعْلِ

"ويوم أن كان المسلمون أقوياء بالقرآن أقبل الناس عليه من كل حذب وصب يتدارسونه ويتعلمون لغته، فلما ضعفوا بضعفه في نفوسهم، كانوا هم أول من أعرض عن دراسته وتعلم لغته، وهكذا يجني الضعيف على نفسه وعلى الحق الذي يحمله"<sup>(٢)</sup>.

وعجباً لحكومات اليوم وهى تُدخل تدريس اللغات إلى المدارس في سن صغيرة، وحببتهم أنهم يريدون أن يلحقوا بركب الحضارة، والحقيقة أنهم يسرون على مخطط استعماري رسمه لهم الأعداء، فإن من يحصص الأمر يجد أننا بحاجة إلى تعريب العلوم الحديثة التي ليست عندنا فحسب؛ هذا هو السبيل إلى التقدم، وهى مهمة فئة متخصصة في المجتمع، أما أن يتحول المجتمع كله إلى هذه اللغة فهذا هو الخطر الداهم لديار المسلمين.

"والأمم من حولنا لا تسمح بتعلم اللغات إلا في المراحل الكبيرة الناضجة من أعمار التلاميذ بل ربما تأخرت إلى مرحلة الدراسات العليا حيث يكتمل نضج الطالب فيصير

(١) مطران خليل مطران ١٢٨٨ - ١٣٦٨ هـ

(٢) هكذا علمتني الحياة، د/ مصطفى السباعي.



قادرًا على الانتخاب والانتقاء ويحتفظ بشخصيته ودينه وعقيدته وأخلاقه" (١).

وانظر إلى أعداء الإسلام كيف حافظوا على هويتهم ولغتهم حينما كانت البعثات الطلابية النصرانية تفد إلى ديار الإسلام وحواضره لتلقى العلم رغمًا عن رجال الكنيسة، كان ذوو هؤلاء الطلاب ورجال الكنائس التي يتبعونها يبذلون كل جهودهم لوضع حواجز نفسية في نفوس هؤلاء الطلاب وعقولهم تحول دون تأثرهم بالفكر الإسلامي وبجياة المسلمين، ولقد بلغ من حرص الكنيسة على هذا أنها أصدرت قرارًا كنسيًا مضمونه "إن هؤلاء الشبان الرقعاء الذين يبدأون كلامهم بلغات بلادهم ثم يكملون كلامهم باللغة العربية لنعلم أنهم تعلموا في مدارس المسلمين هؤلاء إن لم يكفوا عن ذلك فستصدر الكنيسة ضدهم قرارًا حرمان".

أما اليهود فتلمودهم وشروحه وتعاليم أحبارهم حافلة بكل ما من شأنه إيجاد الحواجز المادية والنفسية بينهم وبين سواهم؛ للمحافظة على كياناتهم والحيلولة دون تسرب أى شيء يُخالف تعاليم التلمود إلى نفوس أبنائهم وعقولهم، ولولا هذه الحواجز لذاب اليهود منذ قرون في سواهم من الأمم ولانتهى وجودهم.

فَدَى الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى اللُّغَاتُ	إِذَا نَطَقَتْ مِنَ الْعَرَبِ الْبَنَاتُ (٢)
وَفِيهِنَّ الْخِصَالُ مِنَ اللَّوَاتِي	طَلَعْنَ مِنَ الْمَضَارِبِ وَالضَّفَاتِ
لَهُنَّ أَعْدَتُ الزَّيَّاءِ عَرْشًا	فَعَزَّ بِهِنَّ دَجَالَةُ الْفَرَاتِ
وَشَيَّدْنَ الْقُصُورَ عَلَى ضَفَافِ	وَهُنَّ الْمُحَسَّنَاتُ الْمُحَصَّنَاتِ

(١) راجع كتاب (اللغة الباسلة) لشيخنا الدكتور/ فتحي جمعة، وجدير بالذكر أن نقول: إنه حفظه الله صاحب دعوة (تعليم اللغات وليس التعليم باللغات).

(٢) أبو الفضل الوليد ١٣٠٣ - ١٣٦٠هـ

ولقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى من النطق بكلمة (راعنا) وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] وكان اليهود ينطقون بها وكانت فيهم قبيحة إذ كانوا يقصدون التنقص بها من شخص رسول الله ﷺ.

وهي كلمة كان المسلمون يقولونها بنية حسنة؛ ولكن "كم مرید للخیر لم يبلغه". قال قتادة وغيره كانت اليهود تقول استهزاءً فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم، وقال أيضاً كانت اليهود تقول للنبي ﷺ راعنا سمعك يستهزئون بذلك، وكانت في اليهود قبيحة.

وروى أحمد عن عطية العوفي قال "كان يأتي ناس من اليهود فيقولون راعنا سمعك حتى قالها ناس من المسلمين فكره الله لهم ما قالت اليهود"، وقال عطاء "كانت لغة في الأنصار في الجاهلية".

قال أبو العالية "إن مشركي العرب كانوا إذا حدث بعضهم بعضاً يقول أحدهم لصاحبه راعني سمعك فنهوا عن ذلك، وكذلك قال الضحاك".

فهذا كله يبين أن هذه الكلمة نهى المسلمون عن قولها للنبي ﷺ؛ لأن اليهود كانوا يقولونها تندرًا بالنبي ﷺ، وإن كانت من المسلمين غير قبيحة، ولكنها لما كانت مشابهة للكفار في طريقتهم إلى بلوغ غرضهم، نهوا عنها.

وقد يقع كثير من أهل الإسلام في استخدام ألفاظ ليست من الإسلام في شيء؛ بل قد تُسئ للإسلام، وقد تقع على السنة من لا يُتهم في دين ولا صدق نية، إلا أنهم ضحايا للفكر الغربي، فتجد بعضهم يقول "إشتركية الإسلام" "وديمقراطية الإسلام" وهكذا... وينتمي إلى هذه الألفاظ أيضاً (القومية، والوطنية، والعلمانية، والعولمة، والإخوة

الإنسانية، ووحدة الأديان)<sup>(١)</sup> وهذه الألفاظ ما هي إلا عقائد ومناهج مضادة للإسلام عند أربابها، ولا نجد مبرراً ومسوغاً أن نستخدمها دون أن نبين ما تحويه في طياتها من معادة للإسلام والمسلمين.

فلقد رأينا كيف حذر الله المسلمين الأوائل من استخدام كلمة اليهود بحسن نية إن كانت الكلمة تنطوي على خبث وكفر.

---

(١) راجع هذه المناهج والداعون إليها من أذئاب المسلمين في (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة).

## توصية

بعد التطواف في ربوع هذا الكتاب نجد أن البون شاسع بين قيم الإسلام ومبادئه وبين ما نحن فيه من طرائق العيش والحياه، وهذا لم يأت من فرغ بل من مجموعة معوقات على مدار أكثر من قرنين من الزمان، ولكن الذي يظهر على السطح من الأسباب هو قائد المركب، لذا نرى أنه لا بد أن تكون قيادة ركب الحياة وإدارة دفعة المدينة بيد الذين يؤمنون بالروح والمادة، ويكونون أمثلة كاملة في الحياة الدينية والخلقية، وأصحاب عقول سليمة راجحة، وعلوم صحيحة نافعة، فإذا كان فيهم نقص في عقيدتهم أو في تربيتهم عاد ذلك النقص في مدنياتهم، وتضخم وظهر في مظاهر كثيرة، وفي أشكال متنوعة، فإذا تغلبت جماعة لا تعبد إلا المادة وما إليها من لذة ومنفعة محسوسة، ولا تؤمن إلا بهذه الحياة، ولا تؤمن بما وراء الحس أثرت طبيعتها ومبادئها وميولها في وضع المدينة وشكلها، وطبعتها بطابعها، وصاغت في قالبها، فكملت نواح للإنسانية واختلت نواح أخرى أهم منها، وعاشت هذه المدينة وازدهرت في الجص والآجر، وفي الورق والقماش، وفي الحديد والرصاص، وأخصبت في ميادين الحروب وساحات القتال، وأوساط المحاكم ومجالس اللهو ومجامع الفجور، وماتت وأجذبت في القلوب والأرواح وفي علاقة المرأة بزوجها، والولد بوالده والوالد بولده، والأخ بأخيه والرجل بصديقه، وأصبحت المدينة كجسم ضخمة متورم يملأ العين مهابة ورواء، ويشكو في قلبه آلاماً وأوجاعاً، وفي صحته انحرافاً واضطراباً.

وإذا تغلبت جماعة تجحد المادة أو تهمل ناحيتها ولا تهتم إلا بالروح وما وراء الحس والطبيعة، وتعادي هذه الحياة وتعاندها، ذبلت زهرة المدينة وهزلت القوى الإنسانية وبدأ الناس -بتأثير هذه القيادة- يؤثرون الفرار إلى الصحاري والخلوات على المدن، والعزوبة على الحياة الزوجية، ويعذبون الأجسام حتى يضعف سلطانها فتتظهر الروح ويؤثرون الموت على الحياة، لينتقلوا من مملكة المادة إلى إقليم الروح ويستوفوا كمالهم هنالك، لأن الكمال في عقيدتهم لا يحصل في العالم المادي، ونتيجة ذلك أن تحتضر الحضارة وتخرّب

المدن ويحتل نظام الحياة ولما كان هذا مضاداً للفطرة لا تلبث أن تثور عليه، وتتقم منه بمادية حيوانية ليس فيها تسامح لروحانية وأخلاق، وهكذا تنتكس الإنسانية وتحلفها البهيمية والسبعية الإنسانية الممسوخة، أو تهجم على هذه الجماعة الراهبة جماعة مادية قوية فتعجز عن المقاومة لضعفها الطبيعي، وتستسلم وتخضع لها، أو تسبق هي - بما يعترها من الصعوبات في معالجة أمور الدنيا - فتمد يد الاستعانة إلى المادية ورجالها وتسند إليهم أمور السياسة وتكتفي هي بالعبادات والتقاليد الدينية، ويحدث فصل بين الدين والسياسة فتضمحل الروحانية والأخلاق ويتقلص ظلها وتفقد سلطانها على المجتمع البشري والحياة العملية حتى تصبح شبحاً وخيالاً أو نظرية علمية لا تأثير لها في الحياة وتؤول الحياة مادية محضة وقلماء خلت جماعة من الجماعات التي تولت قيادة بني جنسها من هذا النقص، لذلك لم تنزل المدنية متأرجحة بين مادية بهيمية وروحانية ورهبانية ولم تنزل في اضطراب.

عندما تكون قيادة ركب الحضارة بأيد الذين يؤمنون بالله رباً خالقاً له الأمر والخلق، وأنَّ محمداً ﷺ نبياً ورسولاً وأنه لا عقيدة أحسن من عقيدة الإسلام، ولا شريعة قادرة على احتواء الدنيا إلا شريعة الإسلام ولا شعائر أفضل من شعائر الدين القويم، عند ذلك فحسب يحل السلام أرجاء المعمورة، وتنزل الخيرات من السموات وتعم الأرض البركات ويسعد المسلمون، ويسلم المخالفون.

## الخاتمة

الأمة الإسلامية اليوم في مفترق الطرق ومن النصيح لها التعاون على معرفة الطريق الذى تسلكه إلى مرحلتها الجديدة وهو الطريق الذى يجمع بين تعلم كل ما عند غيرنا من العلوم العالمية التى لا لون لها، والاحتفاظ بكل ما يحفظ عليها إسلامها من الثقافة التى هي أغنى أُمم الأرض بها، وما عليها إلا أن تستأنف دراستها وإحياءها، والعمل بها؛ ويومئذ تكون العزة والرفعة للمؤمنين.

أما اليوم فالمسلمون قد ذلوا وضعفوا وأخطأهم النصر والتوفيق، وأبطأ عليهم الارتقاء والتقدم والتميز على غيرهم، حيث تجاهلوا معالمهم وسايروا أهل الحضارات والممل والأهواء في طرقهم وأنظمتهم وتقاليدهم ومظاهرهم وأذواقهم وأساليب تفكيرهم. وإن أرادوا أن ينالوا العزة والقوة وينالوا الفوز والظفر ويقودوا حركة التقدم في الأرض؛ فعليهم أن يعرفوا دينهم ويتمسكوا به، وينهلوا من علوم غيرهم وينقلوا الحضارة النافعة.

فالعاقل يأخذ ما ينفعه من الحضارات الأخرى وبما يتفق مع دينه وعقيدته ولا يخالف المنهج الربانى الذى وهبه له ربه، أما أن يتبع الغرب ويناق له في كل شيء فهذا يأباه العاقل ويرفضه الأريب، والحضارة الغربية ليست كتلة واحدة، إما أن تؤخذ كلها أو تترك، لا بل فيها النافع للناس والضار بهم - وهذا شأن كل حضارة، إلا حضارة الإسلام - إذن لا بد من منهج الانتقاء.

تلكم هى المعالم الحقيقية لحياة الأمة الإسلامية.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إحياء علوم الدين - الغزالي - مكتبة الإيمان - المنصورة.
- أدب الدنيا والدين - الماوردي - الريان - الطبعة الأولى - ١٩٨٨.
- الأدب المفرد - البخاري - دار الكتب العلمية - عبد القادر عطا.
- إرواء الغليل - للألباني - المكتب الاسلامي - الأردن.
- إسلام بلا مذاهب - د/ مصطفى الشكعة - مكتبة الأسرة - ٢٠٠٥ م.
- أضواء البيان - للعلامة الشنقيطي - مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣٨٦ هـ.
- الأم - للإمام الشافعي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
- البحر المحيط - لأبي حيان - دار الكتب العلمية - بيروت.
- بدائع الصنائع - الكاساني - دارا لكتاب العربي - بيروت ١٤٠٢ هـ.
- البداية والنهاية - لابن كثير - دار الريان - مصر ١٩٨٨ م.
- تجديد الفكر العربي - زكي نجيب محمود - دار الشروق - بيروت - ١٩٧١ م.
- تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- تحفة المودود بأحكام المولود - ابن القيم الجوزية - مكتبة الإيمان - المنصورة.
- تفسير الطبري - للإمام ابن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨ م.
- تفسير القرآن العظيم - للحافظ ابن كثير - دار الغد العربي.
- تفسير القرطبي - للإمام القرطبي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٣ م.
- تفسير المراغي - دار الفكر - بيروت.
- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية.
- التفسير المنير - وهبة الزحيلي - دار الفكر.

- تفسير آيات الأحكام- محمد على الصابوني- دار لاصابوني- مكة- ١٤٢٠هـ.
- الحاوي الكبير - للماوردي - دار الفكر- بيروت.
- حقوق الإنسان في الإسلام، عماد حسن - طبعة دار العلياء- القاهرة- ٢٠٠٦م.
- حكم الجاهلية- أحمد شاکر- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.
- الدر المنثورة - للإمام السيوطي - طبعة دار الفكر- بيروت.
- جزء من ديوان البوصيري - شرح الهمزية في مدح خير البرية- الإمام البوصيري- مكتبة الآداب- القاهرة.
- روح المعاني - للعلامة الألوسي - دار الفكر- بيروت.
- السلسلة الصحيح للألباني- المكتب الإسلامي - الأردن.
- سنن ابن ماجه- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار أحياء الكتب العربية.
- سنن البيهقي - للإمام البيهقي - طبعة دار الفكر.
- سنن النسائي- شرح السيوطي- السندي- طبعه دار الحديث.
- سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة .
- شرح صحيح مسلم- للإمام محي الدين النووي- دار المعرفة- بيروت.
- شعب الإيمان- البيهقي - دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٩٠م.
- الصحافة والأقلام المسمومة أنور الجندي
- صحيح الأدب المفرد - دار الصديق.
- صحيح الجامع الصغير-الألباني - المكتب الإسلامي.
- صحيح السنن - الألباني- مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة
- ضعيف الجامع الصغير- الألباني - المكتب الإسلامي- بيروت.
- عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم- مكتبة الإيمان- الإسكندرية.



- عون المعبود شرح سنن أبي داود - دار الكتب العلمية.
- عيون الأخبار - ابن قتيبة - الهيئة العامة لقصور الثقافة - سلسلة الذخائر.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر - دار الريان - مصر.
- الفروق - القرافي - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى - ١٣٤٦ هـ.
- فقه السنة - السيد سابق - دار الريان - القاهرة - ط ٢ ١٩٩٠.
- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - بيروت.
- فيض التقدير للمناوي - دار إحياء السنة النبوية.
- لسان العرب - ابن منظور - إحياء التراث العربي.
- المجموع شرح المذهب للشرازي - النووي - دار الفكر - بيروت.
- مجموعة تفاسير وكتب للطائفة الشيعية - برنامج حاسوبي.
- مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية - دار الحديث - القاهرة.
- مدارج السالكين - ابن القيم - دار الحديث - القاهرة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل دار إحياء التراث - مصر.
- المصنف - لابن أبي شيبة - دار الفكر - بيروت.
- المصنف - لعبد الرزاق الصنعاني - منشورات المجلس العلمي.
- المغني - لابن قدامة المقدسي - طبعة هجر - تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو.
- مفاتيح الغيب - للإمام الفخر الرازي - دار الباز.
- منهج الثقافة الإسلامية، الشيخ محب الدين الخطيب - دار أم القرى - القاهرة - ١٤١٩ هـ.
- الموطأ - الإمام مالك بن أنس - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة إحياء الكتب العربية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - دار إحياء الكتب العربية.
- هكذا علمتني الحياة، د/ مصطفى السباعي.
- اليهودية العلمية، الحلاق.

### ترقيم الأحاديث

- البخارى - الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي
- مسلم - الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي
- أبو داود - الشيخ/ محي الدين عبد الحميد
- الترمذى - الشيخ/ أحمد محمد شاكر
- النسائى - الشيخ / أبو غدة
- ابن ماجه - الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي
- أحمد - دار إحياء التراث
- الموطأ - الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي
- الدارمى - الأستاذين؛ فواز أحمد زمرلى، خالد السبع العلمى.

## فَهْرِسْتِن

## مُقَدِّمَةٌ

٥ . . . . .

## الفصل الأول الأغيار وأمة الإسلام - نحن والآخر

١٠ . . . . .

١٠ ..... تمهيد

١٠ ..... بداية التغريب

١٤ ..... من تشبه بقوم

١٩ ..... هل يحبوننا

٢٢ ..... الأمر بالمخالفة

٢٣ ..... صلاح الأمة

٢٦ ..... العلم والثقافة

٣٠ ..... الموت الحضارى

٣٥ ..... كلمة أخيرة

## الفصل الثانى مخالفتهم في العقيدة

٣٨ . . . . .

٣٨ ..... تمهيد

٣٨ ..... عصيان أوامر الله

٤٠ ..... الافتراء على الله

٤٣ ..... إيذاء الأنبياء

٤٧ ..... السحر

٤٩ ..... التطير

٥٢ ..... التنجيم

٥٥ ..... التماائم

٥٦ ..... الكسوف

٥٧ ..... الحلف بالآباء

٥٩ ..... الذبح لغير الله

٦١ ..... الأمر بالمعروف

٦٥ ..... اتخاذ القبور مساجد

## الفصل الثالث مخالفتهم في العبادات

٦٩ . . . . .

٦٩ ..... تمهيد

٦٩ ..... قضاء الحاجة

٧١	الآذان
٧٤	القبلة
٧٥	الصلاة
٧٩	الصيام
٨٣	الحج
٩٢	الأطعمة
١٠٠	النكاح
١٠٧	الإيلاء
١٠٨	الميراث
١١٠	الجنائز
١١٨	السلام
١١٩	الملابس والزينة
١٣٢	القصاص
١٣٦	الأعياد
١٤٠	التبني

#### الفصل الرابع مخالفتهم في الأخلاق . . . . . ١٤٤.

١٤٤	تمهيد
١٤٤	الكبر
١٤٩	الحسد
١٥٣	البخل
١٥٦	الجدل
١٥٧	الغلو
١٦٣	الحيل
١٦٦	التحريف
١٧٥	قسوة القلب
١٧٧	كتمان الحق
١٨١	قتل الأولاد
١٨٤	فتنة النساء
١٨٦	نقض العهود
١٨٧	كثرة السؤال
١٨٩	تسفيه الآخرين
١٩١	الفخر بالأحساب
١٩٨	الطعن في الأنساب

الاختلاف والفرقة.....	١٩٩
أكل أموال اليتامى .....	٢٠٥
الفصل الخامس مخالفتهم في العادات . . . . .	٢٠٨
تمهيد .....	٢٠٨
الرهبانية.....	٢٠٨
اتخاذ الأخدان .....	٢١١
الصفير والتصفيق.....	٢١٢
الكلام بغير العربية.....	٢١٣
توصية . . . . .	٢١٨
الخاتمة . . . . .	٢٢٠
المصادر والمراجع.....	٢٢١
ترقيم الأحاديث.....	٢٢٤
فهرسٓن . . . . .	٢٢٥